

سلسلة الأركان للإيمان ٥

الأميَاتُ بِأَلْيَوْمٍ الْآخِرِ

فَقِهِ الْقُدُومَ عَلَى اللَّهِ

د. علي محمد محمد الصلابي





181

978-625-99362-2-2

978-625-99362-7-7

رقم الإصدار

الترقيم الدولي للسلسلة

الترقيم الدولي للسلسلة

اسم الكتاب

اسم المؤلف

رئيس التحرير

الاخراج الفني

الإيمان باليوم الآخر
د. علي محمد محمد الصلابي
رجب صونگول

AsaletAjans
ajans@asaletyayinlari.com.tr

الأولى - أكتوبر 2023م / ربيع الآخر 1445هـ

الطبعة

دار الأصالّة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة

دار النشر

Asalet Eğitim Danışmanlık

Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret

Sertifika No: 40687

Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd.

Yümni İş Merkezi, No: 16B/16 Vezneciler

Fatih, İSTANBUL-TÜRKİYE

Tel: +90 212 511 85 47

www.asaletyayinlari.com.tr

asalet@asaletyayinlari.com.tr

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti.

Sertifika No: 45522

Göztepe Mh. Bosna Cd. No: 11

Bağcılar/İSTANBUL



كما أن إصداراتنا متاحة على منصتي



Google Play
Books

amazonkindle

Copyright © 2023

دار الأصالّة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة - إسطنبول - © تركيا 2023
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

أركان الإيمان 5

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٥]

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

فِيهِ الْقُدُومُ عَلَى اللَّهِ

تَأْلِيفُ

د. علي محمد محمد الصلابي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

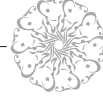
الدُّهُلَاءُ

إلى كلِّ إنسان يبحث عن حقيقة مصير البشرية في هذا الوجود أهدي
هذا الكتاب .

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

علي محمد محمد الصَّالِبِي

المقدمة



إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفريه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

يا ربِّ لك الحمدُ حتى ترضى ، ولك الحمدُ إذا رضيت ، ولك الحمدُ بعد الرضى .

أما بعدُ: فهذا الكتابُ يتحدث عن اليوم الآخر ، الذي أخبرنا به الخالق العظيم ، الرحمن الرحيم ، القوي العزيز ، في كتابه المجيد .

ومن خلال مسيرتي في عالم التاريخ رأيتُ كيف قامت الدول وزالت ، وتوسَّعت الحضارات ثم تبخرت ، كأن لم تغنْ بالأمس ، وكم من ملوك وأمراء ، وقادة وحكام ، وعلماء وفقهاء ، وفلاسفة وعوام من الناس ، لا يحصيهم إلا الذي خلقهم ، قد ماتوا ، وأصبحوا في الأمس الغابر ، ودخلوا في عالم البرزخ العظيم .

هذا الكتاب يتحدث عن مصير البشرية من دون استثناء ، ويعيبُ عن أسئلة حيرت الكثير من العقول لبعدها عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

إنّ هذا العالم الذي نعيش فيه قد اضطربت فيه التصورات ، وانحرفت فيه العقائد عن الله والكون ، والإنسان والحياة ، والقضاء والقدر ، والجنة والنار ، والمسلمون يملكون عقيدةً سليمةً لا يملكها غيرهم ، وحباهم الله بكتابه العزيز ، الذي حفظه من الضياع والتحريف ، وسنة نبينا ﷺ ، وهي شارحةٌ ومبينةٌ لكتاب ربنا عز وجل ، فيامكاننا أن نقدّم للعالم شيئاً يحتاجه ولا يملكه ، ومفتقرٌ إليه ولا يستغني عنه .

إنّ بني البشر يسألون عن مصيرهم ، وإلى أين هم ذاهبون ؟ ويخشون من الموت وأهواله ، ويبحثون عن إجاباتٍ شافيةٍ : ماذا بعد الموت ؟

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [١١٩] فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ وَأَنكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [١١٩] فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] .

في هذا الكتاب إجاباتٌ شافيةٌ ووافيةٌ لتساؤلات الكثير من بني الإنسان قد جمعتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، واسترشدت بأقوال علماء راسخين ، وفقهاء ربانيين ، حفظ الله جهودهم العلمية في أمهات الكتب القديمة والحديثة والمراجع والمصادر الموثوقة .

فهذا الكتاب يتألف من أربعة فصول هي :

الفصل الأول : يتحدّث عن حقيقة الروح ، والموت ، وحياة البرزخ ، ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : يتحدّث عن الروح ، ويبين حقيقتها في القرآن الكريم ، ويجيب على أسئلة متعلقة بها ، هل الروح قديمة أم مخلوقة ؟ وهل النفس هي الروح وما هي مراتب النفوس ؟ وهل تموت الأرواح ؟ وهل للروح كيفية تُعلم ؟ وكيف تقبض الروح في النوم ؟ ومتى يُغلَق باب التوبة ؟ وكيفية نزْع الروح وخروج روح المؤمن ؟

ويشرح الآيات المتعلقة بهذا الأمور كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [١٦] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [١٦] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿يونس: ٦٢ - ٦٤﴾ .

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نَوَفَلْتَهُمُ الْمَلَأَكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[النحل: ٣١-٣٢] .

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿[الفجر: ٢٧ - ٢٨] .

وكذلك الحديث عن خروج روح الكافر واحتضاره ، وشرح الآيات المتعلقة بذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] .

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿[المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] .

وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن الموت وحقيقته ، وأهمية تذكره في حياة الإنسان ، للابتعاد عن المعاصي ، وتليين القلب القاسي ، وتهوين المصائب ، فمن أكثر من ذكر الموت قلَّ فرحه ، وقلَّ حسده ، واستعد للرحيل .

قال الشاعر :

مشيناها خطأ كُتِبَتْ علينا ومَنْ كُتِبَتْ عليه خطأ مشاها
وأرزاقت لنا متفرقاتٍ فَمَنْ لَمْ تَأْتِهِ مِنَّا أتاها
ومَنْ كُتِبَتْ منيته بأرضٍ فليس يموت في أرضٍ سواها

وقال آخر :

هب الدنيا تُسَاقُ إليك عفواً أليس مصيرُ ذاك إلى انتقالٍ

وما دنيأك إلا مثل فيء أظلك ثم أذن بالزول
ويجد القارئ الكريم بيان الحكمة من الموت ، وأن ساعة الموت أخطر لحظة
في عمر الإنسان ، فتزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيئته حين يكون منكراً للحياة
الآخرة ، أو مغروراً بمسلكه المضاد لدين الله ، أو القائم على البدع والخرافات التي
أبعدته عن الإيمان الصحيح والطريق السويّ الموافق للكتاب والسنة .

وأشرت إلى أسباب حُسن الخاتمة ، كإقامة التوحيد لله عز وجل ،
والاستقامة ، والتقوى ، والصدق ، والتوبة ، والدعاء ، وقصر الأمل ، والتفكير
في حقارة الدنيا ، والإكثار من ذكر الموت ، وغلبة الرجاء ، وحسن الظن بالله .
والبعد عن أسباب سوء الخاتمة .

كما بينت أسباب سوء الخاتمة كالشك ، والجحود ، والتعبد بالبدع ،
وتسويق التوبة ، وعدم الاستقامة ، وتعلق القلب بغير الله ، وسوء الظن بالله ،
والإصرار على الذنوب والمعاصي ، ونسيان الآخرة ، وعدم ذكر الموت ،
والظلم .

كما شرحت الآيات التي تحدثت عن قبض أرواح العباد كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا
يُفِرُّونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٧﴾ [الأنعام: ٦٦ -
٦٧] .

وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن حياة البرزخ ، والآيات القرآنية
والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على عذاب القبر ، وما ينتفع به الميت من عمل
الأحياء ، وما يتبع الميت إلى قبره ، وأن القبر أول منازل الآخرة ، والحكمة من
عذاب القبر ونعيمه ، وهل عذاب القبر دائم أم منقطع ؟ وعن أسباب عذاب القبر
والنجا منه ؟ وأين مستقرُّ الأرواح في البرزخ ، كأرواح الأنبياء ، وأرواح
الشهداء ، وأرواح المؤمنين الصالحين وأرواح العصاة وأرواح الكفار .

وفي الفصل الثاني ، كان الحديث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى ،
والنفخ في الصور . ويشتمل هذا الفصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : لخصت فيه مجملَ أشرط الساعة الصغرى .

وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن أشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، كنزول عيسى ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة ، والمهدي ، المسيح الدجال ، والخسوفات الثلاثة ، والنار التي تحشرُ الناس .

وفي المبحث الثالث: النفخُ في الصور ، وما هو الصُّورُ ؟ وما هي عدد النفخات ؟

وفي الفصل الثالث: كان الحديث عن البعث ، والحشر ، وأهوال القيامة ، وأحوال الناس ، ويتضمن هذا الفصل أربعة مباحث :

المبحث الأول: في الحديث عن البعث والأدلة على ذلك وأسماء يوم القيامة .

والمبحث الثاني: خُصِّصَ للحشر وأهوال يوم القيامة ، وشرح الآيات التي تحدّثت عن الحشر بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١] وكقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧] وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

وتكلّمتُ عن مكان الحشر ، وصفة الناس في الحشر ، وأحوالهم ، وخوفهم الشديد ، وبيّنتُ أهوال يوم القيامة التي ذُكرت في القرآن الكريم ، كدك الأرض ، ونسف الجبال ، وقبض الأرض ، وطّي السماء ، وتفجير البحار وتسجيرها ، وموَرَّان السماء وانفطارها ، وتكوين الشمس ، وخسف القمر ، وتناثر النجوم ، وسجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين ، ونزول الملائكة .

ووضحت أحوال الكفار يومَ القيامة كذلّتهم ، وهوانهم ، وحسرتهم ، ويأسهم ، واسوداد وجوههم ، وإحباط أعمالهم ، وفضيحتهم أمام الخلائق ، وتخاصمهم في الموقف ، وتخاصم العابدين والمعبودين والأتباع من القادة المضلين ، والضعفاء مع السادة والملوك ، والمرء مع قرينه وأعضائه ، ومقتهم لأنفسهم ، كلُّ ذلك من خلال القرآن العظيم .

وذكرتُ صفة حشرهم ، كحشرهم وهم عطاش ، وهم عُمي وصم وبكم .
كما كان لأحوال عصاة الموحدين نصيبٌ من الحديث في هذا الكتاب ،
كالذين لا يؤدّون الزكاة ، وأصحاب الغلول ، والمتكبرين ، وغاصبي الأرض ،
والغادرين ، وذوي الوجهين ، والحاكم الذي يحتجب عن رعيته .

كما كان لحال الأتقياء ذكرٌ ، فهم لا يخافون ولا يحزنون ، ولا يفزعون إذا
فزع الناس يوم الفزع الأكبر ، كما أنّ وجوههم بيض ، ويظلمهم الله في ظله يوم
لا ظلّ إلا ظله ، بسبب أعمالهم في الدنيا ، والتي من أهمّها العدل في حكمهم
وأهلهم وما وُلّوا ، والتيسير على المعسرّين ، والذين يسعون في حاجة إخوانهم ،
ويسدّون خلتهم ، والكاظمين الغيظ ، وعتقهم للرقاب .

وفي المبحث الثالث : تكلمت عن الشفاعة ، وذكرت الأدلة القرآنية والنبوية
في ثبوتها ، وأقسامها ، وشروطها وأنواعها ، كاختصاصه ﷺ باستفتاح باب
الجنة ، والشفاعة في أهل الكبائر ، والشفاعة في أقوام يدخلوا الجنة بغير حساب ،
وعن الشفعاء غير النبي ﷺ ، كالملائكة والأنبياء عليهم السلام ، والمؤمنون
الصالحون ، والشهداء ، وأولاد المؤمنين ، والقرآن الكريم .

وكان الحديث عن الأسباب الجالبة للشفاعة : كالتوحيد ، وإخلاص العبادة
لله ، والصيام ، والدعاء بما وردَ عند الأذان ، وسكنى المدينة ، والصبر على
لأوائها ، وكثرة السجود . . .

وفي المبحث الرابع : كان الحديث عن الحساب ، والميزان ، والحوض ،
والصراط ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى مشهدَ الحساب والجزاء فقال تعالى :
﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالْنَبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩] وشرحتُ مجموعةً من الآيات المباركات المتعلقة
بالحساب ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴾ ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾
[الانشقاق: ٧-٨] وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ ﴿ أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ﴿ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ
لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَزْرَ وَزَرٌ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾
[الإسراء: ١٣-١٥] وغيرها من الآيات الكريمة .

ثم كان الحديثُ كذلك عن اقتصاص المظالم بين الخلق ، وعظم شأن الدماء ، وأول ما يقضى فيه بين العباد .

وذكرت الأدلة الشرعية المتعلقة بالحوض والميزان ورأي العلماء في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ولخصت أهم الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة ، كحُسن الخلق ، وتسبيح الله وتحميده .

ووقفتُ مع قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ﴿٧١﴾ ثم نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧١ - ٧٢] وعلاقة هذه الآية بالمرور على الصراط ، ويا له من موقف يشيبُ لهوله الولدان ! ها هي الأمانة على الصراط تقول لكل خائن يمرُّ عليها : أين الأمانة التي ضيَّعتها ؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها ؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين ؟ أين الأمانات التي أبتِ السَّمَاوَاتِ والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت أيها الإنسان ؟ بل ها هي الرحم تتعلق على الصراط لتقول لكل من قطعها : أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا ؟ وماذا ستصنع في اليومِ أمام تلك الأهوال ؟!

قال الشاعر :

أبَتُ نَفْسِي تَتَوَبُّ فَمَا احْتِيَالِي	إِذَا بَرَزَ الْعِبَادُ لَذِي الْجَلَالِ
وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ سُكَارَى	بِأَوْزَارٍ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ
وَقَدْ نُصِبَ الصِّرَاطُ لَكِي يَجُوزُوا	فَمِنْهُمْ مَنْ يُكَبُّ عَلَى الشَّمَالِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسِيرُ لِدَارِ عَدْنٍ	تَلْقَاهُ الْعِرَائِسُ بِالْعَوَالِي
يَقُولُ لَهُ الْمَهْمَنُ يَا وَلِيَّ	غَفَرْتُ لَكَ الذُّنُوبَ فَلَا تُبَالِي

وفي الفصل الرابع : كان الحديثُ عن النار والجنة ، ويشتمل على أربعة مباحث :

أفردتُ المبحث الأول : لمقدمات ، كخلود الجنة والنار ، وكونهما مخلوقتان موجودتان الآن ، ومكانهما ، وأصحاب الأعراف .

وفي المبحث الثاني : تكلمتُ عن النار ، وأسمائها ، وخزنتها ، وصفتها ، وما أعد الله لأهلها ، ومطالبهم فيها ، وصور من عذابها .

وفي المبحث الثالث: أشرتُ إلى موانع إنفاذ الوعيد ، كالتوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، ودعاء المؤمنين ، وإهداء القربات ، والشفاعة لأهل الكبائر ، والمصائب المكفرة والعفو الإلهي .

وفي المبحث الرابع: كان الحديثُ عن الجنة ، والطريق إليها ، وأخلاق أهلها ، وعن أوّل وآخر مَنْ يدخلُها؟ وما أشهرُ أسمائها وصفتها وأصحابها؟ ومَنْ هم سادة أهل الجنة؟ وما هو فضلُ نعيم الجنة على متاع الدنيا؟

ثم فصّلت في نعيم أهل الجنة ، كالحديث عن طعامهم وشرابهم ، ولباسهم ، وحليهم ، وخدمهم ، ونسائهم ، وعن أفضل ما يُعطاه أهل الجنة من النظر إلى وجه الله الكريم ورضوانه العظيم .

وختمت الكتاب بدعاء أهل الجنة قال تعالى: ﴿ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهَا دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠] .

أيها القارئ الكريم؛ أضعُ بين يديك هذا الكتاب ، راجياً من الله أن يحيا قلبك ، وتزداد هدايةً مع كل معرفة جديدة عن ذلك اليوم الذي أخبرنا عنه المولى عز وجل في كتابه بطريقة سهلة ميسرة ، دون عناء ولا شقاء ، فاعملْ لذلك اليوم ، واستعد للقاء العزيز الرحيم في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونٌ إلا من أتى الله بقلب سليم .

أيها القارئ الكريم؛ إن جعتَ في هذه الدار ، أو افتقرتَ ، أو حزنْتَ ، أو مرضتَ ، أو بخستَ حقاً ، أو ذقتَ ظلماً ، فذكرْ نفسك بالنعيم المقيم في جنّات رب العالمين ، إنك إن اعتقدتَ هذه العقيدة ، وعملتَ لهذا المصير ، تحوّلتَ خسائرُك إلى أرباحٍ ، وبلاياك إلى عطايا .

إنَّ أعقل الناس هم الذين يعملون للآخرة ، لأنها خيرٌ وأبقى ، وإنَّ أحمقهم الذين يرون أنَّ هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم ، ومنتهى أمانهم ، فتجدُهم أجزعَ الناس عند المصائب ، وأندَمهم عند الحوادث ، لأنَّهم لا يرون إلا حياتهم الزهيدة الحقيرة ، ولا ينظرون إلا إلى هذه الفانية ، ولا يتفكرون في غيرها ، ولا يعملون لسواها ، فلا يريدون أن يعكّر لهم سرور ، ولا يكدّر عليهم فرح ، ولو أنَّهم خلعوا

حجاب الران عن قلوبهم ، وغطاء الجهل عن عيونهم ، لحدّثوا أنفسهم بدار الخلد ونعيمها وقصورها ، ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها ، إنها والله الدار التي تستحقّ الاهتمام والكّد والجهد ، وهل تأملنا طويلاً في أهل الجنة بأنهم لا يمرضون ، ولا يحزنون ، ولا يموتون ، ولا يفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم ، في غرفٍ يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، يسيرُ الراكبُ تحت الشجرة من أشجارها مئة عام لا يقطعُه ، طولُ الخيمة فيها ستون ميلاً ، أنهارها مطردة ، قصورها منيفة ، قطوفها دانية ، عيونها جارية ، سرورها مرفوعة ، أكوابها موضوعة ، نمارقها مصفوفة ، زرايبها مبنوثة ، عظم حبورها ، فاح عرفها ، منتهى الأمانى فيها ، فما لعقولنا لا تفكر ؟ ! ما لنا لا نتدبّر ؟ ! إذا كان المصيرُ إلى هذه الدار ، فلتخفّ المصائبُ على المصابين ، ولتقرّ عيونُ المنكوبين ، ولتفرح قلوبُ المعدّمين ، وليعمل لرضى رب العالمين العاملون المخلصون^(١) .

أيها القارئ الكريم ؛ إنّ ممّا يثبّت السعادة وينميها ويعمقها أن لا تهتمّ بتوافه الأمور ، فصاحبُ الهمة العالية همّه طلبُ الآخرة ، فيتسامى عن بنيات الطريق ، فاجعل الهمَّ همّاً واحداً ، همّ لقاء الله عزّ وجل ، همّ الوقوف بين يديه ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٨]^(٢) .

قال الشاعر^(٣) :

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ
يَوْمُ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلَهُ
يَوْمُ عَبُوسٍ قُمْطَرِيرُ شَرُّهُ
وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ
يَوْمُ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ
لَفَرَزْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ
وَتَشَيَّبُ فِيهِ مَفَارِقُ الْوُلْدَانِ
فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرُ عَظِيمِ الشَّانِ
دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ
وَفِدَاءٌ عَلَى نُجُبِ مِنَ الْعَقِيَانِ

(١) لا تحزن د . عائض القرني ص (٤٧) .

(٢) لا تحزن ص (٧٩) .

(٣) نونية القحطاني ص (١٩ - ٢٠) .

ويجيء فيه المجرمون إلى لظى
ودخول بعض المسلمين جهنماً
والله يرحمهم بصحة عقدهم
وشفيهم عند الخروج محمداً
حتى إذا طهروا هنالك أدخلوا
فالله يجمعنا وإياهم بها
يتلمظون تلمظ العطشان
بكبار الآثام والطغيان
ويبدلوا من خوفهم بآمان
وطهورهم في شاطئ الحيوان
جنات عدن وهي خير جنان
من غير تعذيب وغير هوان

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأحد في الساعة التاسعة إلا خمس دقائق ليلاً بتاريخ ١١ / ذي الحجة / ١٤٣٠ هـ الموافق لـ: ٢٨ / ١١ / ٢٠٠٩ م بمدينة الدوحة ، والفضل لله من قبل ومن بعد ، أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ، ويشرح صدور العباد لا تنفاج به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر : ٢] .

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم ، معترفاً بفضلته وكرمه وجوده ، متبرئاً من حولي وقوتي ، ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي ، فالله خالقي هو المتفضل ، وربّي الكريم هو المعين ، وإلهي العظيم هو الموفق ، فلو تخلى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي ، لتبدل مني العقل ، ولغابت الذاكرة ، وليست الأصابع ، ولجفت العواطف ، ولتحجرت المشاعر ، ولعجز القلم عن البيان ، اللهم بصّرني بما يرضيك ، واشرح له صدري ، وجنّبي اللهم ما لا يرضيك ، واصرفه عن قلبي وتفكيري ، وأسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی أن تجعل عملي لوجهك خالصاً ، ولعبادك نافعاً ، وأن تشيبي علي كل حرف كتبته وتجعله في ميزان حسناتي ، وأن تثيب إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاك ما كان له وجود ولا انتشار بين الناس ، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ، ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] .

وأختتم هذا الكتاب بقول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

علي محمد محمد الصلابي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

mail:info@ alsllaby.com

website:www.alsllaby.com

* * *

الفصل الأول

حقيقة الروح

والموت وحياة البرزخ

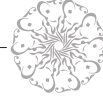
المبحث الأول : حقيقة الروح .

المبحث الثاني : الموت .

المبحث الثالث : حياة البرزخ .

* * *

المبحث الأول



حقيقة الروح

١- الروح في القرآن:

تأتي كلمة الروح في القرآن على عدة أوجه^(١):

المعنى الأول: القرآن ؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] .

المعنى الثاني: الوحي ؛ كقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِّنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] .

المعنى الثالث: جبريل ؛ كقوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] .

المعنى الرابع: القوة والثبات والنصرة ؛ التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين ، كما قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

المعنى الخامس: المسيح ابن مريم ، قال تعالى: ﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٧١] .

(١) الروح لابن القيم ص (٢٤١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص (٣٦٩) .

المعنى السادس: تطلق الروح؛ ويراد بها ما به حياة الإنسان ، كقوله تعالى :
 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]
 فهي الجزء الذي به تحصل الحياة ، والتحرُّك ، واستجلابُ المنافع ، واستدفاعُ المضار^(١) ، وهذا هو المعنى المقصود في كتابنا هذا .

فالروح جسمٌ مخالفٌ بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو : جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء ، ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في الفحم .

فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف ، بقي هذا الجسم اللطيف متشابكاً بهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة .

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخطا عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالم الأرواح^(٢) .

٢- هل الروح قديمة أم مخلوقة:

الروح مخلوقة مبتدعة ، باتفاق العلماء وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور ، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع ، أو من أعلمهم .

والأدلة من الكتاب والسنة الدالة على خلقها كثيرة ، مثل قوله تعالى : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما^(٣) ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] وقوله جل وعلا لزكريا : ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] .

والإنسان اسمٌ لروح الإنسان وبدنه ، وخطابُ الله لزكريا لروحه وبدنه^(٤) ،

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص (٣٦٩) .

(٢) الروح لابن القيم ص (٢٢٦ ، ٢٧٢ - ٣٠٠) .

(٣) شرح الطحاوية ص (٢٤٢) .

(٤) اليوم الآخر ، القيامة الصغرى د . عمر الأشقر ص (٩٥) .

فالإنسان عبارة عن البدن والروح معاً ، بل الروح أخصُّ منه بالبدن ، وإِنَّمَا البدن مطيةٌ للروح^(١) .

وقد جاء الكثير من النصوص عن النبي ﷺ أَنَّ الأرواح تُقبَضُ ، وتُوضَعُ في كفنٍ وحنوطٍ تأتي بهما الملائكة ، ويضعَدُ بهما ، وتُنَعَّمُ ، وتُعَذَّبُ ، وتُمْسَكُ بالنوم ، وتُرْسَلُ ، وكلُّ هذا شأنُ المخلوق المُحدث^(٢) .

ولو لم تكن الروح مخلوقةً مربوبةً لما أقرت بالربوبية ، وقد قال الله للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد وهم في عالم الذر : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا : بلى ، وذلك ما قرره الحق في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وما دام هو ربُّهم ، فإنَّهم مربوبون مخلوقون^(٣) .

ولو كانت الروح غير مخلوقةٍ فإنها لا تدخل النار ، ولا تعذب ، ولا تُحجَبُ عن الله ، ولا تغيب في البدن ، ولا يملكها ملك الموت ، ولما كانت صورة توصف ، ولم تحاسب ، ولم تعذب ، ولم تتعبد ، ولم تخف ، ولم ترج ، ولأنَّ أرواح المؤمنين تتلأأ ، فأرواح الكفار سودٌ مثل الفحم^(٤) .

والردُّ على مَنْ زعم أنَّ الروح غيرُ مخلوقةٍ وأنها جزءٌ من ذات الله تعالى كما يقال هذه الخرقَةُ من هذا الثوب ، فالمراد بقوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] ، أي إنها تكونت بأمره ، أو لآنها بكلمته كانت ، و (الأمر) في القرآن يذكر ، ويراد به المصدرُ تارةً ، ويرادُّ به المفعولُ تارةً أخرى ، وهو (المأمور به) كقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١] أي المأمور به .

ويمكن أن يقال أيضاً : إنَّ لفظة (من) في قوله ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ لا ابتداء الغاية ، وليس نصّاً في أنَّ الروح بعضُ الأمرِ ومن جنسه ، بل هي لا ابتداء الغاية ، إذ

(١) فتاوى ابن تيمية (٤ / ٢٢٢) .

(٢) اليوم الآخر ، القيامة الصغرى ص (٩٥) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٢٠) .

كونت بالأمر ، وصدرت عنه ، وهذا مثل قوله : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي من أمره كان الروح ، وكقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣] ونظير هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] أي منه صدرت ولم تكن بعض ذاته^(١) .

وأما قوله تعالى في آدم : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩] وقوله في مريم : ﴿ فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء: ٩١] فينبغي أن يُعلم أنَّ المضاف إلى الله تعالى نوعان :

الأول: صفات لا تقوم إلا به ، كالعلم والقدرة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، فهذه إضافة صفة إلى موصوف بها ، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له ، وكذا وجهه ويده سبحانه .

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه ، كالبيت ، والناقة ، والعبد ، والرسول ، والروح . كقوله تعالى : ﴿ نَافَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴾ [الشمس: ١٣] وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: ١] وقوله : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ [الحج: ٢٦] فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً ، يتميز بها المضاف إلى غيره^(٢) .

٣- هل النفس هي الروح؟

إنَّ النفسَ تطلق على أمور ، وكذلك الروح ، فيتحد مدلولهما تارةً ، ويختلف تارةً ، فالنفس تطلق على الروح ، ولكن غالب ما تسمى نفساً إذا كانت متصلةً بالبدن ، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها ، وتطلق على الدم ، ففي الحديث : « ما لا نفس له سائلة لا يُنجس الماء إذا مات فيه »^(٣) .

والنفس: العين ، يقال : أصابت فلاناً نفس : أي عين .

والنفس: الذات ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ [النور: ٦١] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] ونحو ذلك .

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٢٦ - ٢٣٥) .

(٢) شرح الطحاوية ص (٤٤٢) القيامة الصغرى ص (٩٩) .

(٣) البيهقي (١ / ٢٥٣) ، حديث ضعيف .

وأما الروح ، فلا تطلقُ على البدن ، لا بانفراده ، ولا مع النفس ، وتطلق الروحُ على القرآن ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وعلى جبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وتطلق الروحُ على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً ، وأما ما يؤيد الله به أوليائه ، فهي روحُ خرى ، كما قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

وكذلك القوى التي في البدن ، فإنها تسمى أرواحاً ، فيقال : الروحُ الباصر ، والروحُ السامع ، والروحُ الشام .

وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو : قوة المعرفة بالله ، والإنابة إليه ، ومحبة ، وانبعاث الهممة إلى طلبه وإرادته ، ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن ، فللعلم روحٌ ، وللإحسان روحٌ ، وللمحبة روحٌ ، وللتوكل روحٌ ، وللصدق روحٌ ، والناس متفاوتون في هذه الروح : فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانياً ، ومنهم من يفقدها فيصير أرضياً بهيمياً^(١) .

٤- مراتب النفوس:

أخبرنا الحق سبحانه وتعالى أنَّ النفوسَ ثلاثة أنواع :

النفس الأمارة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] .

والنفس اللوامة ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] .

والنفس المطمئنة ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلْ فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلْ جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] .

والتحقيق : أنها نفسٌ واحدة ، لها صفاتٌ ، فهي أمارة بالسوء ، فإذا عارضها الإيمانُ صارت لوامةً ، تفعل الذنبَ ، ثم تلومُ صاحبها ، وتلوم بين الفعل والترك ، فإذا قوي الإيمانُ صارت مطمئنة^(٢) .

(١) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية عبد الآخر الغنيمي ص (٢٣٥) .

(٢) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية .

٥- هل تموت الأرواح؟

الأرواح مخلوقة بلا شك ، وهي لا تعدم ولا تفنى ، ولكن موتها بمفارقة الأبدان ، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان^(١) ، وقد دلت على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقة الأجساد إلى أن يرجعها الله إليها ، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ [الدخان: ٥٦] وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد^(٢) .

٦- هل للروح كيفية تعلم؟

لما كانت الروح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات ، فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها ، فقد عرفنا الله أنها تصعد وتهبط ، وتسمع ، وتبصر ، وتتكلم . . . إلى غير ذلك ، إلا أن هذه الصفات مخالفة لصفات الأجسام المعروفة ، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرها وقيامها وقعودها من جنس ما نعرفه ونعلمه ، فقد أخبرنا الرسول الكريم ﷺ أن الروح يُصعدُ بها إلى السماوات العلا ، ثم تُعاد إلى القبر ، ساعة من الزمن ، كما أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر ، ولا شك أن هذا النعيم على نحو مخالف لما نعلمه ونعرفه^(٣) .

٧- قبض الروح بالنوم:

من أحكام الروح أنها تُقبض عند النوم ، وهي ما تسمى الوفاة الصغرى ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه الكريم قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢] .

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : سرنا مع النبي ﷺ ليلة ، فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله .

قال ﷺ : « أخاف أن تناموا عن الصلاة » .

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٧٩) .

(٢) شرح الطحاوية ص (٤٤٦) .

(٣) القيامة الصغرى د . عمر الأشقر ص ٨٧ .

قال بلال: أنا أوقظكم فاضجعوا ، وأسند بلال ظهره إلى راحلته ، فغلبته عيناه فنام ، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجبُ الشمس فقال ﷺ : « يا بلال أين ما قلت ؟ » .

قال : ما ألقيت عليّ نومةً مثلها قط .

قال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَوْرَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ ، يَا بِلَالُ قُمْ فَأَذِّنْ بِلِلنَّاسِ بِالصَّلَاةِ » فتوضأ ، فلما ارتفعت الشمس ، وابتضت ، قام فصلى^(١) .

٨- فتح باب التوبة إلى الغرغرة:

الغرغرة: هي لحظة نزع الروح وخروجها ، وهناك علاقة بين الروح والتوبة ، فما دامت الروح مستقرّة في البدن فبابُ التوبة مفتوح^(٢) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ [النساء : ١٧ - ١٨] .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ أي : ما كان دون الموت فهو قريب ، وقال الحسن البصري : ما لم يغرغر^(٣) .

ولقد دلت الأحاديث الصحيحة على أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وهو يرجو الحياة ، فَإِنْ تَوَبَّته مقبولةً ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ ۝١٨ ۝١٩ ۝٢٠ ۝٢١ ۝٢٢ ۝٢٣ ۝٢٤ ۝٢٥ ۝٢٦ ۝٢٧ ۝٢٨ ۝٢٩ ۝٣٠ ۝٣١ ۝٣٢ ۝٣٣ ۝٣٤ ۝٣٥ ۝٣٦ ۝٣٧ ۝٣٨ ۝٣٩ ۝٤٠ ۝٤١ ۝٤٢ ۝٤٣ ۝٤٤ ۝٤٥ ۝٤٦ ۝٤٧ ۝٤٨ ۝٤٩ ۝٥٠ ۝٥١ ۝٥٢ ۝٥٣ ۝٥٤ ۝٥٥ ۝٥٦ ۝٥٧ ۝٥٨ ۝٥٩ ۝٦٠ ۝٦١ ۝٦٢ ۝٦٣ ۝٦٤ ۝٦٥ ۝٦٦ ۝٦٧ ۝٦٨ ۝٦٩ ۝٧٠ ۝٧١ ۝٧٢ ۝٧٣ ۝٧٤ ۝٧٥ ۝٧٦ ۝٧٧ ۝٧٨ ۝٧٩ ۝٨٠ ۝٨١ ۝٨٢ ۝٨٣ ۝٨٤ ۝٨٥ ۝٨٦ ۝٨٧ ۝٨٨ ۝٨٩ ۝٩٠ ۝٩١ ۝٩٢ ۝٩٣ ۝٩٤ ۝٩٥ ۝٩٦ ۝٩٧ ۝٩٨ ۝٩٩ ۝١٠٠ ۝١٠١ ۝١٠٢ ۝١٠٣ ۝١٠٤ ۝١٠٥ ۝١٠٦ ۝١٠٧ ۝١٠٨ ۝١٠٩ ۝١١٠ ۝١١١ ۝١١٢ ۝١١٣ ۝١١٤ ۝١١٥ ۝١١٦ ۝١١٧ ۝١١٨ ۝١١٩ ۝١٢٠ ۝١٢١ ۝١٢٢ ۝١٢٣ ۝١٢٤ ۝١٢٥ ۝١٢٦ ۝١٢٧ ۝١٢٨ ۝١٢٩ ۝١٣٠ ۝١٣١ ۝١٣٢ ۝١٣٣ ۝١٣٤ ۝١٣٥ ۝١٣٦ ۝١٣٧ ۝١٣٨ ۝١٣٩ ۝١٤٠ ۝١٤١ ۝١٤٢ ۝١٤٣ ۝١٤٤ ۝١٤٥ ۝١٤٦ ۝١٤٧ ۝١٤٨ ۝١٤٩ ۝١٥٠ ۝١٥١ ۝١٥٢ ۝١٥٣ ۝١٥٤ ۝١٥٥ ۝١٥٦ ۝١٥٧ ۝١٥٨ ۝١٥٩ ۝١٦٠ ۝١٦١ ۝١٦٢ ۝١٦٣ ۝١٦٤ ۝١٦٥ ۝١٦٦ ۝١٦٧ ۝١٦٨ ۝١٦٩ ۝١٧٠ ۝١٧١ ۝١٧٢ ۝١٧٣ ۝١٧٤ ۝١٧٥ ۝١٧٦ ۝١٧٧ ۝١٧٨ ۝١٧٩ ۝١٨٠ ۝١٨١ ۝١٨٢ ۝١٨٣ ۝١٨٤ ۝١٨٥ ۝١٨٦ ۝١٨٧ ۝١٨٨ ۝١٨٩ ۝١٩٠ ۝١٩١ ۝١٩٢ ۝١٩٣ ۝١٩٤ ۝١٩٥ ۝١٩٦ ۝١٩٧ ۝١٩٨ ۝١٩٩ ۝٢٠٠ ۝٢٠١ ۝٢٠٢ ۝٢٠٣ ۝٢٠٤ ۝٢٠٥ ۝٢٠٦ ۝٢٠٧ ۝٢٠٨ ۝٢٠٩ ۝٢١٠ ۝٢١١ ۝٢١٢ ۝٢١٣ ۝٢١٤ ۝٢١٥ ۝٢١٦ ۝٢١٧ ۝٢١٨ ۝٢١٩ ۝٢٢٠ ۝٢٢١ ۝٢٢٢ ۝٢٢٣ ۝٢٢٤ ۝٢٢٥ ۝٢٢٦ ۝٢٢٧ ۝٢٢٨ ۝٢٢٩ ۝٢٣٠ ۝٢٣١ ۝٢٣٢ ۝٢٣٣ ۝٢٣٤ ۝٢٣٥ ۝٢٣٦ ۝٢٣٧ ۝٢٣٨ ۝٢٣٩ ۝٢٤٠ ۝٢٤١ ۝٢٤٢ ۝٢٤٣ ۝٢٤٤ ۝٢٤٥ ۝٢٤٦ ۝٢٤٧ ۝٢٤٨ ۝٢٤٩ ۝٢٥٠ ۝٢٥١ ۝٢٥٢ ۝٢٥٣ ۝٢٥٤ ۝٢٥٥ ۝٢٥٦ ۝٢٥٧ ۝٢٥٨ ۝٢٥٩ ۝٢٦٠ ۝٢٦١ ۝٢٦٢ ۝٢٦٣ ۝٢٦٤ ۝٢٦٥ ۝٢٦٦ ۝٢٦٧ ۝٢٦٨ ۝٢٦٩ ۝٢٧٠ ۝٢٧١ ۝٢٧٢ ۝٢٧٣ ۝٢٧٤ ۝٢٧٥ ۝٢٧٦ ۝٢٧٧ ۝٢٧٨ ۝٢٧٩ ۝٢٨٠ ۝٢٨١ ۝٢٨٢ ۝٢٨٣ ۝٢٨٤ ۝٢٨٥ ۝٢٨٦ ۝٢٨٧ ۝٢٨٨ ۝٢٨٩ ۝٢٩٠ ۝٢٩١ ۝٢٩٢ ۝٢٩٣ ۝٢٩٤ ۝٢٩٥ ۝٢٩٦ ۝٢٩٧ ۝٢٩٨ ۝٢٩٩ ۝٣٠٠ ۝٣٠١ ۝٣٠٢ ۝٣٠٣ ۝٣٠٤ ۝٣٠٥ ۝٣٠٦ ۝٣٠٧ ۝٣٠٨ ۝٣٠٩ ۝٣١٠ ۝٣١١ ۝٣١٢ ۝٣١٣ ۝٣١٤ ۝٣١٥ ۝٣١٦ ۝٣١٧ ۝٣١٨ ۝٣١٩ ۝٣٢٠ ۝٣٢١ ۝٣٢٢ ۝٣٢٣ ۝٣٢٤ ۝٣٢٥ ۝٣٢٦ ۝٣٢٧ ۝٣٢٨ ۝٣٢٩ ۝٣٣٠ ۝٣٣١ ۝٣٣٢ ۝٣٣٣ ۝٣٣٤ ۝٣٣٥ ۝٣٣٦ ۝٣٣٧ ۝٣٣٨ ۝٣٣٩ ۝٣٤٠ ۝٣٤١ ۝٣٤٢ ۝٣٤٣ ۝٣٤٤ ۝٣٤٥ ۝٣٤٦ ۝٣٤٧ ۝٣٤٨ ۝٣٤٩ ۝٣٥٠ ۝٣٥١ ۝٣٥٢ ۝٣٥٣ ۝٣٥٤ ۝٣٥٥ ۝٣٥٦ ۝٣٥٧ ۝٣٥٨ ۝٣٥٩ ۝٣٦٠ ۝٣٦١ ۝٣٦٢ ۝٣٦٣ ۝٣٦٤ ۝٣٦٥ ۝٣٦٦ ۝٣٦٧ ۝٣٦٨ ۝٣٦٩ ۝٣٧٠ ۝٣٧١ ۝٣٧٢ ۝٣٧٣ ۝٣٧٤ ۝٣٧٥ ۝٣٧٦ ۝٣٧٧ ۝٣٧٨ ۝٣٧٩ ۝٣٨٠ ۝٣٨١ ۝٣٨٢ ۝٣٨٣ ۝٣٨٤ ۝٣٨٥ ۝٣٨٦ ۝٣٨٧ ۝٣٨٨ ۝٣٨٩ ۝٣٩٠ ۝٣٩١ ۝٣٩٢ ۝٣٩٣ ۝٣٩٤ ۝٣٩٥ ۝٣٩٦ ۝٣٩٧ ۝٣٩٨ ۝٣٩٩ ۝٤٠٠ ۝٤٠١ ۝٤٠٢ ۝٤٠٣ ۝٤٠٤ ۝٤٠٥ ۝٤٠٦ ۝٤٠٧ ۝٤٠٨ ۝٤٠٩ ۝٤١٠ ۝٤١١ ۝٤١٢ ۝٤١٣ ۝٤١٤ ۝٤١٥ ۝٤١٦ ۝٤١٧ ۝٤١٨ ۝٤١٩ ۝٤٢٠ ۝٤٢١ ۝٤٢٢ ۝٤٢٣ ۝٤٢٤ ۝٤٢٥ ۝٤٢٦ ۝٤٢٧ ۝٤٢٨ ۝٤٢٩ ۝٤٣٠ ۝٤٣١ ۝٤٣٢ ۝٤٣٣ ۝٤٣٤ ۝٤٣٥ ۝٤٣٦ ۝٤٣٧ ۝٤٣٨ ۝٤٣٩ ۝٤٤٠ ۝٤٤١ ۝٤٤٢ ۝٤٤٣ ۝٤٤٤ ۝٤٤٥ ۝٤٤٦ ۝٤٤٧ ۝٤٤٨ ۝٤٤٩ ۝٤٥٠ ۝٤٥١ ۝٤٥٢ ۝٤٥٣ ۝٤٥٤ ۝٤٥٥ ۝٤٥٦ ۝٤٥٧ ۝٤٥٨ ۝٤٥٩ ۝٤٦٠ ۝٤٦١ ۝٤٦٢ ۝٤٦٣ ۝٤٦٤ ۝٤٦٥ ۝٤٦٦ ۝٤٦٧ ۝٤٦٨ ۝٤٦٩ ۝٤٧٠ ۝٤٧١ ۝٤٧٢ ۝٤٧٣ ۝٤٧٤ ۝٤٧٥ ۝٤٧٦ ۝٤٧٧ ۝٤٧٨ ۝٤٧٩ ۝٤٨٠ ۝٤٨١ ۝٤٨٢ ۝٤٨٣ ۝٤٨٤ ۝٤٨٥ ۝٤٨٦ ۝٤٨٧ ۝٤٨٨ ۝٤٨٩ ۝٤٩٠ ۝٤٩١ ۝٤٩٢ ۝٤٩٣ ۝٤٩٤ ۝٤٩٥ ۝٤٩٦ ۝٤٩٧ ۝٤٩٨ ۝٤٩٩ ۝٥٠٠ ۝٥٠١ ۝٥٠٢ ۝٥٠٣ ۝٥٠٤ ۝٥٠٥ ۝٥٠٦ ۝٥٠٧ ۝٥٠٨ ۝٥٠٩ ۝٥١٠ ۝٥١١ ۝٥١٢ ۝٥١٣ ۝٥١٤ ۝٥١٥ ۝٥١٦ ۝٥١٧ ۝٥١٨ ۝٥١٩ ۝٥٢٠ ۝٥٢١ ۝٥٢٢ ۝٥٢٣ ۝٥٢٤ ۝٥٢٥ ۝٥٢٦ ۝٥٢٧ ۝٥٢٨ ۝٥٢٩ ۝٥٣٠ ۝٥٣١ ۝٥٣٢ ۝٥٣٣ ۝٥٣٤ ۝٥٣٥ ۝٥٣٦ ۝٥٣٧ ۝٥٣٨ ۝٥٣٩ ۝٥٤٠ ۝٥٤١ ۝٥٤٢ ۝٥٤٣ ۝٥٤٤ ۝٥٤٥ ۝٥٤٦ ۝٥٤٧ ۝٥٤٨ ۝٥٤٩ ۝٥٥٠ ۝٥٥١ ۝٥٥٢ ۝٥٥٣ ۝٥٥٤ ۝٥٥٥ ۝٥٥٦ ۝٥٥٧ ۝٥٥٨ ۝٥٥٩ ۝٥٦٠ ۝٥٦١ ۝٥٦٢ ۝٥٦٣ ۝٥٦٤ ۝٥٦٥ ۝٥٦٦ ۝٥٦٧ ۝٥٦٨ ۝٥٦٩ ۝٥٧٠ ۝٥٧١ ۝٥٧٢ ۝٥٧٣ ۝٥٧٤ ۝٥٧٥ ۝٥٧٦ ۝٥٧٧ ۝٥٧٨ ۝٥٧٩ ۝٥٨٠ ۝٥٨١ ۝٥٨٢ ۝٥٨٣ ۝٥٨٤ ۝٥٨٥ ۝٥٨٦ ۝٥٨٧ ۝٥٨٨ ۝٥٨٩ ۝٥٩٠ ۝٥٩١ ۝٥٩٢ ۝٥٩٣ ۝٥٩٤ ۝٥٩٥ ۝٥٩٦ ۝٥٩٧ ۝٥٩٨ ۝٥٩٩ ۝٦٠٠ ۝٦٠١ ۝٦٠٢ ۝٦٠٣ ۝٦٠٤ ۝٦٠٥ ۝٦٠٦ ۝٦٠٧ ۝٦٠٨ ۝٦٠٩ ۝٦١٠ ۝٦١١ ۝٦١٢ ۝٦١٣ ۝٦١٤ ۝٦١٥ ۝٦١٦ ۝٦١٧ ۝٦١٨ ۝٦١٩ ۝٦٢٠ ۝٦٢١ ۝٦٢٢ ۝٦٢٣ ۝٦٢٤ ۝٦٢٥ ۝٦٢٦ ۝٦٢٧ ۝٦٢٨ ۝٦٢٩ ۝٦٣٠ ۝٦٣١ ۝٦٣٢ ۝٦٣٣ ۝٦٣٤ ۝٦٣٥ ۝٦٣٦ ۝٦٣٧ ۝٦٣٨ ۝٦٣٩ ۝٦٤٠ ۝٦٤١ ۝٦٤٢ ۝٦٤٣ ۝٦٤٤ ۝٦٤٥ ۝٦٤٦ ۝٦٤٧ ۝٦٤٨ ۝٦٤٩ ۝٦٥٠ ۝٦٥١ ۝٦٥٢ ۝٦٥٣ ۝٦٥٤ ۝٦٥٥ ۝٦٥٦ ۝٦٥٧ ۝٦٥٨ ۝٦٥٩ ۝٦٦٠ ۝٦٦١ ۝٦٦٢ ۝٦٦٣ ۝٦٦٤ ۝٦٦٥ ۝٦٦٦ ۝٦٦٧ ۝٦٦٨ ۝٦٦٩ ۝٦٧٠ ۝٦٧١ ۝٦٧٢ ۝٦٧٣ ۝٦٧٤ ۝٦٧٥ ۝٦٧٦ ۝٦٧٧ ۝٦٧٨ ۝٦٧٩ ۝٦٨٠ ۝٦٨١ ۝٦٨٢ ۝٦٨٣ ۝٦٨٤ ۝٦٨٥ ۝٦٨٦ ۝٦٨٧ ۝٦٨٨ ۝٦٨٩ ۝٦٩٠ ۝٦٩١ ۝٦٩٢ ۝٦٩٣ ۝٦٩٤ ۝٦٩٥ ۝٦٩٦ ۝٦٩٧ ۝٦٩٨ ۝٦٩٩ ۝٧٠٠ ۝٧٠١ ۝٧٠٢ ۝٧٠٣ ۝٧٠٤ ۝٧٠٥ ۝٧٠٦ ۝٧٠٧ ۝٧٠٨ ۝٧٠٩ ۝٧١٠ ۝٧١١ ۝٧١٢ ۝٧١٣ ۝٧١٤ ۝٧١٥ ۝٧١٦ ۝٧١٧ ۝٧١٨ ۝٧١٩ ۝٧٢٠ ۝٧٢١ ۝٧٢٢ ۝٧٢٣ ۝٧٢٤ ۝٧٢٥ ۝٧٢٦ ۝٧٢٧ ۝٧٢٨ ۝٧٢٩ ۝٧٣٠ ۝٧٣١ ۝٧٣٢ ۝٧٣٣ ۝٧٣٤ ۝٧٣٥ ۝٧٣٦ ۝٧٣٧ ۝٧٣٨ ۝٧٣٩ ۝٧٤٠ ۝٧٤١ ۝٧٤٢ ۝٧٤٣ ۝٧٤٤ ۝٧٤٥ ۝٧٤٦ ۝٧٤٧ ۝٧٤٨ ۝٧٤٩ ۝٧٥٠ ۝٧٥١ ۝٧٥٢ ۝٧٥٣ ۝٧٥٤ ۝٧٥٥ ۝٧٥٦ ۝٧٥٧ ۝٧٥٨ ۝٧٥٩ ۝٧٦٠ ۝٧٦١ ۝٧٦٢ ۝٧٦٣ ۝٧٦٤ ۝٧٦٥ ۝٧٦٦ ۝٧٦٧ ۝٧٦٨ ۝٧٦٩ ۝٧٧٠ ۝٧٧١ ۝٧٧٢ ۝٧٧٣ ۝٧٧٤ ۝٧٧٥ ۝٧٧٦ ۝٧٧٧ ۝٧٧٨ ۝٧٧٩ ۝٧٨٠ ۝٧٨١ ۝٧٨٢ ۝٧٨٣ ۝٧٨٤ ۝٧٨٥ ۝٧٨٦ ۝٧٨٧ ۝٧٨٨ ۝٧٨٩ ۝٧٩٠ ۝٧٩١ ۝٧٩٢ ۝٧٩٣ ۝٧٩٤ ۝٧٩٥ ۝٧٩٦ ۝٧٩٧ ۝٧٩٨ ۝٧٩٩ ۝٨٠٠ ۝٨٠١ ۝٨٠٢ ۝٨٠٣ ۝٨٠٤ ۝٨٠٥ ۝٨٠٦ ۝٨٠٧ ۝٨٠٨ ۝٨٠٩ ۝٨١٠ ۝٨١١ ۝٨١٢ ۝٨١٣ ۝٨١٤ ۝٨١٥ ۝٨١٦ ۝٨١٧ ۝٨١٨ ۝٨١٩ ۝٨٢٠ ۝٨٢١ ۝٨٢٢ ۝٨٢٣ ۝٨٢٤ ۝٨٢٥ ۝٨٢٦ ۝٨٢٧ ۝٨٢٨ ۝٨٢٩ ۝٨٣٠ ۝٨٣١ ۝٨٣٢ ۝٨٣٣ ۝٨٣٤ ۝٨٣٥ ۝٨٣٦ ۝٨٣٧ ۝٨٣٨ ۝٨٣٩ ۝٨٤٠ ۝٨٤١ ۝٨٤٢ ۝٨٤٣ ۝٨٤٤ ۝٨٤٥ ۝٨٤٦ ۝٨٤٧ ۝٨٤٨ ۝٨٤٩ ۝٨٥٠ ۝٨٥١ ۝٨٥٢ ۝٨٥٣ ۝٨٥٤ ۝٨٥٥ ۝٨٥٦ ۝٨٥٧ ۝٨٥٨ ۝٨٥٩ ۝٨٦٠ ۝٨٦١ ۝٨٦٢ ۝٨٦٣ ۝٨٦٤ ۝٨٦٥ ۝٨٦٦ ۝٨٦٧ ۝٨٦٨ ۝٨٦٩ ۝٨٧٠ ۝٨٧١ ۝٨٧٢ ۝٨٧٣ ۝٨٧٤ ۝٨٧٥ ۝٨٧٦ ۝٨٧٧ ۝٨٧٨ ۝٨٧٩ ۝٨٨٠ ۝٨٨١ ۝٨٨٢ ۝٨٨٣ ۝٨٨٤ ۝٨٨٥ ۝٨٨٦ ۝٨٨٧ ۝٨٨٨ ۝٨٨٩ ۝٨٩٠ ۝٨٩١ ۝٨٩٢ ۝٨٩٣ ۝٨٩٤ ۝٨٩٥ ۝٨٩٦ ۝٨٩٧ ۝٨٩٨ ۝٨٩٩ ۝٩٠٠ ۝٩٠١ ۝٩٠٢ ۝٩٠٣ ۝٩٠٤ ۝٩٠٥ ۝٩٠٦ ۝٩٠٧ ۝٩٠٨ ۝٩٠٩ ۝٩١٠ ۝٩١١ ۝٩١٢ ۝٩١٣ ۝٩١٤ ۝٩١٥ ۝٩١٦ ۝٩١٧ ۝٩١٨ ۝٩١٩ ۝٩٢٠ ۝٩٢١ ۝٩٢٢ ۝٩٢٣ ۝٩٢٤ ۝٩٢٥ ۝٩٢٦ ۝٩٢٧ ۝٩٢٨ ۝٩٢٩ ۝٩٣٠ ۝٩٣١ ۝٩٣٢ ۝٩٣٣ ۝٩٣٤ ۝٩٣٥ ۝٩٣٦ ۝٩٣٧ ۝٩٣٨ ۝٩٣٩ ۝٩٤٠ ۝٩٤١ ۝٩٤٢ ۝٩٤٣ ۝٩٤٤ ۝٩٤٥ ۝٩٤٦ ۝٩٤٧ ۝٩٤٨ ۝٩٤٩ ۝٩٥٠ ۝٩٥١ ۝٩٥٢ ۝٩٥٣ ۝٩٥٤ ۝٩٥٥ ۝٩٥٦ ۝٩٥٧ ۝٩٥٨ ۝٩٥٩ ۝٩٦٠ ۝٩٦١ ۝٩٦٢ ۝٩٦٣ ۝٩٦٤ ۝٩٦٥ ۝٩٦٦ ۝٩٦٧ ۝٩٦٨ ۝٩٦٩ ۝٩٧٠ ۝٩٧١ ۝٩٧٢ ۝٩٧٣ ۝٩٧٤ ۝٩٧٥ ۝٩٧٦ ۝٩٧٧ ۝٩٧٨ ۝٩٧٩ ۝٩٨٠ ۝٩٨١ ۝٩٨٢ ۝٩٨٣ ۝٩٨٤ ۝٩٨٥ ۝٩٨٦ ۝٩٨٧ ۝٩٨٨ ۝٩٨٩ ۝٩٩٠ ۝٩٩١ ۝٩٩٢ ۝٩٩٣ ۝٩٩٤ ۝٩٩٥ ۝٩٩٦ ۝٩٩٧ ۝٩٩٨ ۝٩٩٩ ۝١٠٠٠ ۝١٠٠١ ۝١٠٠٢ ۝١٠٠٣ ۝١٠٠٤ ۝١٠٠٥ ۝١٠٠٦ ۝١٠٠٧ ۝١٠٠٨ ۝١٠٠٩ ۝١٠١٠ ۝١٠١١ ۝١٠١٢ ۝١٠١٣ ۝١٠١٤ ۝١٠١٥ ۝١٠١٦ ۝١٠١٧ ۝١٠١٨ ۝١٠١٩ ۝١٠٢٠ ۝١٠٢١ ۝١٠٢٢ ۝١٠٢٣ ۝١٠٢٤ ۝١٠٢٥ ۝١٠٢٦ ۝١٠٢٧ ۝١٠٢٨ ۝١٠٢٩ ۝١٠٣٠ ۝١٠٣١ ۝١٠٣٢ ۝١٠٣٣ ۝١٠٣٤ ۝١٠٣٥ ۝١٠٣٦ ۝١٠٣٧ ۝١٠٣٨ ۝١٠٣٩ ۝١٠٤٠ ۝١٠٤١ ۝١٠٤٢ ۝١٠٤٣ ۝١٠٤٤ ۝١٠٤٥ ۝١٠٤٦ ۝١٠٤٧ ۝١٠٤٨ ۝١٠٤٩ ۝١٠٥٠ ۝١٠٥١ ۝١٠٥٢ ۝١٠٥٣ ۝١٠٥٤ ۝١٠٥٥ ۝١٠٥٦ ۝١٠٥٧ ۝١٠٥٨ ۝١٠٥٩ ۝١٠٦٠ ۝١٠٦١ ۝١٠٦٢ ۝١٠٦٣ ۝١٠٦٤ ۝١٠٦٥ ۝١٠٦٦ ۝١٠٦٧ ۝١٠٦٨ ۝١٠٦٩ ۝١٠٧٠ ۝١٠٧١ ۝١٠٧٢ ۝١٠٧٣ ۝١٠٧٤ ۝١٠٧٥ ۝١٠٧٦ ۝١٠٧٧ ۝١٠٧٨ ۝١٠٧٩ ۝١٠٨٠ ۝١٠٨١ ۝١٠٨٢ ۝١٠٨٣ ۝١٠٨٤ ۝١٠٨٥ ۝١٠٨٦ ۝١٠٨٧ ۝١٠٨٨ ۝١٠٨٩ ۝١٠٩٠ ۝١٠٩١ ۝١٠٩٢ ۝١٠٩٣ ۝١٠٩٤ ۝١٠٩٥ ۝١٠٩٦ ۝١٠٩٧ ۝١٠٩٨ ۝١٠٩٩ ۝١١٠٠ ۝١١٠١ ۝١١٠٢ ۝١١٠٣ ۝١١٠٤ ۝١١٠٥ ۝١١٠٦ ۝١١٠٧ ۝١١٠٨ ۝١١٠٩ ۝١١١٠ ۝١١١١ ۝١١١٢ ۝١١١٣ ۝١١١٤ ۝١١١٥ ۝١١١٦ ۝١١١٧ ۝١١١٨ ۝١١١٩ ۝١١٢٠ ۝١١٢١ ۝١١٢٢ ۝١١٢٣ ۝١١٢٤ ۝١١٢٥ ۝١١٢٦ ۝١١٢٧ ۝١١٢٨ ۝١١٢٩ ۝١١٣٠ ۝١١٣١ ۝١١٣٢ ۝١١٣٣ ۝١١٣٤ ۝١١٣٥ ۝١١٣٦ ۝١١٣٧ ۝١١٣٨ ۝١١٣٩ ۝١١٤٠ ۝١١٤١ ۝١١٤٢ ۝١١٤٣ ۝١١٤٤ ۝١١٤٥ ۝١١٤٦ ۝١١٤٧ ۝١١٤٨ ۝١١٤٩ ۝١١٥٠ ۝١١٥١ ۝١١٥٢ ۝١١٥٣ ۝١١٥٤ ۝١١٥٥ ۝١١٥٦ ۝١١٥٧ ۝١١٥٨ ۝١١٥٩ ۝١١٦٠ ۝١١٦١ ۝١١٦٢ ۝١١٦٣ ۝١١٦٤ ۝١١٦٥ ۝١١٦٦ ۝١١٦٧ ۝١١٦٨ ۝١١٦٩ ۝١١٧٠ ۝١١٧١ ۝١١٧٢ ۝١١٧٣ ۝١١٧٤ ۝١١٧٥ ۝١١٧٦ ۝١١٧٧ ۝١١٧٨ ۝١١٧٩ ۝١١٨٠ ۝١١٨١ ۝١١٨٢ ۝١١٨٣ ۝١١٨٤ ۝١١٨٥ ۝١١٨٦ ۝١١٨٧ ۝١١٨٨ ۝١١٨٩ ۝١١٩٠ ۝١١٩١ ۝١١٩٢ ۝١١٩٣ ۝١١٩٤ ۝١١٩٥ ۝١١٩٦ ۝١١٩٧ ۝١١٩٨ ۝١١٩٩ ۝١٢٠٠ ۝١٢٠١ ۝١٢٠٢ ۝١٢٠٣ ۝١٢٠٤ ۝١٢٠٥ ۝١٢٠٦ ۝١٢٠٧ ۝١٢٠٨ ۝١٢٠٩ ۝١٢١٠ ۝١٢١١ ۝١٢١٢ ۝١٢١٣ ۝١٢١٤ ۝١٢١٥ ۝١٢١٦ ۝١٢١٧ ۝١٢١٨ ۝١٢١٩ ۝١٢٢٠ ۝١٢٢١ ۝١٢٢٢ ۝١٢٢٣ ۝١٢٢٤ ۝١٢٢٥ ۝١٢٢٦ ۝١٢٢٧ ۝١٢٢٨ ۝١٢٢٩ ۝١٢٣٠ ۝١٢٣١ ۝١٢٣٢ ۝١٢٣٣ ۝١٢٣٤ ۝١٢٣٥ ۝١٢٣٦ ۝١٢٣٧ ۝١٢٣٨ ۝١٢٣٩ ۝١٢٤٠ ۝١٢٤١ ۝١٢٤٢ ۝١٢٤٣ ۝١٢٤٤ ۝١٢٤٥ ۝١٢٤٦ ۝١٢٤٧ ۝١٢٤٨ ۝١٢٤٩ ۝١٢٥٠ ۝١٢٥١ ۝١٢٥٢ ۝١٢٥٣ ۝١٢٥٤ ۝١٢٥٥ ۝١٢٥٦ ۝١٢٥

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ [النساء: ١٨] ^(١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ » ^(٢) .

٩- كيفية نزع الروح:

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ^(٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنْظَرُونَ ^(٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدُّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥] .

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ أي: الروح ، والحلقوم : هو الحلق ، وذلك حين الاحتضار ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنْظَرُونَ ﴾ أي إلى المحتضر ، وما يكابذه من سكرات الموت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ أي بملائكتنا ﴿ وَلَكِنْ لَا بُدُّرُونَ ﴾ أي ولكن لا ترونهم ^(٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْفَاحِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ^(٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢] .

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ^(٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ^(٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ^(٢٨) وَالْتَفَتِ السَّاقُ ^(٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠] .

﴿ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ أي: الروح ، والترافي جمع تَرْقُوة ، وهي العظام المكتنفة لثُقْرِة النَّحْرِ ، وهو مقدّم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشجة ، ويكْنَى ببلوغ النفس الترافي عن الإشفاء على الموت ، مثله قوله : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ وقيل : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ معناه ، أي حقاً أَنَّ المساق إلى الله ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ أي إذا ارتفعت الروح إلى الترافي ، والمقصود تذكيرهم شِدَّةَ الحال عند نزول الموت .

وقال تعالى: ﴿ وَالنَّارِ عَتِ غَرَقًا ^(٦١) وَالنَّشِيطِ نَشْطًا ﴾ [النازعات: ١ - ٢] .

(١) اليوم الآخر عبد المحسن المطيري ص (٥٥) .

(٢) الترمذي رقم (٣٥٣٧) حسن غريب .

(٣) اليوم الآخر للمطيري ص (٥٥) .

والمقصود الملائكة ، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعسر ، فتغرق في نزعهم ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة ، وكأنما حلته من نشاط وهو قوله : ﴿وَالنَّشِطَةُ نَشْطًا﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق : ١٩] .

﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ : شدته ، وقوله : ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ سكرة الميت التي تدل الإنسان على أنه ميت^(٢) ، وهذه السكرة والشدة لا يسلم منها أحد ، ولو سلم منها أحد لسلم منها نبينا ﷺ .

عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة ، أو علبة فيها ماء ، فجعل يَدْخُلُ يديه في الماء ، فيمسح بهما وجهه ويقول : « لا إله إلا الله ، إنَّ للموت سكرات » ثم نصب يده ، فجعل يقول : « في الرفيق الأعلى » حتى قُبِضَ ، ومالت يده^(٣) .

إنَّ الإنسان إذا اقترب أجله ، فإنَّ الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر ، حتى تخرج من جسده ، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين - حتى للمؤمن - بل له سكراتٌ وغمراتٌ ومشقاتٌ ، ثم تنتزع الملائكة الروح ، وهذا النزاع يختلفُ شدةً ويُسراً بحسب إيمان الرجل^(٤) .

١٠- خروج روح المؤمن واحتضاره :

قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٤] ، وفي قوله تعالى : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قولين :

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٦٦) .

(٢) لسان العرب (٤ / ٣٧٣) .

(٣) البخاري ، رقم (٦١٤٥) .

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٥٨) .

الأول: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له^(١) .

والثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ، ويدل على هذا حديث البراء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، جَاءَهُ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ ، بِيضُ الثِّيَابِ ، فَقَالُوا : اخْرُجِي أَتَيْتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ إِلَى رُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ »^(٢) .

وكلا المعنيين صحيح ، ولا تعارض بين هذين التفسيرين^(٣) .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١] ، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: أخلصوا الله ، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ أي: على طريقة رسول الله ﷺ باتباعه^(٤) ، وفي قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يبشرون عند الموت ، وفي القبر ، ويوم خروجهم من قبورهم^(٥) ، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وقوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومالٍ أو دينٍ ، فإننا نخلفنكم فيه ﴿الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير^(٦) .

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ تَوْفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣١-٣٢] .

(١) ابن ماجه رقم (٣٨٩٨) وسنده صحيح .

(٢) أحمد رقم (١٨٥٣٤) صحيح الإسناد . وسيأتي بتمامه في المبحث الثالث ص (٥٥) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٩) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٨ / ٤) .

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦١) .

(٦) تفسير البغوي (١٧٣ / ٧) بتصرف .

يخبرُ الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون ، أي : مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء ، وأنَّ الملائكة تسلَّم عليهم ، وتبشرهم بالجنة^(١) ، وأن وفاتهم تكون طيبة سهلة ، لا صعوبة فيها ولا ألم ، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخلط^(٢) .

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨] ، وهذا يقالُ لها عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضاً ، كما أنَّ الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره ، وعند قيامه من قبره ، فكذلك ها هنا^(٣) .

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١] .

هذه الأحوال الثلاثة : هي أحوال الناس عند احتضارهم : إما أن يكون من المقربين ، أو يكون ممّن دونهم من أصحاب اليمين ، وإما أن يكون من المكذّبين بالحق ، الضالّين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي المحتضر ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم من فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرّمات والمكروهات وبعض المباحات ، قوله : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي فلهم رَوْحٌ وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ﴿فَرَوْحٌ﴾ راحة ، أو الراحة من الدنيا ، والروح : الفرح ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جنة ورخاء ﴿فَرَوْحٌ﴾ فرحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق . وكلُّ هذه الأقوال متقاربةٌ صحيحةٌ ، فإنّ مَنْ مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة ، والراحة ، والاستراحة ، والفرح ، والسرور ، والرزق الحسن^(٤) ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ أي : لا يموت أحدٌ من الناس حتّى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي وأما إن كان المُحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي تبشّرهم الملائكة

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٢) .

(٢) تفسير القرطبي (١٠ / ٦٧) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٥١٠) .

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٤) .

(٥) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٠) .

بذلك ، تقول لأحدهم : سلامٌ لك ، أي لا بأس عليك ، أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين^(١) .

ويكون السلام على المؤمنين عند ثلاثة مواضع : عند قبض روحه في الدنيا ، يسلم عليه ملك الدنيا ، وعند مساءلته في القبر ، يسلم عليه منكرٌ ونكيرٌ ، وعند بعثه في القيامة ، تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة ، ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام^(٢) .

١١- خروج روح الكافر واحتضاره :

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] ، قوله تعالى : ﴿ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ أي كرباتهِ وسكراته ، وقوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ جوابه محذوف تقديره : لرأيت أمراً عظيماً ، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة في قبض الأرواح^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ أي بالضرب ، كقوله : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِغُفْلَانِ ﴾ [المائدة: ٢٨] وقوله : ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ [الممتحنة: ٢] وكقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٠] . ولهذا قال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي بالضرب لهم ، حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ولهذا يقولون لهم : ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال ، والأغلال والسلاسل ، والجحيم والحميم ، وغضب القهار العظيم ، فتفرق روحه في جسده ، وتتعضى ، وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم : ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي كنتم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته ،

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٧ / ٢٢) .

(٢) تفسير القرطبي (١٧ / ١٥١) .

(٣) التسهيل لابن جزي (١ / ٢٧٩) .

والانقياد لرسله^(١) ، ثم ييشرون بالعذاب ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] أي حرام ومحرم عليكم دخول الجنة^(٢) ، وفي حديث البراء الطويل ، قال رسول الله ﷺ: «وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ عن الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرة ، نزلَ إليه مِنَ السماءِ ملائكةٌ ، سوّدَ الوجوهُ ، معهم المسووحُ ، فيجلسون منه مدَّ البصرِ ، ثم يجيءُ ملكُ الموتِ ، حتّى يجلسَ عندَ رأسِهِ ، فيقول : أيتها النفسُ الخبيثةُ ، اخرجي إلى سخطٍ مِنَ اللهِ وغضبٍ ، قال : فتفرق في جسده ، فينتزعُها كما ينتزع السفود من الصوفِ المبلول «^(٣) .

قال تعالى: ﴿زُبَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] .

في الآية إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ، ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين ، وقيل : إنَّ المراد أنَّ كُلَّ كافرٍ يودُّ عند احتضاره أن لو كان مؤمناً^(٤) .

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَاَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٨-٢٩] .

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] ، وهم لا يكفون عن طلب الرجعة ، فيطلبونها في كُلِّ وقتٍ ، وفي كُلِّ حينٍ^(٥) . ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] .

(١) تفسير القرآن العظيم (٢ / ١٥٦) تفسير البغوي (٣ / ١٦٩) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٠١) وسيأتي الحديث بتمامه ص (٥٩) .

(٣) أحمد درقم (١٨٠١٣) صحيح الإسناد وسيأتي بتمامه ص (٥٩) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٥٤٤) .

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٩) .

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ لَنَا نَرْدٌ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢٧] بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨]

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤] وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتُتَبِّحُ فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] .

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون : عند الاحتضار ، ويوم النشور ، ووقت العرض على الجبار ، وحين يعرضون على النار ، وهم في غمرات عذاب الجحيم ^(١) .

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧] هذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزاع ^(٢) .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠] .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٧٠) .

(٢) المصدر نفسه ص (٧٢) .

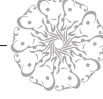
وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية في حديث البراء السابق^(١) ، وفيه أنه قال :
 « . . . إِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ (يعني عند الاحتضار) نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمَسْوُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخِطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ ، قَالَ : فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودَ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا فِي تَلَكِ الْمَسْوُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ : فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يَسْمَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يَفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﷻ [الأعراف: ٤٠] . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتَطْرُحُ رُوحَهُ طَرَحًا ، ثُمَّ قَرَأَ : ﷻ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﷻ [الحج: ٣١] ، فَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيَجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ ، لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ ، لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي ، فَيَنَادِي مَنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ ، فَافْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ ، حَتَّى تَخْتَلَّ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُتْنِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تَوَعَّدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ : رَبِّ لَا تُقِمَّ السَّاعَةَ ﷻ»^(٢) .

* * *

(١) ص (٣٣) ويأتي بتمامه ص (٥٩) .

(٢) أحمد رقم (١٨٠٦٣) صحيح الإسناد .

المبحث الثاني



الموت

إِنَّ الْحَيَاةَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، فَاَلْمَوْتُ كَذَلِكَ آيَةٌ أُخْرَى تَضَادُّ الْحَيَاةَ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَقْلُ عَنْهَا عَجَبًا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨] .

والتفكر في هذه الآية تفكر في خلق من خلق الله وعجائبه ، الدال على عظيم قدرته ، وعجيب أمره^(١) .

إِنَّ لِتَذَكُّرِ الْمَوْتِ أَثْرًا كَبِيرًا فِي إِصْلَاحِ النُّفُوسِ وَتَهْذِيبِهَا ، ذَلِكَ أَنَّ النُّفُوسَ تَوْثُرُ الدُّنْيَا وَمَلَذَّاتِهَا ، وَتَطْمَعُ فِي الْبَقَاءِ الْمَدِيدِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَقَدْ تَهْفُو إِلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ، وَقَدْ تَقْصُرُ فِي الطَّاعَاتِ ، فَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ دَائِمًا عَلَى بَالِ الْعَبْدِ ، فَإِنَّهُ يَصْغُرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَيَجْعَلُهُ يَسْعَى فِي إِصْلَاحِ نَفْسِهِ ، وَتَقْوِيمِ الْمَعْوَجِّ مِنْ أَمْرِهِ^(٢) ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ : الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا »^(٣) .

قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي ، ويلين القلب القاسي ، ويذهب الفرح بالدنيا ، ويهون المصائب .

وقال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور ، وخاصة إن كانت قاسية ، فعلى أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور :

(١) القيامة الصغرى ص (٧٤) .

(٢) المصدر نفسه ص (٨١) .

(٣) صحيح الجامع الصغير (١ / ٣٨٨) رقم (١٢٢٢) .

أحدها: الإقلاغُ عمّا هي عليه ، بحضور مجالس العلم : بالوعظ ، والتذكير ، والتخويف ، والترغيب ، وأخبار الصالحين ، فإنّ ذلك مما يليّن القلوب .

الثاني: ذِكرُ الموتِ ، فيكثر من ذكر هاذم اللذات ، ومفرّق الجماعات ، وميّم البنين والبنات .

الثالث: مشاهدة المحتضرين ، فإنّ النظر إلى الميتِ ، ومشاهدة سكراته ونزعاته ، وتأمّل صورته بعد مماته ، مما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطرّد عن القلوب مسرّاتها ، ويمسحُ الأجفانَ من النوم ، والأبدانَ من الراحة ، ويبعثُ على العمل ، ويزيدُ في الاجتهاد والتعب^(١) .

وذكرَ عن الحسن البصري أنّه دخل على مريضٍ يعودُه ، فوجده في سكرات الموت ، فنظر إلى كُربه وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرجَ به من عندهم ، فقالوا له : الطعام يرحمكم الله ، فقال : يا أهلاه ، عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله رأيتُ مصرعاً لا أزالُ أعملُ له حتّى ألقاه^(٢) .

قال أبو الدرداء : مَنْ أَكثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ قَلَّ فَرَحُهُ ، وَقَلَّ حَسَدُهُ^(٣) .

قال الشاعر :

مَشِينَاهَا خُطَاً كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطَاً مَشَاهَا
وَأَرْزَاقُ لَنَا مَتَفَرِّقَاتٌ فَمَنْ لَمْ تَأْتِهِ مَتَا أَتَاهَا
وَمَنْ كُتِبَتْ مِنْهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

وقال الشاعر :

وَإِذَا وُلِّيتَ قَوْمًا لَيْلَةً فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَهَا مَسْؤُولٌ
وَإِذَا حَمَلْتَ إِلَى الْقُبُورِ جَنَازَةً فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَهَا مَحْمُولٌ

(١) تذكرة القرطبي ص (١٢) .

(٢) المصدر نفسه ص (١٢) .

(٣) كتاب الزهد لابن المبارك ، القيامة الصغرى ص (٢١٣) .

وقال آخر :

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مُصِيرُ ذَاكَ إِلَىٰ انْتِقَالِ
وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا مِثْلُ فَيٍّ أَظْلَكَ ثُمَّ أَذَنٌ بِالزَّوَالِ^(١)

أولاً- الحكمة من الموت :

إنَّ الموتَ مرحلةٌ يمرُّ بها الإنسانُ ، ومنزلةٌ يَرِدُها ، وحقيقةٌ لا يتخطَّها ،
وكأسٌ يتجرَّعها ، ومنهلٌ يستقي منه ، فمن حَكَمَ الموتَ :

١ - في الموت تتجلى كمال قدرة الله الخالصة سبحانه ، وعظيم حكمته في
تصريف أطوار الخلق: فهو الذي أنشأ هذا الإنسان من عدم ، ثم أوجده طوراً بعد
طور ، وخلقاً بعد خلقٍ ، حتى صار بشراً سوياً ، يسمع ، ويبصر ، ويعقل ، ويتكلم ،
ويتحرك ، ويسالم ، ويخاصم ، ويتزوج ، ويتناسل ، يعيش على أرض الله ، وينال
من رزق الله ، ثم بعد ذلك كله يميتُه الله تعالى ، فلا يأكل ، ولا يشرب ، ولا يسمعُ ،
ولا يبصرُ ، ولا يعقلُ ، ولا يتحركُ ، فيزولُ بعدَ بقاءٍ ، وينتفي بعد وجودٍ ، وكلُّ ذلك
بتصريفِ الله وقدرته ، وبالعظيمِ حكمته في خلق الأمور المختلفة ، والأحوال المتضادة^(٢) .

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٦ -
٨٧] تَضَمَّنَتْ الْآيَاتَانِ تَقْرِيراً وَتَوْبِيخاً وَاسْتِدْلَالاً عَلَى أَصُولِ الْإِيمَانِ: مِنْ وَجُودِ
الخالق سبحانه ، وكمالِ قدرته ، ونفوذِ مشيئته وربوبيته ، وتصرفه في أرواح عباده ،
حيث لا يقدرُونَ عَلَى التصرف فيه بشيء ، وَأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ بِيَدِهِ ، يَذْهَبُ بِهَا إِذَا شَاءَ ،
وَيَرْدُّهَا إِلَيْهِمْ إِذَا شَاءَ ، وَيُخْلِي أَبْدَانَهُمْ مِنْهَا تَارَةً ، وَيَجْمَعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ تَارَةً^(٣) .

٢ - إن الله تعالى خلق الموت والحياة ابتلاءً لعباده واختباراً لهم ليعلم من
يطيعه ممن يعصيه: قال سبحانه : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢] .

(١) القيامة الصغرى ص (٧٩ ، ٨٠) .

(٢) الثبات على دين الله . د . الأمين الصادق (٢ / ٩٧٦) .

(٣) الثبات على دين الله (٢ / ٩٧٧) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص (١٤٩) .

٣ - لم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام: بل جعلهم خلائف في الأرض ، يخلف بعضهم بعضاً ، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف^(١) .

٤ - في الموت نعمٌ عظيمةٌ لا تتأتى للناس إلا به: فلولا الموت لما هنا لهم العيش ، ولا طاب في هذه الأرض ، ولا وسعتهم الأرزاق ، ولصاقت عليهم المساكن والمدن ، والأسواق والطرقات .

٥ - الموت يخلص المؤمن من نكد هذه الحياة التي حشيت بالغصص: وحفت بالمكروه والآلام الباطنة والظاهرة ، إلى نعيم لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وسعادة لا تنتهي ، في ظلال وارفة ، وبساتين مؤنقة ، وجنات دائمة ، مع خيرة الرفقاء ، وأطيب الأصفياء^(٢) .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه كان يقول : ما من مؤمن إلا والموت خيرٌ له ، وما من كافرٍ إلا والموت خيرٌ له ، ومن لم يصدقني فإن الله يقول : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨] ويقول : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]^(٣) .

٦ - بالموت تصل النفس إلى اليقين: وتعرّف على حقيقتها من حيث إنها مخلوقةٌ للخالق سبحانه ، وإنها مخلوقةٌ لغاية^(٤) .

ثانياً- ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان :

إن ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان الطويلة إلى ما لا نهاية للأسباب الآتية :

١ - لأنها بداية الانتقال من عالم الشهادة المحسوس ، الذي عرفه الإنسان وألفه ، إلى عالم كان غيباً في الحياة الأولى ، ويصير محسوساً في الحياة الجديدة ، التي تبدأ بالموت الجسدي ، ليحدث للإنسان في عالم البرزخ لأول مرة

(١) شفاء العليل لابن القيم ص (٢٤١) .

(٢) الثبات على دين الله (٢ / ٩٧٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ٦٦٥) .

(٤) الثبات على دين الله (٢ / ٩٨٠) .

عوالمٌ تختلف كل الاختلاف عن عوالم الدنيا التي عايشها ، وائتلف أو تنافر معها .

٢ - في ساعة الموت يرى الإنسان ملائكة الله ، ويسمع منهم الكلمة الفاصلة النازلة إليه من عند الله تعالى ، وهي الكلمة التي تدلُّ على نعيمه الأبدى أو شقائه الأبدى ، ولو كان يملكُ العالم كله في هذه الساعة ، وقُبِلَ منه أن يضحى به ، أو كان يملك ملء الأرض والسماء ذهباً ، وقبل منه أن يتصدق به في سبيل أن يسمع كلمة الرضى والعفو من الله في هذه الساعة لفعل ، وكان في منتهى السعادة ، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] .

٣ - كلُّ ما جمعه الإنسان وكدَّ فيه ، وسهرَ من أجله ، وقضى عمره في تخزينه وكنزه ، وكل ما زرعه من حدائق غناء ، وبساتين فيحاء ، وكل ما شيَّده من دور ، وما زخرفه من قصور ، وكل من يحيط به من أهل وخدم وأتباع ، كلُّ ذلك ينظر إليه الإنسان حين تأتبه ملائكة الموت بحسرة وفزع ، ويأس وجزع ، فإنه مفارقٌ للجميع ، ومحرومٌ حرماناً مطلقاً من كلِّ ما جمع فأوعى ، وكنز فأبقى .

إن شيئاً واحداً هو الذي يبحث عنه هذا الإنسان في لحظة موته ، ويوقن أنَّ فيه نجاته وسعادته ، هو (العمل الصالح) ، فإن كان قدَّمه فلا يضره ما ترك ، وإن كان لم يقدِّم صالحاً فهو القائل : ﴿ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿ [الحاقة : ٢٧-٢٩] .

٤ - تزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيئته حين يكون منكراً للحياة الآخرة ، أو مغرور بمسلكه المضاد لدين الله ، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح ، والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة :

إنَّ مثل هذا النوع لم يكن يتوقع حياةً أخرى بعد الموت ، أو كان يتوقعها ولكنه لغروره ظنَّ أنه على الحق ، وأنَّ غيره على الباطل ، اعتماداً على أوهام وخيالات ، أو اتباعاً للضالين والمغضوب عليهم من دون نظر أو بحث ، أو تشبهاً بهواه ، واستسلاماً لشياطين الإنس والجن ، وهو في كلِّ ذلك رافضٌ لكتاب الله وحكمته ، فإذا جاءه الموت ، كُشِفَتْ له الحقيقة ، ورأى عكس ما قدَّر ، وفوجئ بآن جميع مقاييسه كانت مغلوطة ، وجميع حقائقه كانت باطلاً وزيفاً ، وفي هؤلاء وأمثالهم يقول تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (٢٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤] وقال تعالى: ﴿وَبَدَأْهُمْ مِن لَّدُنَّ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] ^(١).

٥ - إن ساعة الموت فاصلة بين عمر مهما طال في عصرنا فلن يزيد عن مئة وخمسين سنة ، وهو يعتبر صفراً إذا قيس بالآلاف السنين في القبر ، وخمسين ألف سنة في الموقف ، ثم إلى ما لا نهاية في نعيم لا يوصف ، أو في شقاء لا يتصور ، ففي هذا العمر القصير جداً يحدّد المصير بالنسبة للمستقبل اللانهائي ، وليس في عمر الدنيا كله يحدد مصير المستقبل ، بل في سنين معدودة منه ، وقد تكون أياماً ، وقد تكون ساعة واحدة أو أقل ، يتوب الإنسان فيها ، ويندم على ذنوبه ، ويصرع إلى ربه ، ويتخلص من مظالمه ، فينال رضا الله عند موته ، ويطمئن على مستقبله ، فيا لها من سعادة في تناول الجميع ، ومن مستقبل لا نهائي يحدّد الإنسان مصيره في دقائق ، وصدق الله القائل : ﴿سَيَذْكُرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٦﴾ وَيَنْجِبُهَا الْأَشْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي صَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٠ - ١٣] لذلك كله ولغيره كانت ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان ^(٢).

ثالثاً - حسن الخاتمة أسبابها وعلاماتها:

أ - أسباب حسن الخاتمة:

هناك أسباب يستدل به على حسن الخاتمة منها :

١ - إقامة التوحيد لله جلّ وعلا: إنّ إقامة التوحيد في قلب المسلم يجني ثماره في حياته ، وعند موته ، وفي قبره ، ويوم حشره ، ويكون سبباً في دخول جنات ربه ورضوانه ، قال رسول الله ﷺ : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » ^(٣).

٢ - الاستقامة: الاستقامة أعظم كرامة ، وسبب عظيم في حسن الخاتمة ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

(١) رحلة الخلود ، حسن أيوب ص (١١٢) .

(٢) رحلة الخلود ص (١١٢) .

(٣) البخاري رقم (٣٢٥) مسلم (٢٦٣) .

والاستقامة كلمة جامعة ، آخذة بمجامع الدين ، قال الصديق لما سئل عنها : «أن لا تشرك بالله شيئاً» فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد ، وقال عمر بن الخطاب : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روغان الثعالب^(١) .

٣ - التقوى : قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] وحَقَّ تقاته أن يطاع فلا يُعصى ، وأن يذكر فلا يُنسى ، وأن يُشكر فلا يُكفر^(٢) .

وأصل التقوى : أن يجعل العبد بينه وبين مَنْ يخافه ويحذرُه وقايةً تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته ، واجتناب معصيته^(٣) .

فالتقوى سبب للخروج من كل ضيق ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣] ولا شك أن العبد عند السكرات يكون في ضيق وشدة ، فتكون التقوى سبباً لنجاته .

والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٤] .

والتقوى سبب للنجاة من المهالك ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٧) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا [مريم : ٧١ - ٧٢] .

وهي سبب لدخول الجنة ، قال تعالى : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم : ٦٣] .

٤ - الصدق : قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩] وقال رسول الله ﷺ : «ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقاً»^(٤) .

(١) رحلة إلى الدار الآخرة ، محمود المصري ص (٤٢) ، سكب العبرات ، سيد العفاني (١٠ / ٥٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤ / ١٥٧) .

(٣) جامع العلوم والحكم (١ / ٣٩٨) .

(٤) صحيح الجامع رقم (٤٠٧١) .

الصدقُ أساسُ بناءِ الدين ، وعمودُ فسطاطِ اليقين ، مَنْ لم يكن معه الصدقُ فهو من المنقطعين الهالكين ، ومن كان معه الصدقُ أوصله إلى حضرة ذي الجلال ، وكان سبباً في حُسن خاتمته وطيب المآل^(١) .

٥- التوبة : قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

وقال تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم: ٨] .

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»^(٢) .
وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ ، لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٣) .

وأما عن شروط التوبة فهي ستة :

الشرط الأول: الإقلاع عن الذنوب .

الشرط الثاني: الندم على فعل تلك الذنوب .

الشرط الثالث: العزم على أن لا يعود إليها أبداً .

الشرط الرابع: الإخلاص في التوبة .

الشرط الخامس: التحللُ مِنَ المظالم ، لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرْضٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِلَّا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ»^(٤) .

(١) سكب العبرات (١ / ٦١) .

(٢) الترمذي رقم (٣٥٣٧) حسن غريب .

(٣) مسلم (٢٧٥٩) .

(٤) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٥١) .

الشرط السادس: أن تقع التوبة قبل الدخول في سياق الموت ، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»^(١) .

٦ - الدعاء: كان من دعاء الصالحين أن يتوفاهم الله حين انقضاء آجالهم ، وهم متمسكون بالطاعات ، ملازمون لها ، ومجانبون للمعاصي ، مفارقون لها ، مصاحبون للأبرار ، معدودون في زمريتهم ، مجافون للفجار ، حائدون عن صحبتهم ، وفي ذلك يقول عنهم المولى عز وجل: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] .

لقد كان ذلك مطلب يوسف عليه السلام حين دعا ربه عند انقضاء أجله ؛ وذهاب عمره ؛ أن يميته على الإسلام ، ويثبتته عليه^(٢) ، قال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١] .

٧ - قصر الأمل والتفكير في حقارة الدنيا: قال تعالى: ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَجْبَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ؛ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ؛ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ ، وَمَا وَالَاه ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا»^(٣) .

فالمؤمن يعلم يقيناً أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، وأنه سينسى كلَّ شقاءٍ بغمسة واحدة في جنة الرحمن جلّ وعلا ، فهو لذلك لا يتعلق قلبه بأي شيء من حطام الدنيا ، بل يمسي ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين ، ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار ، فهو يعلم يقيناً أنه لا راحة إلا في جنة العزيز الغفار^(٤) .

(١) تقدم تخريجه آنفاً .

(٢) الثبات على دين الله (٢ / ١٠٤٢) .

(٣) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٥٢) صحيح الجامع رقم (٣٤١٤) .

(٤) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٥٢) .

٨ - الإكثار من ذكر الموت : ذكر الموت يَنْغُصُ اللذات ، ويَحَقِّرُ الشهوات ، ويجعل الآخرة نُصَبَ العين . ومشاهدة المحتضرين ؛ والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ؛ ومعالجتهم في طلوع الروح ؛ وشِدَّة كربهم ؛ أعظمُ عبرة ، وبتغسيل الموتى يرق القلب ، وتذرف العينان ، ورؤية القبور وسكونها تعجِّل بالتوبة ، فتكون سبباً لحُسْنِ الخاتمة^(١) .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبلَّ لحيته ، ف قيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا ؟ فقال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْظَعَ مِنْهُ »^(٣) .

وزيارة القبور تذكر بالموت ، فيزهد في الدنيا ، ويرغب في الآخرة ، ويتعظ بها ويعتبر ، وقد بين القرطبي رحمه الله عبارات مؤثرة كيف تتحقق للزائر العبرة والعظة ، فقال : يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ، فجاء الموت في وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه ، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ، ودرج من أقرانه ، الذين بلغوا الآمال ، وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترت في القبور أجزاءهم ، وترملت بعدهم نساؤهم ، وشمل ذلُّ اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقتهم وتلاذهم . . . وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخضع جوارحه^(٤) .

(١) سكب العبرات (١ / ٦٤) .

(٢) الترمذي رقم (٢٤٦١) .

(٣) الترمذي رقم (٢٣٠٨) .

(٤) الثبات على دين الله (١ / ١٠٢٩) .

٩ - غلبة الرجاء وحسن الظن بالله: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥] ومدح أهله وأثنى عليهم ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

والخوف والرجاء كجناحي طائر ، إذا استويا استوى الطائر ، وتم طيرانه ، وإن نقص أحدهما ، وقع في الطائر النقص ، وإن ذهب أحدهما أو كلاهما صار الطائر عرضةً للهلاك^(١) .

ولذا جمع الله بينهما في غير موضع ، فقال عزّ شأنه: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦- ٥٧] .

وقال سبحانه: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتَ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] .

ولا يجتمعُ الخوفُ والرجاء في قلب العبد عند سكرات الموت ومفارقة الحياة إلا أعطاه الله ما يرجوه من الرحمة والمغفرة^(٢) ، وأمنه مما يخافه من العقوبة ، ولكن ينبغي أن يغلبَ عند الموت جانبُ الرجاء على الخوف ، وأن الله تعالى يرحمه ، ويعفو عنه ، ويتجاوز عن سيئاته ، وذلك حُسْنُ الظن الذي عناه النبي ﷺ في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حين قال : سمعتُ رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : « لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بالله عز وجل »^(٣) . وذلك عند انقطاع العمل ، وتبدّد الأمل في بقاء حياة ، ولم يتبقَّ له إلا التعلق بعفو الله ورحمته ، وعظيم فضله ، ورجاء كرمه ، ورحمة الله تسبق غضبه ، والعفو أحبُّ إليه من الانتقام^(٤) .

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٦) .

(٢) الثبات على دين الله (١ / ١٠٣٨) .

(٣) مدارج السالكين (٢ / ٤٥ - ٤٦) .

(٤) الثبات على دين الله (١ / ١٠٣٩) .

١٠ - البعد عن أسباب سوء الخاتمة: فإنَّ من أسبابِ حُسْنِ الخاتمةِ الخوفُ من سوء الخاتمة ، والبعد عن أسبابها ، وهي ، فساد المعتقد ، والانغماس في البدع ، النفاق ، ومخالفة الباطن للظاهر ، والتسويق بالتوبة ، وطول الأمل ، وحب الدنيا ، وتعلق القلب بغير الله ، وإلف المعاصي ، والإصرار عليها ، والانتحار ، واليأس من رحمة الله ، ومصاحبة أهل الفساد ، وعدم الاستقامة على الطاعة^(١) .

ب - علامات حسن الخاتمة:

علامات حسن الخاتمة التي جاءت في أحاديث رسول الله ﷺ كثيرةٌ ، منها : من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله ، الموتُ برشح الجبين ، الموتُ يومُ الجمعة ، القتلُ في سبيل الله ، الموتُ غازياً في سبيل الله ، الموتُ بالطاعون ، الموتُ بداءِ البطن ، الموتُ بالغرق ، الموتُ بالهدم ، الموتُ في سبيل الدفاع عن المال والدين والنفس ، موتُ المرأة في نفاسها بسبب ولدها ، الموتُ مرابطاً في سبيل الله ، الموتُ على عملٍ صالح^(٢) .

رابعاً - سوء الخاتمة وعلاماتها:

أ - أسباب سوء الخاتمة:

أسباب سوء الخاتمة كثيرة ، نذكر منها على سبيل الإجمال :

الشك والجحود ، والتعبد بالبدع ، وتسويق التوبة ، وعدم الاستقامة على الطاعة ، وطول الأمل ، وحب الدنيا ، وصحبة الأشرار ، ومخالفة الباطن للظاهر ، وتعلق القلب بغير الله ، وسوء الظن بالله ، والإصرار على الذنوب والمعاصي ، ونسيان الآخرة ، وعدم ذكر الموت ، والظلم^(٣) .

(١) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٥٤) .

(٢) قام الدكتور محمد حيدر بجمعها ودراستها في رسالته المتقدمة لنيل رسالة الدكتوراة بجامعة أم درمان المسماة (أحاديث حياة البرزخ في الكتب التسعة جمعاً وتخريجاً ودراسة) . فمن أراد التوسع فليرجع إليها .

(٣) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٧٩ - ٩٦) .

ب - علامات سوء الخاتمة:

تحدّث العلماء عن علامات سوء الخاتمة وذكروا منها : الأمن من مكر الله عز وجل ، كأنّ بعضهم آتاهم الله ميثاقاً أن لا يعذّبه ، والغفلة عن ذكر الله عز وجل ، والنفاق ، والرياء ، وحب السمعة ، وغير ذلك من العلامات^(١) .

خامساً: قبض أرواح العباد:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١٠ - ١١] .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢] .

وقال العلماء للجمع بين الآيات السابقة : إنّ الملائكة الذين هم أعوانُ ملك الموت ينزعون الأرواح ، وملكُ الموت - الذي هو رئيسُهم - يقبضُها إذا بلغتِ الحلقوم ، وهناك رأيٌ آخر وهو أنّ أعوانَ ملك الموت يقومون بقبض الأرواح بأمرِ ملكِ الموت^(٢) .

سادساً- الموت مكتوب على الخلائق ولا ينجو منه هارب:

إنّ الله تعالى خلق عباده ، وقدر لهم آجالاً إليها ينتهون ، فلا يتقدّمون عنها ولا يتأخرون ، كما قال سبحانه : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠] وكتب أجل كل منهم في كتاب عنده لا يُزاد فيه ولا ينقص منه ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا ﴾ [آل عمران: ١٤٥] .

وجعله حتماً لازماً لا بدّ لكلّ نفس من تتجرع غصصه ، ولو كان الميتُ رسولاً أو نبياً أو ولياً ، حيث قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ

(١) سكب العبرات (١ / ١١٤) .

(٢) رحلة الخلود ، حسن أيوب ص (١١٣) .

يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِجَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآئِمَةٌ الْعُرُورِ ﴿آل عمران: ١٨٥﴾ وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧] إذ لا باقي إلا هو سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] .

وهو الوارث لجميع خلقه بعد فنائهم ، وانقضاء آجالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠] .

وهو المحيي والمميت الذي بيده الإحياء والإماتة لا بيد العباد ، وليس في ملكهم ومقدرتهم ، كما قال عز وجل: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَا إِخْوَانُهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عُرِىَ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦] .

والعبد لا يمكنه أن يدفع غائلة الموت عن نفسه مهما بلغ حرصه عليها ، ولذا عاب الله على أهل النفاق تشبیطهم عن الجهاد ، بزعمهم أنَّ القعود عنه ينجي من الموت^(١) ، فقال سبحانه في شأنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا إِخْوَانُهُمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] .

فالموت لا ينجي منه هرب ، ولا يغني عنه جزع ، ولا يدفع عنه حذر ، ولو تحصن منه بالقصور المنيع ، والمساكن الرفيعة ، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] .

ولا ينجو منه فار ، ولا يسلم منه هارب ، وقد أبان الله ذلك لليهود مع كراحتهم له ، وخوفهم منه ، في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨] .

وأندر المنافقين بأن فرارهم منه لا يزيدهم في أعمارهم ، ولا يؤخر في آجالهم ، بل بقاؤهم في الدنيا إلى قدر مقدور ، وأجل مكتوب^(٢) ، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦] .

ولم يطمع الله بشراً في الخلود في الأرض ، ولو فعل لكان أولى الناس بذلك

(١) الثبات على دين الله (١ / ١٠٤٦) .

(٢) المصدر نفسه .

رسول الله ﷺ^(١) ، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿[الزمر: ٣٠-٣١] .

سابعاً- الآجال محدودة :

إن الله تعالى جعل لكل أحد من الخلق أجلاً معيناً ، ووقتاً محدوداً ، فإذا جاء أجله ، وحل وقت زواله ، لا يتقدم عنه برهة من الزمن ولا يتأخر ، لا الأمم مجتمعة ولا أفرادها ، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿[الحجر: ٤-٥] .

فهذا عن الأمم ، وأما عن الأفراد فقد قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ [آل عمران: ١٤٥] أي بأجل محدودٍ مقيد ، إلى وقت معلوم بقضاء من الله مبروم ، وقدر محكم ، فالآجال محدودة بأزمته وأمكنة لا يتخطاها المرء ، ولا يتعدها ، ولو سلك كل سبيل^(٢) .

ولو أن العباد استحقوا الهلاك والفناء بسبب ظلمهم ما بادرهم الله بذلك حتى يبلغوا منتهى أعمارهم وغاية آجالهم ، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابِقَةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١] .

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَابِقَةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥] .

والمرء لا يدري متى يحلُّ به ذلك الأجل ؟ لأن ذلك من علم الغيب ، الذي طواه الله عن خلقه ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] .

(١) المصدر نفسه (١ / ١٠٤٦) .

(٢) الثبات على دين الله .

وقد بيّن النبي ﷺ أنّ هذه الخمس هي مفاتيح الغيب التي أخفاها عن عباده^(١) ، فالإنسان لا يعلم متى ينقضي أجله ، وفي أي بقعة يكون مضجعه ، أفي بر أم في بحر ؟ وفي سهل أم حزن ؟ وقریب ذلك أم بعيد ؟ كما قال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

ولقد دعا الرسول ﷺ إلى المبادرة بالطاعة ، وذلك باستنفاد العمر في ملازمة التقوى ، وبذل الصحة قبل حلول العلل ، ومجاهدة النفس قبل وقوع الأجل^(٢) ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » وفيه : « خُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ »^(٣) ، وكان ابن عمر يقول : « إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ »^(٤) ، وفي رواية : « وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ »^(٥) . والمعنى استمر سائراً ولا تفتّر ، فإنك إن قصرت انقطعت وهلك^(٦) .

* * *

(١) البخاري ، رقم (٤٦٩٧) .

(٢) الثبات على دين الله (٢ / ١٠٥٤) .

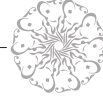
(٣) البخاري ، رقم (٦٤١٦) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الترمذي ، رقم (٢٣٣٣) صححه الألباني .

(٦) تحفة الأحوذى (٦ / ٥١٥) ، الثبات على دين الله (٢ / ١٠٥٥) .

المبحث الثالث



حياة البرزخ

البرزخ : اسمٌ ما بين الدُّنيا والآخرة من وقتِ الموتِ إلى البعثِ ، قال تعالى : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

وجاءت النصوصُ بإثبات الحياة في البرزخ ، وهي حياةٌ تخالفُ الحياة المعهودة في الدنيا ، فالله سبحانه جعل الدُّورَ ثلاثاً : دارَ الدنيا ، ودارَ البرزخ ، ودارَ القرار ، وجعل لكلِّ دارٍ أحكاماً تختصُّ بها ، وركَّبَ هذا الإنسانَ من بدنٍ ونفسٍ ، وجعل أحكامَ دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها . . . وجعل أحكامَ البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها . . . فإذا كان يومُ حشرِ الأجساد ، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً أبدياً أصلاً^(١) .

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ عذابَ القبر ونعيمه ، اسمٌ لعذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة^(٢) ، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [٩٩] لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠] .

أولاً- الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر:

١ - قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ

(١) كتاب الروح لابن القيم ص (٨٨ - ٨٩) ، الوعد الآخروي شروطه وموانعه ، عيسى السعدي ص (٨٩) .

(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ١٥٠) ، أحاديث حياة البرزخ ص (٣٢) .

ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿[الأنعام: ٩٣] ففي قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ فالآية تبين حال المحتضر الكافر ، وأنه تأتيه الملائكة ، وتخبره أنه سوف يعذب اليوم ، يعني يوم موته ، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة ، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر ، ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾^(١).

٢ - قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾: المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك ، وأما المرة الثانية ففي القبر ، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

٣ - قال تعالى: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوءًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر ، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم ، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

٤ - قال تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١] وقد احتج جماعة منهم عبد الله بن عباس بهذه الآية على عذاب القبر ، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر ، فأخبر أنه يذيقهم بها بعد عذاب الدنيا^(٣) ، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنِ﴾ يعني به عذاب القبر^(٤).

٥ - قال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ

(١) الروح ص (١٣٢) .

(٢) تفسير الطبري (١٤ / ٤٤١) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٩٨) .

(٤) دراسات عقديّة في الحياة البرزخية للحازمي ص (٣١١) .

كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٧] عن قتادة أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ : إِنَّكُمْ لَتَجِدُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾^(١) .

٦ - قال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾  حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿التكاثر: ١ - ٢﴾ فيها الحديث عن عذاب القبر^(٢) .

٧ - قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] قوله: ﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾ بعد إغراقهم ، وهذا يدل على عذاب القبر^(٣) .

ثانياً - فتنه القبر وسؤال الملكين:

لقد جاءت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين ، ومما يُستدلُّ به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ » [إبراهيم: ٢٧] ^(٤) .

وفي (الصحيحين)^(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال نبيُّ الله ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، إِنَّهُ يَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ ، قَالَ : يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعُدَانِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، قَالَ : فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : فَيَقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مُقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مُقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ » قال نبيُّ الله ﷺ : « فِيرَاهُمَا جَمِيعًا » .

(١) المصدر نفسه ص (٣١٢) تفسير الطبري (١١ / ٤٩٩) .

(٢) أهوال القبور لابن رجب ص (٧٩) .

(٣) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٠١) .

(٤) البخاري (٤٦٩٩) ومسلم (٢٨٧١) .

(٥) البخاري رقم (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) .

«وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» .

١ - اسم الملكين (منكر ونكير): عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر، وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبده ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلي أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهل إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التمتي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك» (١) .

٢ - عودة الروح إلى الميت عند السؤال: ومما يستدل به على عودة الروح إلى جسد الميت عند السؤال حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، وكأنّ على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» (مرتين أو ثلاث) .

ثم قال: «إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأنّ وجوههم الشمس، معهم كف من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في

(١) الترمذي رقم (١٠٧١) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٣٩١) .

السَّقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتّى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ ووجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرّون (يعني بها) على ملا من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتّى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها ، حتّى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عزّ وجلّ : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال : فتعأد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربّي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما عملك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، فأمنت به وصدقت ، فينادى مناد في السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مدّ بصره .

قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرّك ، هذا يومك الذي كنت تعدّ . فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربّ أقم الساعة ، حتّى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة ، سودّ الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، حتّى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرّق في جسده ، فينتزعها كما يُنتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتّى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كائن ريح جيفة ووجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرّون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يسمّى بها في

الدنيا ، حتى يُنْتَهَى به إلى السماء الدنيا ، فَيُسْتَفْتَح له ، فلا يُفْتَح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تُفْنَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، فَيُطْرَحُ روحه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادي من السماء أن كذب ، فأفرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرّها ، وسُمومها ، ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف فيه أضلاعه .

ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : مَنْ أَنْتَ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ، فيقول : أنا عمك الخبيث ، فيقول : ربّ لا تقيم الساعة^(١) .

٣- ما يَنْتَفَعُ به الميّت مِنْ عملِ الأحياء:

يَنْتَفَعُ الأمواتُ مِنْ سعي الأحياء بأمرين :

أحدهما: ما تسبّب إليه الميّت في حياته .

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له ، والصدقة والحج .

والأدلة على ذلك منها :

أ- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر: ١٠] فأثنى الله عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم ، فدلّ على انتفاعهم باستغفار الأحياء .

ب- والأدعية التي وردت بها السنّة في صلاة الجنازة مستفيضة . وكذا الدعاء له بعد الدفن ، ففي (سنن أبي داود)^(٢) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ،

(١) أحمد رقم (١٨٥٣٤) إسناده صحيح .

(٢) أبو داود (٣٢٢١) .

قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: « استغفروا لأخيكم ، وأسألوا له الثبیت ، فإنه الآن يُسأل » .

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم ، كما في (صحيح مسلم)^(١) من حديث بُريدة بن الحَصِيب ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » .

وأما وصول ثواب الصدقة ففي (الصحيحين)^(٢) عن عائشة رضي الله عنها : أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إنّ أُمّي افْتُلّت نفسها ، ولم توص ، وأظنّها لو تكلمت تصدّقت ، أفلها أجرٌ إن تصدّقت عنها ؟ قال : « نعم » .

وأما وصول ثواب الصوم ، ففي (الصحيحين)^(٣) عن عائشة رضي الله عنها ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ مات وعليه صيامٌ صام عنه وليُّه » .

وأما وصول ثواب الحج ففي (صحيح البخاري)^(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنّ امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ ، فقالت : إنّ أُمّي نذرت أن تحجّ فلم تحجّ حتّى ماتت ، أفأحجّ عنها ؟ قال : « نعم حُجّي عنها ، أرايت لو كان على أمك دينٌ ، أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحقّ بالوفاء » .

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماعُ الأمة على الدعاء له في صلاة الجنّزة .

وأجمع المسلمون على أنّ قضاء الدين يُسقطه من ذمّة الميت ، ولو كان من أجنبي ، ومن غير تركته ، وقد دلّ على ذلك حديثُ أبي قتادة حيثُ ضمن الدينارين عن الميت ، فلما قضاها قال النبي ﷺ : « الآن برّدتُ عليه جِلْدَتُهُ »^(٥) . وهذا

(١) مسلم (٢٤٩) .

(٢) البخاري (١٣٨٨) ومسلم (١٠٠٤) .

(٣) البخاري (١٩٥٢) ومسلم (١١٤٧) .

(٤) البخاري رقم (١٨٥٢) .

(٥) أورده الهيثمي في المجمع (٣ / ٣٩) إسناده حسن .

جارٍ على قواعد الشرع ، وهو محض القياس ، فإنَّ الثوابَ حقُّ العامل ، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمنع من ذلك ، كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته ، وإبرائه له منه بعد وفاته^(١) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عمله إلا من ثلاثة ، إلا من صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنتفعُ به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له »^(٢) .

وقد تحدّث العلماءُ في الصدقاتِ الجارية ، وأنَّ بابها واسعٌ وكبيرٌ ، من بناء المساجد ، والآبار ، والمدارس ، والمعاهد ، وطباعة العلوم النافعة ، وكفالة الأيتام والأرامل ، وطلاب العلم . . . إلخ .

٤ - بكاء السماء على الميت: قال رسول الله ﷺ : « ما من مؤمنٍ إلا وله بابان ، بابٌ يَصْعَدُ منه عمله ، وبابٌ يَنْزِلُ منه رزقُه ، فإذا ماتَ بكيا عليه ، فذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٩] »^(٣) .

٥ - ما يتبع الميت إلى قبره: قال رسول الله ﷺ : « يتبعُ المَيِّتَ ثلاثةٌ ، فيرجعُ اثنان ، ويبقى واحدٌ ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجعُ أهله وماله ، ويبقى عمله »^(٤) .

٦ - القبر أول منازل الآخرة: قال رسول الله ﷺ : « إن القبرَ أولُ منزلٍ من منازل الآخرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسرُ منه ، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ منه »^(٥) ، وقال رسول الله : « ما رأيتُ منظراً قطُّ إلا القبرُ أفضعُ منه »^(٦) .

٧ - نعيم القبر أو عذابه ينالُ مَنْ دُفِنَ وَمَنْ لَمْ يُدْفَنْ : عذابُ القبرِ ونعيمه ينالُ مَنْ دُفِنَ ومن لم يدفن ، وأنَّ من أكلته السباعُ أو مُزِقَ جسده ، أو أُحْرِقَ وذُرَّ رمادٌ جسمه في البرِّ أو البحر ، أو مَنْ كانَ في ثلاثِ الموتى فتراتٍ طويلة ، أو مَنْ أغرق

(١) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية للغنيمي ص (٢٤٨) .

(٢) مسلم رقم (١٦٣١) .

(٣) الترمذي رقم (٣٢٥٥) ضعيف الإسناد .

(٤) البخاري رقم (٦٥١٤) .

(٥) الترمذي رقم (٢٤٦١) .

(٦) الترمذي رقم (٢٣٠٨) صحيح الجامع الصغير رقم (٥٦٢٣) .

أَوْ صُلبَ ، أَوْ كُلُّ مَنْ لَمْ يُدْفَنْ بِحالٍ مِنَ الأحوالِ ، فَإِنَّهُ يَنالُهُ عَذابُ القَبْرِ أَوْ نعيمُهُ ، وَأَنَّهُ يَحيا حَيَاةً بَرزخِيَّةً حَتَّى يَومَ القِيامَةِ^(١) .

٨ - الحِكمةُ مِنَ عَذابِ القَبْرِ وَنَعيمِهِ: هُناكَ مَجموعَةٌ مِنَ الحِكمِ فِي عَذابِ القَبْرِ وَنَعيمِهِ مِنْها :

☆ إَظْهَارُ فَضْلِ اللَّهِ تَعالى عَلى عِبادِهِ المُؤمِنينَ الصّالِحينَ فِي تَنعيمِهِم فِي الحَياةِ البَرزخِيَّةِ ، وَإِذْلالٍ وَتَعيِيبٍ المُكَذِبينَ العاصينَ والعِياذُ بِاللَّهِ .

☆ إَظْهَارُ قَدرَةِ اللَّهِ تَعالى فِي تَعيِيبِ العِصاةِ وَالكَافِرينَ ، وَتَنعيمِ المُؤمِنينَ الصّادِقيينَ فِي القَبْرِ دُونَ أَن يَشعَرَ بِذلِكَ سائِرُ البَشَرِ .

☆ إِنَّ المُكَلَّفينَ عَندما يَعلَموْنَ أَنَّ هُناكَ عَذاباً فِي القَبْرِ أَوْ فِي الحَياةِ البَرزخِيَّةِ ، فَإِنَّ ذَلكَ يَكونُ رادِعاً وَمانِعاً لَهم عَمّا يَسيئُ وَيُشِينُ فِعلُهُ فِي الآخِرَةِ .

☆ التَحذِيرُ مِنَ بَعضِ الذُنُوبِ وَالْمَعَاصيِ ، وَالتي يَكونُ لَها عَقُوباتٌ خَاصَّةٌ تَناسِبُها ، كَعَدَمِ التَنزُّهِ مِنَ البُولِ ، وَالنَمِيمَةِ وَغيرِ ذَلكَ .

☆ إِنَّهُ قَدْ يَكونُ العَذابُ فِي القَبْرِ أَوْ فِي الحَياةِ البَرزخِيَّةِ مَکْفَراً لِبَعضِ الذُنُوبِ وَالْمَعَاصيِ التي أَلَمَ بِها العَبْدُ فِي الحَياةِ الدُنيا ، فَيَأْتِي يَومَ القِيامَةِ وَلَا ذَنْبَ لَه .

☆ إِنَّهُ قَدْ يَكونُ العَذابُ فِي القَبْرِ تَخفِيفاً لِعَقُوبَةِ ذَلكَ العَبْدِ فِي النّارِ يَومَ القِيامَةِ^(٢) .

٩ - هَلْ عَذابُ القَبْرِ دائِمٌ أَمْ مُنقَطِعٌ ؟ : يَخْتَلِفُ عَذابُ العِصاةِ مِنَ المُؤمِنينَ ، فَمنَهم مَن يَعمُو اللَّهُ عَنهم فلا يَعدَّبُهم فِي قُبُورِهِم ، وَمَنَهم مَن تَكونُ مَعَاصيِهِ صَغيرَةً ، فَيَعدَّبُونَ بِقَدرِها ، ثُمَّ يُرَفَعُ عَنهم العَذابُ ، وَقَدْ يَنقُطِعُ أَوْ يَرتَفِعُ بِدَعاءٍ أَوْ صَدَقَةٍ ، أَوْ اسْتَغْفارٍ ، أَوْ ثَوابٍ حَسَنٍ^(٣) ، أَوْ غَيرِها مِنَ أَعمالِ الخَيرِ ، وَمَنَهم مَن تَكونُ مَعَاصيِهِ كَبيِرةً ، فَيَستَمِرُّ بِهِ العَذابُ لِقَولِ النَبِيِّ ﷺ : « بَينما رَجُلٌ يَجُرُّ إِزارَهُ

(١) دَراساتٌ عَقديَّةٌ فِي الحَياةِ البَرزخِيَّةِ ص (٣٤٨) .

(٢) دَراساتٌ عَقديَّةٌ فِي الحَياةِ البَرزخِيَّةِ ص (٣٥٨ - ٣٥٩) .

(٣) المَصدَرُ نَفسُهُ ص (٢٤٩) .

من الخيلاء ، خُسِفَ به ، فهو يَتَجَلَّجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ »^(١) .

وأما الكافرُ والمنافقُ فيستمرُّ عذابه إلى يومِ القيامةِ ، ولا يتوقَّفُ ، والدليل على ذلك قوله الله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر : « ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النارِ ، فينظرُ إلى مقعده فيها حتى تقومَ الساعةُ »^(٢) .

وأما قول الله تعالى : ﴿ يَوَلِّينَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا ﴾ [يس : ٥٢] قال العلماء : إنَّ الكفارَ إذا عاينوا جهنمَ وأنواعَ عذابها صارَ عذابُ القبرِ في جنبها كالنومِ^(٣) .

وقال الإمام الطبري في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَوَلِّينَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا ﴾ : هؤلاء المشركون لما نُفِخَ في الصورِ نفخةُ البعثِ لموقفِ القيامةِ فردَّتْ أرواحهم إلى أجسامهم ، وذلك بعد نومة ناموها : ﴿ قَالُوا يَوَلِّينَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا ﴾ وقد قيل : إنَّ ذلك نومةٌ بين النفختين^(٤) .

وقال العلامة الشنقيطي عن هذه الآية : والتحقيقُ أنَّ هذا قولُ الكفارِ عند البعثِ ، والآيةُ تدلُّ دلالةً لا تُبْسَ فيها على أنَّهم ينامون نومةً قبلَ البعثِ ، كما قال غيرُ واحد ، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومةُ موتٍ ، يقول لهم الذين أوتوا العلمَ والإيمانَ : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، أي هذا البعثُ بعدَ الموتِ^(٥) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً ؟ قال : أبيتُ ، قالوا : أربعون سنةً ؟ قال : أبيتُ ، قال : أربعون شهراً ؟ قال : أبيتُ . « ويبلى كلُّ شيءٍ من الإنسانِ إلا عُجْبَ ذَنْبِهِ ، فيه يركَّبُ الخلقُ »^(٦) وفي هذا الحديثِ دلالةٌ على أنَّهم يموتون بين النفختين مقدارَ أربعون ،

(١) البخاري رقم (٣٤٨٥) .

(٢) مسند أحمد رقم (١٥٨٣٤) .

(٣) دراسات عقديّة في الحياة البرزخية ص (٣٥٠) .

(٤) تفسير الطبري (١٠ / ٤٥٠ - ٤٥١) .

(٥) أضواء البيان (٦ / ٤٨٩ ، ٤٩٠) .

(٦) مسلم رقم (٢٩٥٥) .

ولم تُحدّد تلك الأربعون ، وإن ذهب بعض أهل التفسير إلى أنها أربعون سنة^(١) .

وقال النبي ﷺ : « لا تخيّرني على موسى ، فإنّ الناس يُضعقون يوم القيامة ، فأضعق معهم ، فأكون أول من يُفّق ، فإذا موسى باطشاً جانب العرش ، فلا أدري كان فيمن صُعق فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله »^(٢) .

إنّ الآيات والأحاديث الدالة على استمرار العذاب ، من باب العموم ، وقد خُصّصت بآية (يس) وبالأحاديث السابقة الذكر في هذا القول^(٣) .

ثالثاً - أسباب عذاب القبر :

ما الأسباب التي يُعذّب بها أصحاب القبور ؟ الجواب من وجهين ، مجمل ومفصل :

أما المجمل : فإنّهم يُعذّبون على جهلهم بالله ، وإضاعتهم لأمره ، وارتكابهم لمعاصيه ، فلا يعذّب الله روحاً عرفته ، وأحبته ، وامثلت أمره ، واجتنبت نهيه ، ولا بدناً كانت فيه أبداً ، فإنّ عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضبه وأسخطه في هذه الدار ، ثم لم يتب ، ومات على ذلك ، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخط عليه ، فمستقل ومستكثر ، ومصدق ومكذب .

وأما الجواب المفصل : فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رأهما يعذبان في قبريهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس ، ويترك الآخر الاستبراء من البول ، فعذاب القبر من معاصي القلب ، والعين ، والأذن ، والفم ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله .

فالنمّام ، والكذاب ، والمغتتاب ، وشاهد الزور ، وقاذف المحصن ، والداعي إلى البدعة ، والقائل على الله ورسوله ﷺ ما لا علم له ، والمجازف في كلامه ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتامى ظلماً ، وأكل الشحّة من الرشوة ، وأكل

(١) دراسات عقديّة ص (٣٥٣) .

(٢) البخاري (٣٤٠٨) ومسلم (٢٣٧٣) .

(٣) دراسات عقديّة ص (٣٥٤) .

مال أخيه المسلم بغير حقٍّ أو مالٍ المعاهدِ ، وشاربُ المسكر ، وأكلُ لقمة الشجرة الملعونة (الحشيش) ، والزَّاني ، واللوطي ، والسارق ، والخائن ، والغادر ، والمخادع ، والماكر ، وأخذ الربا ، ومعطيه ، وكاتبه ، وشاهده ، والمحلل ، والمحلل له ، والمحتال على إسقاطِ فرائض الله ، وارتكابِ محارمه ، ومؤذي المسلمين ، ومتتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله ، والمفتي بخلاف ما شرعه الله ، والمعين على الإثم والعدوان ، وقاتلُ النفس التي حَرَّمَ الله ، والمُلحدُ في حرم الله ، والمعطلُ لحقائق أسماء الله وصفاته ، الملحدُ فيها ، والمقدّم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ ، والنائحة ، والمستمع إليها ، ونواحي جهنم ، وهم المغنّون الغناء الذي حرّمه الله ورسوله ﷺ ، والمستمعُ إليهم ، والذين يبنون المساجدَ على القبور ، يوقدون عليها القناديل والشرج ، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوا ، وهضم ما عليهم إذا بذلوه ، والجبارون ، والمتكبرون ، والمراؤون ، والهّمّازون ، واللمّازون ، والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين ، فيسألونهم ، ويصدّقونهم ، وأعوانُ الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذي يفتخر بالمعصية ، ويتكبر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر ، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك ، والفاحشُ اللسانِ البذيء الذي تركه الخلق اتقاء شرّه وفحشه ، والذي يؤخّر الصلاة إلى آخر وقتها ، وينقرها ، ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، ولا يؤدي زكاة ماله طيبةً بها نفسه ، ولا يحجّ مع قدرته على الحجّ ، ولا يؤدي الحقوق مع قدرته عليها ، ولا يتورّع من لحظةٍ ولا لفظةٍ ولا أكلةٍ ولا خطوةٍ ، ولا يبالي بما حصّل المال من حلالٍ أو حرامٍ ، ولا يصلُ رَحِمَه ، ولا يرحمُ المسكين ، ولا الأرملة ، ولا اليتيم ، ولا الحيوانَ البهيم ، بل يدعُ اليتيم ، ولا يحضّر على طعام المسكين ، ويرائي العالمين ، ويمنع الماعون ، ويشغلُ بعيوب الناس عن عيبه ، وبذنوبهم عن ذنبه ، فكلُّ هؤلاء وأمثالهم يُعذبون في قبورهم بهذه الجرائم ، بحسب كثرتها وقلتها ، وصغيرها وكبيرها ، ولما كان أكثرُ الناس كذلك ، كان أكثرُ أصحاب القبور معذّبين ، والفائز منهم قليل ، فظواهرُ القبور ترابٌ ، وبواطنها حسراتٌ وعذاب . . . وظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنياتٌ ، وفي باطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات ، كما تغلي

القبور بما فيها ، ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيتها^(١) .

وهذه بعض أسباب عذاب القبر :

١ - **الشرك بالله والكفر به**: من أعظم أسباب عذاب القبر الإشراك بالله ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

٢ - **النفاق**: قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] سنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ: إحداهما في الدنيا ، والأخرى هي عذاب القبر .

٣ - **النميمة وعدم الاستتار من البول**: عن ابن عباس رضي الله عنهما ، مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ ، وما يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ، ثم قال: «بلى» ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما أحدهما فكان لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ . قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ، ثم غرز^(٢) كل واحدٍ منهما على قبر ، ثم قال: «لَعَلَّهُ يَخْفَفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْيَسَا»^(٣) .

٤ - **الغلول**^(٤): عن أبي رافع رضي الله عنه قال : مررتُ مع رسولِ الله ﷺ بالبقيع ، فقال: «أَفَّ لَكَ ، أَفَّ لَكَ» فظننتُ أنَّه يريدني فقلتُ : يا رسول الله أحدثتُ شيئاً؟ قال: «وما ذاك؟» قلتُ : أَفَفَتَ مِنِّي . قال: «لا ، ولكنَّ صاحبَ هذا القبرِ فلانٌ ، بعثته ساعياً على بني فلانٍ فغلَّ درعاً ، فدَرَّعَ الآنَ مثلها مِنَ النَّارِ»^(٥) .

٥ - **جَرُّ الإِزَارِ مِنَ الْخِيَلَاءِ**: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال :

(١) الروح لابن القيم ص (١٠٣ - ١٠٦) .

(٢) الغرز: الإدخال (النهاية (٣ / ٣٥٩) .

(٣) البخاري رقم (١٣٧٨) .

(٤) الغلول: الخيانة .

(٥) أحمد (٣٩٢ / ٦) .

« بينما رجلٌ يجرُّ إزاره من الخيلاء خُسِفَ به ، فهو يُجَلِّجُلُ^(١) في الأرضِ إلى يوم القيامة »^(٢) ، وإنما خُصَّ الإزارُ بالذكر ، لأنَّه هو الذي يظهرُ به الخيلاء غالباً^(٣) .

٦ - حبسُ المدينِ في قبره بدينه: روى سعد بن الأطول رضي الله عنه ، أنَّ أخاه مات ، وترك ثلاثمئة درهم وترك عيالا ، قال : فأردتُ أن أنفقها على عياله ، قال : فقال لي نبيُّ الله ﷺ : « إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدَيْنَارٍ ، فَادْهَبْ فَاقْضِ عَنْهُ » فذهبتُ فقضيتُ عنه ثم جئتُ ، قلت : يا رسول الله ، قد قضيتُ عنه إلا دينارين ادَّعتهما امرأةٌ ، وليست لها بينةٌ ، قال : « أَعْطِهَا فَإِنَّهَا مُحَقَّةٌ » وفي رواية « صادقة »^(٤) .

٧ - عقوبةُ الآخذِ بكتاب الله ، ثم رفضه ، والنائم عن الصلاة المكتوبة: فقد جاء في حديث سَمُرَةَ بن جُنْدَب رضي الله عنه الطويل جواب الملكين عن سؤال النبي ﷺ عما رأى في ليلته معهما ، فقالا له : « أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ^(٥) فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ بِالْقُرْآنِ فِيرْفُضُهُ ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ »^(٦) .

فالجزاء من جنس العمل ، فلأنَّ هذا الرجلَ رفضَ القرآن ، وجعله وراء ظهره ، وتثاقل عنه ، وكذلك عن الصلاة المكتوبة ، فلم يصلها مع عبادِ الله في جماعة المسلمين ، بل ثقل رأسه على الفراش ، فجزاؤه أن يُثْلَغَ ويرضَخَ هذا الرأسُ الذي لهذا فعله وشأنه ، وهكذا يعذبُ إلى قيام الساعة ، فقد جاء في بعض الرويات : « . . . فيفعلُ به إلى يوم القيامة »^(٧) .

٨ - عقوبةُ الكذاب: وفي حديث سمرة أيضاً ما أجاب الملكان عن عقوبة ذلك الرجل الذي يُشْرِشِرُ ، ويمزُقُ ، ويقطَعُ شِدَّ

(١) يجلجل: الحركة مع الصوت .

(٢) البخاري رقم (٣٤٨٥) .

(٣) فتح الباري (١٠ / ٢٧٢) .

(٤) أحكام الجنائز للألباني ص (١٥) إسناده صحيح .

(٥) يثلغ رأسه: أي يشدخه ويشقه .

(٦) البخاري رقم (٧٠٤٧) .

(٧) الكبائر والصغائر حامد محمد المصلح ص (١٣٧) .

قَهْ وَعَيْنُهُ وَمِنْخَرُهُ إِلَى الْخَلْفِ ، إِنَّهُ الْكَذَّابُ الَّذِي يَفْشُو كَذِبَهُ ، وَيَنْتَشِرُ عَلَى الْمَلَأِ ،
 حَيْثُ قَالََا لِلنَّبِيِّ ﷺ : « . . وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قِفَاهِ ،
 وَمِنْخَرِهِ إِلَى قِفَاهِ ، وَعَيْنُهُ إِلَى قِفَاهِ ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ
 الْآفَاقَ »^(١) فانظر إلى عقوبة هذا الداء العضال والمرض الاجتماعي الذي يجب
 على المسلم تحاشيه ، فإنه من صفات المنافقين عياداً بالله من كل سوء^(٢) .

٩ - عقوبة الزناة والزواني: في حديث سمرة أيضاً المتقدم جاء فيه : « . . .
 فانطلقنا ، فأتينَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ » قال : فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « إِذَا فِيهِ لَغَطٌ
 وَأَصْوَاتٌ قَالَ : فَاطْلَعْنَا فِيهِ ، إِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عِرَاءٌ ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ
 أَسْفَلٍ مِنْهُمْ ، إِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا » أي صاحوا . وفي آخر الحديث : « وَأَمَّا
 الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعِرَاءُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ ، فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي »^(٣) .

ومناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا ، لأنَّ عادتهم أن يستتروا في
 الخلوة ، فعوقبوا بالهتك ، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنائهم من
 أعضائهم السفلى^(٤) .

١٠ - عقوبة أكل الربا: وفي الحديث السابق أيضاً : « . . . فانطلقنا فأتينَا عَلَى
 نَهْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرُ مِثْلَ الدَّمِ ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ ، وَإِذَا
 عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ
 مَا يَسْبَحُ ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ ، فَيَفْغَرُ^(٥) (أي يفتح) لَهُ
 فَاهُ ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا ، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ فَاهُ ، فَأَلْقَمَهُ
 حَجَرًا . . » الحديث ، وفي آخر الحديث : « وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي
 النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ أَكَلَ الرِّبَا »^(٦) .

(١) البخاري رقم (٧٠٤٧) .

(٢) الكبائر والصغائر ص (١٣٧) .

(٣) البخاري رقم (٧٠٤٧) .

(٤) فتح الباري (١٢ / ٤٦٥) .

(٥) فيفغر: أي يفتح .

(٦) البخاري رقم (٧٠٤٧) .

١١ - الإفطار في رمضان من غير عُذْر: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « بينما أنا نائمٌ أتاني رجلان ، فأخذا بضبعي ، فأتاني جبلاً وعراً ، فقالا : اصعد ، فقلتُ : إنِّي لا أُطيقُهُ ، فقالا : إنا سنسهله لك ، فصعدتُ حتى إذا كنتُ في سواءِ الجبلِ إذا بأصواتٍ شديدةٍ ، قلتُ : ما هذه الأصواتُ؟ قالوا: هذا عواءُ أهلِ النارِ ، ثم انطلقَ بي ، فإذا أنا بقومٍ معلقين بعراقيهم ، مشقة أشدَّاهم دماً ، قال : قلت : مَنْ هؤلاء؟ قال : الذين يُفْطِرُونَ قبل تحلة صومهم» (١) .

١٢ - مَنْ حَرَمَتْ رُضِيعَهَا من ثديها: إذا عمدت الأم إلى حرمان ابنها من هذا اللبن الذي خلفه الله تعالى في ثديها ، وأعطته بدلاً منه لبناً صناعياً لا يقوم مقامه ، ولا يماثله . وهل يصنع الناس كما يصنع بهم؟ فإن النتيجة أن الوليد سينشأ ضعيفاً ، وتعاقب الأم على ذلك في قبرها بعد موتها ، ففي حديث أبي أمامة : « . . . ثم انطلقَ بي ، فإذا أنا بنساءٍ تنهَشُن ثُدْيَهُنَّ الحياتُ قلت : ما بال هؤلاء؟ قال : هؤلاء يمنعن أولادهن ألبانهن » (٢) .

١٣ - حبس الحيوان وتعذيبه: ففي حديث جابر في صلاة الكسوف قال النبي ﷺ : « . . . وحتى رأيتُ فيها صاحبة الهرة التي ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش (٣) الأرض ، حتى ماتت جوعاً » (٤) .

١٤ - الذين يقولون ما لا يفعلون: قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « رأيتُ ليلةً أُسرِيَ بي رجلاً تُقْرَضُ شفاهُهم بمقاريضٍ من نارٍ ، فقلتُ : مَنْ هؤلاء يا جبريلُ؟ فقال : الخطباءُ مِنْ أُمَّتِكَ ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ

(١) ابن خزيمة وصححه الألباني في صحيح الترغيب ص (٩٩٥) .

(٢) ابن خزيمة رقم (٧٠) حياة القبر حسن زكريا ص (٥٩) .

(٣) خشاش الأرض: الحشرات والهوام .

(٤) مسلم ، رقم (٩٠٤) .

بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَلُتَوْنَ الْكِتَابَ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^(١) .

١٥ - النياحة على الميت: قال ﷺ: «الميتُ يُعَذَّبُ في قبره بما نِيحَ عليه» ^(٢) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فيقومُ باكيهم فيقولُ: واجبلاه ، واسنداه ، أو نحو هذا ، إلّا وُكِّلَ به ملكان يُلْهَزَانِه: أهكذا كُنْتَ؟!» ^(٣) . وهذا محمولٌ على أنه أوصاهم بذلك ، أو علم أنهم سينوحون عليه ثم لم ينههم ، قال ابن المبارك: إذا كان ينههم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيءٌ ، والعذابُ عندهم بمعنى العقاب .

١٦ - السرقة: وأما عذابُ السارق في البرزخ ففيه حديثُ رسول الله ﷺ ، عن جابرٍ حيث قال رسول الله: «... وحتى رأيتُ فيها صاحبَ المِخْجَنِ ^(٤) يجرُّ قُصْبَهُ في النارِ ، كان يسرقُ الحاجَّ بِمِخْجَنِهِ ، فَإِنْ فُطِنَ له قال : إنما تعلق بِمِخْجَنِي ، وإنْ غُفِلَ عنه ذهبَ به ^(٥)» .

١٧ - الإعراض عن ذكر الله: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] وفسرتِ المعيشَةُ الضَنْكُ بعذاب القبر ، ولا ريبَ أنه من المعيشَةِ الضَنْكِ ^(٦) ، فالمعيشَةُ الضَنْكُ لازمةٌ لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه ، وفي البرزخ ، وفي يوم معاده ^(٧) . والآية تتناول ما هو أعمُّ منه ^(٨) .

رابعاً- الأسباب المنجية من عذاب القبر:

من الأسباب المنجية من عذاب القبر ، تجنّب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب

(١) السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٩١) .

(٢) البخاري (٣ / ١٦١) .

(٣) صحيح سنن الترمذي (١ / ٢٩٤) .

(٤) المِخْجَن : عصا معقوفة .

(٥) مسلم ، رقم (٩٠٤) .

(٦) حياة القبر عذاب أم نعيم ، حسن زكريا ص (ص ٥٥) .

(٧) الداء والدواء لابن القيم ص (١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٦٤) .

(٨) الرحلة إلى الدار الآخرة ص (١٩٦) .

القبر ، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ، ثم يجدد توبةً نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ، وإن استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ، ويستدرك ما فاتته ، وليس للعبد أنفع من هذه النوم ، ولا سيما إذا ذلك عقب ذكر الله ، واستعمال الشُّنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم ، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله^(١) .

أما الجواب المفصل فنذكر أن مما ينجي من عذاب القبر :

١ - **توحيد الله تعالى:** لقد كان توحيد الله سبحانه دوماً في مقدمة الأعمال الصالحة ، لأنه أساسها وأصلها الذي تنبني عليه ، وإذا فقد أو حُرِمَ انهار صرحها ، وتهاوى بنيانها ، وهو أعظم عامل للثبات في جميع المواطن ، وفي هذا الموطن جاء الدليل من الكتاب والسنة على أهمية التوحيد في ثبات المؤمن في القبر^(٢) ، قال الله تعالى : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] والقول الثابت هو كلمة التوحيد ، وهي شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . فلا يثبت في القبر إلا الموحد الذي عرف الله حق المعرفة ، وآمن به إيماناً صادقاً ، ولم يعرف عبادة لسواه ، بل وحده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته^(٣) .

٢ - **الاستقامة على طاعة الله عز وجل:** قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠] . فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه ، فمن عاش على الطاعة مُخلصاً لله ، ومتبعاً له ، ومتبعاً لهدي رسول الله ﷺ ، فإنه يموت على الطاعة ،

(١) الرحلة إلى الدار الآخرة ص (١٩٩) .

(٢) الثبات على الدين (٢ / ١١٣٧) .

(٣) المصدر نفسه (٢ / ١١٣٨ - ١١٣٩) .

وينور الله له قلبه بتلك الطاعة ، بل يصبح قبره روضةً من رياض الجنة جزاءً لكل لحظة عاشها في طاعة الله جلّ وعلا^(١) .

٣ - الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات: قال النبي ﷺ: «إِنَّ المِيتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُولَوْنَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ، فَيَقَالُ لَهُ: اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ ، وَقَدْ أَدْنِيتَ لِلْغُرُوبِ ، فَيَقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ، مَا تَقُولُ فِيهِ ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَصْلِيَ ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ ، أَخْبَرْنَا نَسْأَلُكَ عَنْهُ ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَيَقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتْ ، وَعَلَى ذَلِكَ تَبْعْثْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ ، فَتَجْعَلُ نَسْمَتُهُ^(٢) ، فِي النَّسِيمِ الطَّيِّبِ ، وَهُوَ طَيْرٌ يَلْقَى^(٣) فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»^(٤) .

لقد بيّنت الأحاديثُ أَنَّ لهذه الطاعات أثراً عظيماً في القبر ، فهي تحيطُ بالمؤمن من جميع جوانبه ، وتحميه وتدافع عنه^(٥) .

(١) الرحلة إلى الدار الآخرة ص (٢٠١) .

(٢) نسمة: النسمة هي النفس والروح .

(٣) يلقى: أي يأكل .

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، رقم (٣١١٣) .

(٥) الثبات على دين الله (٢ / ١١٤١) .

٤ - الشهادة في سبيل الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿[آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] .

وقد جاء بيان ذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عندما سأله مسروق عن معنى الآية الأولى فقال : أمّا إنّنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فأطلع عليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » (١) .

فالشهداء أرواحهم حية عند الله حياة برزخية ، مودعة في أجواف طير خضر تتنعم بنعم الله ، وترتزق برزق الله ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، تأكل من ثمارها ، وتلتذ بنعيمها ، وهي مغتبطة فرحة بما نالت من أجر ، وحظيت من كرامة ، بل تتمنى أن تعود إلى الدنيا لتقتل في سبيل الله مرة أخرى لما رأت من فضل الشهادة ، وعظيم ثوابها (٢) .

ولقد بين النبي ﷺ أن من قتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وإعزاز دينه ، آمن فتنه القبر ، وسلم منها ، فلما سئل رسول الله ﷺ وقيل له يا رسول الله : ما بال المؤمنين يُقتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة (٣) السيف على رأسه فتنه » (٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « من لقي العدو ، فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يُفتن في قبره » (٥) .

(١) مسلم ، رقم (١٨٨٧) .

(٢) الثبات على دين الله (٢ / ١١٤٣) .

(٣) بارقة السيف : أي لمعانها .

(٤) النسائي رقم (٢٠٥٣) صححه الألباني .

(٥) الحاكم (٢ / ١٣٠) ، صحيح الإسناد .

وقال رسول الله ﷺ: « للشهيد عند الله سيِّ خصالٍ : يُعْفَرُ له في أوَّلِ دفعةٍ ، ويرى مقعده من الجنة ، ويَجَارُ من عذابِ القبرِ ، ويأْمَنُ من الفزعِ الأكبرِ ، ويوضَعُ على رأسِهِ تاجُ الوقارِ ، الياقوتَةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويزوَّجُ باثنتين وسبعين زوجةً من الحورِ العينِ ، ويشقَّقُ في سبعين من أقاربه » (١) .

٥ - الرباط في سبيل الله: فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كُلُّ الميتِ يُخْتَمُ على عَمَلِهِ إلا المرابطُ ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمنُ من فتانِ القبرِ » (٢) .

وفي رواية قال : « يُنَمَّى له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمنُ من فتنةِ القبرِ » (٣) .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « رباطُ يومٍ في سبيلِ الله أفضلُ (وربما قال) : خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامِهِ ، ومَن مات فيه وُقِيَ فتنةَ القبرِ ، ونُمِّيَ له عمله إلى يومِ القيامةِ » (٤) .

فالمرابطُ في سبيلِ الله يأْمَنُ من فتنةِ القبرِ ، ومن فتانِ القبرِ ، فيسَلَمُ منهما بثباتٍ وصبرٍ ، فيضاعفُ له الأجرُ ، ولا ينقطعُ مدَّةُ الحياةِ وأبدَ الدهرِ إلى يومِ القيامةِ والحشرِ (٥) .

٦ - التَعَوُّذُ بالله من عذابِ القبرِ: عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يقول : « اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ من العجزِ والكسلِ والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ ، وأعوذُ بِكَ من عذابِ القبرِ ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فتنةِ المحيا والمماتِ » (٦) .

وعن عُرْوَةَ بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدعو في الصلاة : « اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ من عذابِ القبرِ ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فتنةِ

(١) الترمذي رقم (١٦٦٣) صحيح الإسناد .

(٢) أبو داود رقم (٢٥٠٠) صحيح الإسناد .

(٣) الإحسان رقم (٤٦٢٤) .

(٤) مسلم رقم (١٩١٣) .

(٥) الثبات على دين الله (٢ / ١١٤٤) .

(٦) البخاري رقم (٦٣٦٧) .

المسيح الدجال ، وأعوذُ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات . اللهم إني أعوذُ بك من المأثم والمغرم»^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا فرغ أحدكم من التشهُد الآخر ، فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شرّ المسيح الدجال »^(٢) .

٧ - الدعاء: ولا ينبغي أبداً أن يغفل المسلم عن الدعاء ، فالدعاء من أعظم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة ، سمع النبي ﷺ رجلاً يقول في التشهُد : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، المنان ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حيّ يا قيوم إني أسألك الجنة ، وأعوذُ بك من النار ، فقال ﷺ لأصحابه : « تدرّون بما دعا ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « والذي نفسي بيده ، لقد دعا الله باسمه العظيم (وفي رواية) الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى »^(٣) .

فعلينا أن نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، وباسمه الأعظم أن ينجينّا من عذاب القبر ، ونحن موقنون بالإجابة^(٤) .

كما أنّ الدعاء للميت من أسباب التثبيت ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت ، وقف عليه ، فقال : « استغفروا لأخيكم ، وسلّوا له التثبيت ، فإنه الآن يُسأل »^(٥) .

٨ - تجنّب أسباب عذاب القبر: ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنّب العبد كلّ الأسباب التي تؤدّي إلى عذاب القبر ، مثل النميمة ، وعدم الاستتار ، والتنزّه من البول ، والكذب ، وهجر القرآن ، وعدم العمل به ، وأكل الربا ، والوقوع في الزنا . . الخ ، فكلّ هذه الأشياء من أسباب عذاب القبر ، فعلينا أن

(١) البخاري رقم (٨٣٢) .

(٢) مسلم رقم (٥٨٨) .

(٣) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٢٠٥) أخرجه الحاكم وصححه . ووافقه الذهبي .

(٤) المصدر نفسه ص (٢٠٥) .

(٥) أبو داود رقم (٣٢٢١) ، صححه الألباني .

نتجنّبها للننجو جميعاً من عذاب القبر ، وكذلك علينا أن نتجنّب الأسباب التي تؤدي إلى سوء الخاتمة ، من الشك ، والجحود ، وفساد المعتقد ، والنفاق ، وحُب المعاصي ، والإصرار عليها ، وتعلق القلب بغير الله ، والانتحار ، والعدول عن الاستقامة ، وحُب الدنيا ، وطول الأمل وغير ذلك من الأسباب^(١) .

ونسأل الله عزّ وجلّ بأسمائه الحسنی وصفاته العلاء أن ينجينا جميعاً من عذاب القبر وعذاب النار ، وأن يجمعنا في مستقرّ رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

خامساً- مستقر الأرواح في البرزخ:

تتفاوت أرواح العباد في البرزخ في منازلها ، ومن خلال دراسة النصوص الواردة في ذلك يمكن التقسيم التالي :

١ - أرواح الأنبياء: وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين ، في الرفيق الأعلى ، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول ﷺ في آخر لحظات حياته يقول : « اللهم الرفيق الأعلى »^(٢) .

٢ - أرواح الشهداء: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وأرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرّح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل^(٣) .

٣ - أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيوراً تعلق في شجر الجنة ، قال رسول الله ﷺ : « إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة »^(٤) .

والفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء ، أن الشهداء في حواصل طير خضر تسرّح متنقلة في رياض الجنة ، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ، أما

(١) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٣٠٣) .

(٢) البخاري رقم (٦٣٤٨) ومسلم (٢٤٤٤) .

(٣) مسلم رقم (١٨٨٧) .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (٩٩٥) .

أرواحُ المؤمنين ، فإنَّها في أجوافِ طيرٍ يعلّق في ثمرِ الجنةِ ، ولا ينتقل في أرجائها^(١) .

٤ - أرواح العصاة: سبق وأن ذكرْتُ بعضَ النصوصِ التي تبينُ ما يلاقيه العصاةُ من العذاب ، فمن ذلك أنَّ الذي يكذبُ الكذبةَ تبلغُ الآفاقَ ، يعذبُ بكلوبٍ من حديدٍ ، يدخلُ في شِدْقِهِ حتى يبلغَ قفاه ، والذي نامَ عن الصلاةِ المكتوبةِ يُشَدُّ رأسُه بصخرةٍ ، والزناةُ والزَّواني يعذبونَ في ثُقبٍ مثلِ التنوّرِ ، ضيقُ أعلاه ، وأسفلُه واسعٌ ، تُوقَدُ النارُ تحته ، والمرابي يسبَحُ في بحرٍ من الدم ، وعلى الشطِّ مَنْ يلقمُه الحجارةُ^(٢) .

وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدّث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله ، والذي يمشي بالنميمة بين الناس^(٣) ، والذي غلَّ من الغنيمة ونحو ذلك^(٤) .

٥ - أرواحُ الكفّار: في حديث رسول الله ﷺ بعدما وصفَ حالَ المؤمنِ إلى أن يبلغَ مستقرّه في الجنةِ ، ذكرَ حالَ الكافرِ ، وما يلاقيه عندَ النزاعِ ، وبعد أن تُقبَضَ روحُه ، تخرجُ منه كأنتن ريح ، حتى يأتونَ به بابَ الأرضِ ، فيقولن : ما أنتن هله الريح حتى يأتونَ به أرواحُ الكفّار^(٥) .

* * *

(١) اليوم الآخر ، القيامة الصغرى ، عمر الأشقر ص (١٠٣) .

(٢) انظر البخاري رقم (٧٠٤٧) .

(٣) البخاري (١٣٧٨) .

(٤) أحمد (٦ / ٣٩٢) .

(٥) أحمد (١٨٥٣٤) .

الفصل الثاني

علامات الساعة الصغرى والكبرى والنفخ في الصور

المبحث الأول : علامات الساعة الصغرى .

المبحث الثاني : أشراف الساعة الكبرى .

المبحث الثالث : النفخ في الصور .

* * *

المبحث الأول



علامات الساعة الصغرى

أولاً - إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية:

أخبر النبي ﷺ بما يكون إلى قيام الساعة ، وذلك مما اطلعه الله عليه من الغيوب المستقبلية ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ، حتى بلغت التواتر المعنوي^(١) ، فمنها :

١ - ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، عِلِمَهُ مَنْ عِلِمَهُ ، وَجِهَلُهُ مَنْ جِهَلُهُ ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ ، فَأَعْرِفُهُ كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَاهُ فَعَرَفَهُ^(٢) .

٢ - روى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه ، قال : صَلَّى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل ، فصلّى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل ، فصلّى ، ثم صعد ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا^(٣) . فهذه أدلة صحيحة على أنّ النبي ﷺ قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة ، فيما يخصهم .

ولا شك أن أشراط الساعة كثيرة جداً ، ورويت بألفاظ مختلفة لكثرة من نقلها من الصحابة رضي الله عنهم^(٤) .

(١) الشفا بتعريف أحوال المصطفى للقاضي عياض (١ / ٦٥٠) .

(٢) البخاري رقم (٦٦٠٤) .

(٣) مسلم (٢٨٩٤) .

(٤) أشراط الساعة يوسف الوابل ص (٥٥) .

ثانياً - علم الساعة:

غيبٌ لا يعلمه إلا الله تعالى ، كما دلّت على ذلك الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فإنّ علم الساعة ممّا استأثر الله به ، فلم يُطْلِعْ عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ قُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] فالله تعالى يأمر نبيه محمداً ﷺ أن يخبر الناس أنّ علم الساعة عند الله وحده ، فهو الذي يعلم جليّة أمرها ، لا يعلم ذلك أحدٌ من أهل السماوات والأرض^(١) ، وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣] وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴾ ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلًا ﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٤] .

فتمتّهي علم الساعة إلى الله وحده ، ولهذا لما سأل جبريل ﷺ رسول الله ﷺ عن وقت الساعة - كما في حديث جبريل الطويل - قال النبي ﷺ : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل »^(٢) . فجبريل لا يعلم متى تقوم الساعة ، وكذلك محمداً ﷺ^(٣) .

ثالثاً - قرب قيام الساعة:

تدلّ الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قرب الساعة ودُنُوها ، فإنّ ظهور أكثر أشرار الساعة دليلٌ على قربها ، وعلى أننا في آخر أيام الدنيا^(٤) ، قال تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج: ٦ - ٧] وقال تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالّة على قرب نهاية هذا العالم

(١) أشرار الساعة للوالب ص (٥٨) .

(٢) مسلم (٨) .

(٣) أشرار الساعة ص (٥٨) .

(٤) المصدر نفسه ص (٦٧) .

الدنيوي ، والانتقال إلى دار أخرى ، ينالُ فيها كلُّ عاملٍ عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين ، ويشيرُ بأصبعيه فيمدهما »^(٢) .

رابعاً- مجمل أشراف الساعة الصغرى:

تحدّث العلماء عن أشراف الساعة ، وإليك أهمُّها ممّا ثبت بالسنة النبوية منها :

- ١- بعثة النبي ﷺ .
- ٢- موت النبي ﷺ .
- ٣- فتح بيت المقدس .
- ٤- طاعونُ عمواس^(٣) .
- ٥- استفاضةُ المالِ ، والاستغناءُ عن الصدقة .
- ٦ - ظهورُ الفتن ، كظهورها من المشرق ، ومقتل عثمان رضي الله عنه ، وموقعة الجمل ، وموقعة صفين^(٤) وظهور الخوارج ، وموقعة الحرّة^(٥) واتباع سنن الأمم الماضية .
- ٧- ظهورُ مدّعي النبوة .
- ٨- ظهورُ نارِ الحجازِ .
- ٩- انتشارُ الأمن .

(١) أشراف الساعة ص (٦٧) .

(٢) البخاري (٣٩٣٦) ومسلم (٢٩٥١) .

(٣) عَمَواس : بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة ، وكان هذا الطاعون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) انظر : كتاب حقيقة الخلاف بين الصحابة للمؤلف ، ففيه تفصيل .

(٥) معركة بين أهل المدينة وجيش يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عام ٦٣ هـ .

- ١٠- قتالُ الترك .
- ١١- قتالُ العجم .
- ١٢- ضياعُ الأمانة .
- ١٣- قبضُ العلم ، وظهورُ الجهل .
- ١٤- كثرةُ الشرِّطِ وأعوانِ الظلِّمة .
- ١٥- انتشارُ الزنا .
- ١٦- انتشارُ الربا .
- ١٧- ظهورُ المعازِفِ واستحلالُها .
- ١٨- كثرةُ شربِ الخمرِ واستحلالُها .
- ١٩- زخرفةُ المساجِدِ ، والتباهي بها .
- ٢٠- التطاؤُلُ في البنيانِ .
- ٢١- ولادةُ الأمةِ لربِّتها .
- ٢٢- كثرةُ القتلِ .
- ٢٣- تقاربُ الزمانِ .
- ٢٤- تقاربُ الأسواقِ .
- ٢٥- ظهورُ الشركِ في هذه الأمة .
- ٢٦- ظهورُ الفُحْشِ ، وقطيعةُ الرحمِ ، وسوءُ الجوارِ .
- ٢٧- تشبُّبُ المشيخةِ .
- ٢٨- كثرةُ الشحِّ .
- ٢٩- كثرةُ التجارةِ .
- ٣٠- كثرةُ الزلازلِ .
- ٣١- ظهورُ الحَسَفِ والمَسْحِ والقَذْفِ .

- ٣٢- ذهابُ الصالحين .
- ٣٣- ارتفاعُ الأسافل .
- ٣٤- التحيةُ للمعرفة : أي لا يطلقُ السَّلام إلا على مَنْ يعرفه .
- ٣٥- التماسُ العلم عند الأصاغر .
- ٣٦- ظهورُ الكاسياتِ العارياتِ .
- ٣٧- صدقُ رؤيا المؤمن .
- ٣٨- كثرةُ الكتابة وانتشارُها .
- ٣٩- التهاونُ بالسنن التي رَغِبَ فيها الإسلام .
- ٤٠- انتفاخُ الأهلة^(١) .
- ٤١- كثرةُ الكذب ، وعدمُ التثبُّت في نقل الأخبار .
- ٤٢- كثرةُ شهادةِ الزور ، وكتمانُ شهادة الحق .
- ٤٣- كثرةُ النساءِ وقلةُ الرجالِ .
- ٤٤- كثرةُ موتِ الفجأة .
- ٤٥- وقوعُ التناكرِ بين الناس^(٢) .
- ٤٦- عودُ أرضِ العربِ مروجاً وأنهاراً .
- ٤٧- كثرةُ المطر ، وقلةُ النباتِ .
- ٤٨- حسرُ الفراتِ عن جبلٍ من ذهب .

(١) تفسير انتفاخ الأهلة بأن ذلك عبارة عن كبر الهلال حين طلوعه عمّا هو معتاد في أول الشهر ، فيرى وهو ابن ليلة كأنه ابن ليلتين .

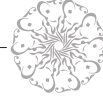
(٢) وقوع التناكر عند كثرة الفن والمحن ، وكثرة القتال بين الناس ، وحينما تستولي المادة على الناس ، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه ، تكثر الأنانية ، وتسيطر الأهواء والشهوات ، فيحدث التناكر بين الناس .

- ٤٩- كلامُ السباعِ والجماداتِ للإنسان .
 - ٥٠- تمنّي الموت من شدة البلاء .
 - ٥١- كثرةُ الروم ، وقتالُهم للمسلمين .
 - ٥٢- فتح القسطنطينية .
 - ٥٣- قتالُ اليهود .
 - ٥٤- نفيُ المدينة لشرارِها ، ثم خرابُها في آخرِ الزمان .
 - ٥٥- بعثُ الريح الطيبة لقبضِ أرواحِ المؤمنين .
 - ٥٦- استحلالُ البيتِ الحرام ، وهدمُ الكعبة .
- هذه أهمُّ أشرارِ الساعة الصغرى التي جاءت في أحاديث النبي ﷺ ، ومن أراد التوسُّعَ ومعرفةَ الأحاديث فليراجع كتاب (أشرار الساعة)^(١) ففيه التفاصيل .

* * *

(١) أشرار الساعة يوسف الوابل ص (٨٠ - ٢٣٥) .

المبحث الثاني



أشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

أولاً- نزول عيسى عليه السلام:

نزولُ عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابتٌ في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة ، وذلك علامةٌ من علامات الساعة الكبرى :

أ- الأدلة من القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام :

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦١] .

فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام ، وجاء في آخرها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلْسَاعَةِ ﴾ أي نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة ^(١) .

٢ - وقال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩] فهذه الآيات ، كما أنها

تدلُّ على أنَّ اليهودَ لم يقتلوا عيسى عليه السلام ، ولم يصلبوه ، بل رفعه الله إلى السماء ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] فإنَّها تدلُّ على أنَّ من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان ، وذلك عند نزوله ، وقبل موته ، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة^(١) .

وعيسى عليه السلام حيٌّ ، وقد ثبت في (الصحيحين)^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال : «والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريمَ حكماً عدلاً ، وإماماً مُقْسِطاً ، فيكسرُ الصليبَ ، ويقتلُ الخنزيرَ ، ويضعُ الجزيةَ ، ويفيضُ المالَ حتى لا يقبله أحدٌ» .

وثبت في (الصحيح)^(٣) عنه أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وأنَّه يقتلُ الدجالَ ، ومن فارقت روحه جسده ، لم ينزل جسده من السماء ، وإذا أحييَ ، فإنَّه يقومُ من قبره .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥] فهذا دليلٌ على أنَّه لم يعنِ بذلك الموتَ ، إذ لو أراد بذلك الموتَ ، لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين ، فإنَّ الله يقبضُ أرواحهم ، ويعرجُ بها إلى السماء ، فعلم أنَّه ليس له في ذلك خاصيةٌ ، وكذلك قوله : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ولو كان قد فارقت روحه جسده ، لكان بدنه في الأرض ، كبदन سائر الأنبياء ، أو غيره من الأنبياء ، وقد قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨] فقوله هنا ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ يبين أنَّه رُفِعَ بدنه وروحه ، كما ثبت في (الصحيح)^(٤) أنه ينزلُ بدنه وروحه ، إذا لو أيدَ موته لقال : وما قتلوه وما صلبوه بل مات .

(١) أشراط الساعة ص (٣٤٤) .

(٢) البخاري رقم (٢٢٢٢) ومسلم رقم (١٥٥) .

(٣) مسلم رقم (١٢٣٧) .

(٤) تقدم آنفاً .

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] قال: قبل موت عيسى بن مريم (١).

ب- والأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام كثيرة ومتواترة منها:

١ - قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابنُ مريمَ حكماً عدلاً، فيكسرُ الصليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ، ويضعُ الحربَ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها» (٢).

٢ - وقال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابنُ مريمَ فيكم وإمامكم منكم» (٣)؟

٣ - وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحقِّ، ظاهرين، إلى يومِ القيامةِ»، قال: فينزلُ عيسى بن مريم عليه السلام فيقولُ له أميرُهم: صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء، تَكْرُمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ (٤).

وقد جاءت الأحاديثُ في نزول عيسى عليه السلام في الصحاح والسنن والمسانيد وغيره من دواوين السنة، وهي تدلُّ دلالةً صريحةً على نزول عيسى عليه السلام، ولا حجةَ لمن ردّها (٥).

ثانياً- يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان علامةٌ من علامات الساعة الكبرى، وقد دلَّ على ظهورهم الكتابُ والسنة:

والآيات الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج هي:

١ - قال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبَّأًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَكْذِبُ الْفَرْنَيْنُ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

(١) تفسير الطبري (٦ / ٨).

(٢) البخاري رقم (٢٢٢٢) ومسلم رقم (١٥٥).

(٣) البخاري رقم (٣٤٤٩) ومسلم رقم (١٥٥).

(٤) مسلم رقم (١٥٦).

(٥) أشراف الساعة ص (٣٤٩).

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٥﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٦﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٧﴾ فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَتَبَعُوا لَهُ نَقِبًا ﴿٩٨﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٩﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لَجْمَعَنَّهُمْ جَمْعًا ﴿١٠٠﴾ [الكهف: ٩٢-٩٩] .

٢ - وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُشِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَوَّلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧] .

فهذه الآيات تدلُّ على أنَّ الله تعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السدِّ العظيم ، ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس ، فإذا جاء الوقت المعلوم ، واقتربت الساعة ، اندكَّ هذا السدُّ ، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة ، وجمع كبير ، لا يقف أمامه أحدٌ من البشر ، فمأجوا في الناس ، وعاثوا في الأرض فساداً ، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور ، وخراب الدنيا ، وقيام الساعة^(١) .

والأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرة منها :

عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فرعاً يقول : « لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترَب ، فُتِحَ اليوم من رَدَمٍ يأجوج ومأجوج مثلُ هذه » وحلَّق بأصبعي الإبهام والتي تليها . قالت زينب بنت جحش : فقلتُ : يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ، قال : « نعم ، إذا كثُرَ الخَبْثُ »^(٢) .

ثالثاً- الدخان:

قال تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٠١﴾ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ [الدخان: ١٠-١١] .

(١) أشراف الساعة ص (٣٧١) .

(٢) البخاري رقم (٧٠٥٩) ومسلم (٢٨٨٠) .

ومن علامات الساعة وأشرطها العظمى ظهور دخانٍ قبل قيام الساعة ، يملأ الأرض كلها ، فتصبحُ كبيتٍ أوقد فيه ، فيأخذُ بالمؤمنين كالزكمة ، ويدخلُ في منافذ الكفار والمنافقين حتى يخرج من كلٍّ مسمعٍ منهم^(١) .

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري أنه قال : اطلع رسولُ الله ﷺ علينا ، ونحن نتذاكرُ فقال : « ما تذكرون ؟ » قلنا : نذكر الساعة ، قال : « إنها لن تقومَ حتى تروا قبلها عشرَ آياتٍ ، فذكر : الدخانَ ، والدجالَ ، والدابةَ ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها ، ونزولَ عيسى بنِ مريم ، ويأجوجَ ومأجوجَ ، وثلاثة خسوفٍ ، خسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب وآخرُ ذلك نارٌ تطرُدُ الناسَ إلى محشرهم »^(٢) .

رابعاً - طلوع الشمس من مغربها:

من أعظم أشرط الساعة الكبرى ، وبه يُعلَقُ بابُ التوبة .

الآية الدالة على ذلك :

قد ذكر الله تعالى طلوع الشمس من مغربها في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

وقد دلَّت الأحاديثُ الصحيحة أنَّ المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوعُ الشمسِ من مغربها ، وهو قول أكثر المفسرين^(٣) .

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبارُ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ذلك حين تطلعُ الشمسُ من مغربها »^(٤) .

(١) أشرط الساعة الكبرى ماجد البنكاني ص (١٨٥) . .

(٢) مسلم رقم (٢٩٠١) أشرط الساعة للبنكاتي ص (١٨٥) .

(٣) أشرط الساعة ص (٣٩١) .

(٤) تفسير الطبري (٨ / ١٠٣) .

والأحاديث الدالة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة منها :

قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ، فرآها الناس ، آمنوا أجمعون ، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً »^(١) .

خامساً- خروج الدابة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢] .

فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة ، وأن ذلك يكون عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق ، يُخرج لهم دابة من الأرض ، فتكلم الناس على ذلك^(٢) قال العلماء في معنى قوله تعالى : ﴿ وَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ أي : وجب الوعيد عليهم ، لتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان ، وإعراضهم عن آيات الله ، وتركهم تدبرها ، والنزول على حكمها ، وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا تنجح معه فيه موعظة ، ولا تصرفهم عن غيهم تذكرة ، يقول عز من قائل فإذا صاروا كذلك : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ أي : دابة تعقل وتنطق ، والدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل ، ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله^(٣) .

روى مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « بادروا بالأعمال ستاً : الدجال ، والدخان ، ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة ، وخويصة أحدكم »^(٤) .

سادساً- المهدي:

جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي ، وهذه الأحاديث

(١) البخاري رقم (٤٦٣٥) ومسلم رقم (١٥٧) .

(٢) أشراف الساعة ص (٤٠٤) .

(٣) التذكرة (٣ / ٣٤٠) ط دار ابن كثير .

(٤) مسلم رقم (٢٩٤٧) .

منها ما جاء فيه النصُّ على المهدي ، ومنها ما جاء فيه ذكر صفته فقط ، ومن هذه الأحاديث :

١ - قال رسول الله ﷺ : « يخرج في آخر أمتي المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطى المال صحاحاً ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعاً أو ثمانياً » يعني : حججاً^(١) .

٢ - وقال رسول الله ﷺ : « أبشركم بالمهدي ، يُبعث على اختلافٍ من الناس وزلازل ، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرض ، يقسمُ المال صحاحاً » . فقال له رجلاً : ما صحاحاً ؟ قال : « بالسوية بين الناس »^(٢) .

٣ - وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدي منا أهل البيت ، يُصلحه الله عز وجل في ليلة »^(٣) أي يتوب عليه ، ويوفقه ، ويلهمه ، ويرشده ، بعد أن لم يكن كذلك .

سابعاً - المسيح الدجال :

مسيح الضلالة ، يفتنُ الناس بما يُعطاه من الآيات ، كإنزال المطر ، وإحياء الأرض بالنبات وغيرهما من الخوارق ، وسُمي الدجال مسيحاً ، لأنَّ إحدى عينيه ممسوحةٌ ، ولأنَّه يمسحُ الأرض في أربعين يوماً ، والقولُ الأوَّل هو الراجح ، لما جاء في الحديث النبوي : « إنَّ الدجالَ ممسوحُ العين »^(٤) .

ومعنى الدجال : الممَّوه الكذاب بالممَّخرق ، وهو من أبنية المبالغة ، وهو على وزن فعَّال ، أي يكثرُ منه الكذبُ والتلبيسُ ، وجمعه دجالون ، وجمعه الإمام مالك على دجاجة وهو جمعُ تكسيرٍ^(٥) .

(١) الحاكم (٥٥٧ / ٤) سند صحيح رجاله ثقات .

(٢) أحمد (٣٧ / ٣) رجاله ثقات .

(٣) أحمد (٥٨ / ٢) رقم (٦٤٥) إسناده صحيح .

(٤) مسلم رقم (٢٩٣٤) .

(٥) لسان العرب (دجل) .

وسمي الدجال دجالاً : لأنه يَغطِّي الحق بالباطل ، أو لأنه يَغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم ، وقيل لأنه يَغطي الأمر بكثرة جموعه^(١) .

ولفظه الدجال أصبحت علماً على المسيح الأعور الكذاب ، فإذا قيل الدَّجَالُ ، فلا يتبادر إلى الذهن غيره .

والدَّجال رجلٌ من بني آدم ، له صفاتٌ كثيرةٌ ، جاءت بها الأحاديثُ لتعريف الناس به ، وتحذيرهم من شره ، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون ، فلا يُقَتُّون به ، بل يكونون على علمٍ بصفاته ، فلا يغترُّ به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشُّقوةُ ، نسأل الله العافية .

ومن هذه الصفاتِ أنَّه رجلٌ شابٌّ ، أحمرٌ ، قصيرٌ ، أفحجٌ جعدُ الرأسِ ، أجلى الجبهةِ ، عريضُ النحرِ ، ممسوخُ العينِ اليمنى ، وهذه العينُ ليست بناتئة^(٢) ، ولا جحراء^(٣) ، كأنَّها عنبٌ طافيةٌ ، وعينه اليسرى عليها ظفرةٌ غليظةٌ^(٤) ، ومكتوبٌ بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة ، أو (كافر) بدون تقطيع ، يقرأها كلُّ مسلمٍ كاتبٍ وغير كاتبٍ ، ومن صفاته أنَّه عقيمٌ لا يولد له .

وهذه بعضُ الأحاديثِ الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة ومنها:

١ - قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ رَجُلٌ قَصِيرٌ ، أَفْحَجٌ جَعْدٌ ، أَعْوَرٌ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ ، لَيْسَتْ بِنَاتِيَّةٍ وَلَا حَجْرَاءُ »^(٥) .

٢ - قال رسول الله ﷺ : « الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، جَفَالُ الشَّعْرِ »^(٦) .

٣ - وقال ﷺ : « وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ »^(٧) .

(١) المصدر نفسه .

(٢) ناتئة : مأخوذة من التواء وهو الارتفاع والانتفاخ .

(٣) جحراء : ليست غائرة منحجرة في نقرتها .

(٤) ظفرة : لحمة تنبت عند المآقي ، وقد تمتد إلى السواد فتخشاه .

(٥) أبو داود مع عون المعبود (١١ / ٤٤٣) حديث صحيح .

(٦) مسلم رقم (٢٩٣٤) .

(٧) البخاري رقم (٧١٣١) ومسلم رقم (٢٩٣٤) .

وَحُرِّمَ عَلَى الدَّجَالِ دُخُولُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ حِينَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك ، وأما سوى ذلك من البلدان ، فَإِنَّ الدَّجَالَ سَيَدْخُلُهَا واحداً بعد الآخر ، وأكثرُ اتباع الدجال من اليهود والعجم والترك ، وأخلاق من الناس غالبهم الأعراب والنساء^(١) .

وفتنة الدجال عظيمةٌ ، وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول ، وتحير الألباب^(٢) .

الوقاية من الدجال : أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال ، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ ، فلم يدع ﷺ خيراً إلا دلَّ أمته عليه ، ولا شراً إلا حذرها منه ، ومن جملة ما حذر منه فتنة المسيح الدجال ، لأنها أعظم فتنة تواجهها الأمة إلى قيام الساعة .

وكان كلُّ نبيٍّ ينذر أمته الأعور الدجال ، وخَصَّ مُحَمَّدٌ ﷺ بزيادة التحذير والإنذار ، وقد بين الله له كثيراً من صفات الدجال ليحذر أمته ، فإنه خارجٌ من هذه الأمة لا محالة ، لأنها آخر الأمم ، ومحمدٌ ﷺ خاتم النبيين .

ومن الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى ﷺ لتنجو من هذه الفتنة العظيمة الآتي :

١ - التمسك بالإسلام ، والتسلح بسلاح الإيمان ، ومعرفة أسماء الله الحسنى التي لا يشاركه فيها أحدٌ ، فيعلم أنَّ الدجال بشرٌ يأكل ويشرب ، وأنَّ الله تعالى منزّهٌ عن ذلك ، وأنه لا أحد يرى ربّه حتى يموت .

٢ - التعوذ من فتنة الدجال ، وخاصة في الصلاة ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة : « اللهم فإني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ، وفتنة القبر وعذاب القبر ، وأعوذ بك من شرِّ فتنة المسيح الدجال »^(٣) .

(١) أشراط الساعة ص (٣٠٩ - ٣١١) .

(٢) أشراط الساعة ص (٣١٣) .

(٣) البخاري رقم (٦٣٦٨) ومسلم رقم (٥٨٩) .

وروى مسلم^(١) عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تشهّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال » .

٣ - حفظ آيات من سورة الكهف : فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات خواتيمها ، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها .

ومن الأحاديث الواردة ، قوله ﷺ : « من أدركه منكم ، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ »^(٣) ، أي : من فتنه ، وهذا من خصوصيات سورة الكهف ، فقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها وخاصة يوم الجمعة^(٤) .

وروى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ »^(٥) .

٤ - الفرار من الدجال والابتعاد منه ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَمِعَ بِالْجَالِ ، فَلْيَنَأ عَنَّهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسُبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، أَوْ لَمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ »^(٦) .

وأما هلاك الدجال على يدي المسيح عيسى بن مريم ﷺ ، فقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة^(٧) .

(١) مسلم رقم (٥٨٨) .

(٢) مسلم مع شرح النووي (١٨ / ٦٥) .

(٣) مسلم رقم (٨٠٩) .

(٤) أشراط الساعة ص (٣٢٨) .

(٥) الحاكم (٢ / ٣٦٨) صحيح الإسناد .

(٦) صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (٦١٧٧) .

(٧) أشراط الساعة ص (٣٣٣) .

ثامناً - الخسوفات الثلاثة:

وهي من أشرار الساعة ، جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى ، فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ السَّاعَةَ لَن تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ . . (فذكر منها) وثلاثة خسوفٍ ، خَسَفٌ بِالمَشْرِقِ ، وَخَسَفٌ بِالمَغْرِبِ ، وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ »^(١) .

وهذه الخسوف تكون عظيمةً وعامةً لأماكن كثيرة من الأرض ، في مشارقها ومغاربها وفي جزيرة العرب . وقد وُجِدَ عبر التاريخ الخسوف في مواضع ، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وُجِدَ ، كأن يكون أعظم منه مكاناً وقدراً^(٢) .

تاسعاً - النار التي تحشر الناس:

ومنها خروجُ النارِ العظيمة ، وهي من أشرارِ الساعة الكبرى ، وأوَّلُ الآياتِ المؤذنة بقيام الساعة ، وجاءت الرواياتُ بأنَّ خروجَ هذه النارِ يكونُ من اليمينِ ، من قعرةِ عدن ، فقد جاء في حديثِ حذيفة بن أسيد في ذكر أشرارِ الساعة الكبرى قوله ﷺ : « وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ »^(٣) ، وفي رواية له عن حذيفة أيضاً : « وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ »^(٤) . وكون النار تخرجُ من قعرة عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب ، وذلك أنَّ ابتداءَ خروجِها من قعرةِ عدن ، فإذا خرجتْ انتشرتْ في الأرضِ كلها . . . وعندما تنتشرُ يكون حشرُها لأهل المشرق^(٥) .

* * *

(١) مسلم رقم (٢٩٠١) وقد تقدم ص (٩٣) .

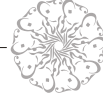
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٨٤) .

(٣) مسلم رقم (٢٩٠١) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) أشرار الساعة ص (٤١٩) .

المبحث الثالث



النفخ في الصور

أولاً- ما هو الصور؟

عرّف النبي ﷺ الصور - كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال : ما الصور؟ - قال : « الصُّورُ قرنٌ يُنفَخُ فيه »^(١) قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَخِيرٌ ﴾ [النمل : ٨٧] . وقد سمّاه الله تعالى أيضاً الناقور ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] والناقور هو الصور^(٢) ، فالصور والناقور اسمان لمسمّى واحد .

ثانياً- أسماء الصوت الذي يخرج من الصور:

وقد سمّى الله تعالى الصوت الذي يخرج من الصور بأسماء هي :

١ - النفخة: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٣] .

٢ - الصيحة: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس : ٤٩] .

٣ - الراجفة: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ [النازعات : ٦-٧] .

٤ - الزجرة: ﴿ فَلِئَلاَّ هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [النازعات : ١٣] .

فإسرافيل ينفخ نفخةً ، وزجرةً ، وهي النفخة بغضبٍ تُحدثُ صيحةً عظيمةً ترجفُ لها الأرضُ والقلوبُ^(٣) .

(١) أبو داود رقم (٤٧٤٢) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٣٧٦) .

(٣) أبو داود رقم (٤٧٤٢) .

ثالثاً - عدد النفخات:

اختلف العلماء في عدد النفخات على أقوال :

القول الأول : أنها ثلاث نفخات ، وذلك أن الله نصَّ على هذه الثلاث في كتابه وهي :

١ - نفخة الفرع: قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧] .

٢ - نفخة الصعق: قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨] .

٣ - نفخة البعث: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] .

وقالوا : إن الفرع مغاير للصعق ، واستدلوا بحديث الصور الطويل ، وفيه أن النفخات ثلاث^(١) .

القول الثاني: أنهما نفختان: (نفخة الصعق) و(نفخة البعث) ، وقالوا: هذا هو ظاهرُ النصوص: كقوله تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (٤٩) ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٥٠) ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (٥١) ﴿ قَالُوا يَنْوِيلُنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٤٩-٥٢] .

وقوله: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ ﴾ هذه هي النفخة الأولى . وقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ هذه هي النفخة الثانية وكقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ (٦) ﴿ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات: ٦ - ٧] هما النفختان الأولى والثانية^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بين النفختين أربعون » .

(١) حديث الصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص (٣٢٥) وهو حديث ضعيف .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٦٦) ، فتح الباري (١١ / ٣٧٤) .

قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ، قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ، قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهراً ، قال : أبيت ، « ويبلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عُجْبُ ذَنْبِهِ ، فِيهِ يَرْكَبُ الْخَلْقُ »^(١) .

ويمكنُ الجمعُ بين الفزع والصَّعق ، وجعلهما نفخةً واحدةً ، ولكنها تبدأ بالفزع ، وتنتهي بالصَّعق ، مع وجود مسافةٍ زمنيةٍ تفصلُ بين بدايتها ونهايتها ، أي إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ بالنفخ ، فينفخُ نفخةً إفزاعٍ يطولُها ويمدُّها لا يفترُ (وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع) فيما الناسُ في العذابِ يشاهدون أحداثَ الزلزلةِ إلى أن يأمرَ اللَّهُ بنفخةِ الصَّعقِ الأشدَّ قوةً وهولاً ، فيموتُ لشدَّتها كُلُّ من في السموات والأرض إلا من شاء الله^(٢) .

ومن هذا الباب يمكنُ الاستدلالُ على ذلك بقول الرسول ﷺ : « يخرجُ الدجالُ في أمّتي ، فيمكثُ أربعينَ (ثم قال :) وهم في ذلك دأبٌ رزقُهُم ، حَسَنٌ عيشُهُم ، ثم ينفخُ في الصورِ ، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتها ، ورفع ليتها ، (قال :) وأول من يسمعه رجلٌ يلوطُ حَوْضَ إبله ، قال : فيصعقُ ويصعقُ الناسُ »^(٣) ، وأصغى في الحديث : يعني : أمال . (والليت) صفحةُ العنق ، فهذا التسمُّعُ والإصغاءُ يدلُّنا على أنَّ بدايةَ النفخةِ ليستَ كنهايتها في القوةِ والشدةِ ، حتى إنَّ الصوتَ لم يشمل كُلَّ الناسِ عند بدايته^(٤) ، كما نجدُ في نص الحديث : « وأوَّلُ مَنْ سَمِعَهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ » فلو كانت بدايتها (بالصعقة) المميتة لماتَ الناسُ على أثرها ، ولما بقيت فسحةٌ لهذا التسمُّعِ والإصغاءِ ، وكأنَّ الصوتَ يبدأً رويداً ، ثم يمضي في التدرُّجِ الصاعدِ ، إلى أن يملأَ الكونَ دويّاً وإرعاداً ، مصحوباً بالزلزلةِ العظيمةِ ، وذلك التدرُّجُ في النفخِ والمدُّ والتطويلُ أدعى لتصعيدِ حِلَّةِ الخوفِ ، وإيقاعِ الرهبةِ في نفوسِ شرارِ الخلقِ ، الذي يعذبهم الله في الدنيا

(١) البخاري رقم (٤٥٣٦) ومسلم رقم (٢٩٥٥) .

(٢) رحلة قبل الرحيل ، بشير عبد الله ص (٣٩) .

(٣) مسلم رقم (٧٣٠٧) .

(٤) رحلة قبل الرحيل ص (٣٩) .

بأحداث الساعة ما شاء له أن يعذبهم ، إلى أن يأمر بنفخة الصعق فيصعقون^(١) .

١ - انتظار إسرائيل الأمر بالنفخ في الصور: قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مِنْذُ وَكَلَّ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةً أَنْ يَوْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوَكْبَانِ دُرِّيَّانِ »^(٢) .

٢ - كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن؟ قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ، وَحَنَى جَبْهَتُهُ ، وَأَضْعَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يَوْمَرَ أَنْ يَنْفَخَ ، فَيَنْفَخَ ؟ ! » قال المسلمون : فكيف نقول يا رسول الله؟ قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكلنا على الله ربنا »^(٣) .

٣ - اليوم الذي تكون فيه النفخة: قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ »^(٤) .

٤ - من الذين استثناهم الله من الفزع والصعق؟ قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] .

ذهب طائفة من العلماء إلى أن الذين استثناهم الله في قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ هم الملائكة ، ومنهم من قال : إنهم الأنبياء أو الشهداء أو الحور العين ... إلخ . والصحيح أنه لم يرد نص صريح في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ يحدد لنا من الذين استثناهم الله في تلك الآية ، وبذلك لا يمكننا أن نجزم بذلك ، وصار مثل العلم بوقت الساعة ، وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به^(٥) .

(١) رحلة قبل الرحيل ص (٤٠) .

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٠٧٨) .

(٣) السلسلة الصحيحة رقم (١٠٧٩) .

(٤) صحيح الجامع رقم (٤٠٠٠) .

(٥) مجموع الفتاوى (٤ / ٢٦١) ، رحلة إلى الدار الآخرة ص (٣٤١) .

رابعاً- الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى:

١ - قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧] .

٢ - وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨] .

٣ - وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [ص: ١٥] .

٤ - وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [النازعات: ١٣] .

٥ - وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ ﴾ [النازعات: ٦] .

خامساً- الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية:

١ - قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الصفات: ١٩] هي عبارة عن النفخة الثانية في الصور^(١) .

٢ - وقال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٩] .

٣ - وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١] .

٤ - وقال تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٥٣] .

٥ - وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ: ١٨] .

٦ - وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢] .

٧ - وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] . قال الشنقيطي : إنها الثانية^(٢) .

(١) فتح الباري (١١ / ٣٧٦) ، اليوم الآخر للمطيري ص (٢١٨) .

(٢) أضواء البيان (٥ / ٨٢٢) .

٨ - وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴾ [ق: ٢٠] قال الشوكاني: وهذه هي النفخة الآخرة للبعث^(١).

٩ - وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ [ق: ٤٢].

١٠ - وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٣] لقوله بعدها: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ [الحاقة: ١٥].

سادساً: الآيات التي تحتمل الأمرين:

١ - قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُوتَ وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٥١-٥٤].

٢ - وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

٣ - وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ ﴾ [القمر: ٦] قال القرطبي: الداعي هو إسرافيل^(٢) عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وعليه فتكون الدعوة هي النفخ في الصور ، والله تعالى أعلم وأحكم^(٣).

* * *

(١) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٧٦) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧ / ٨٥) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٢٢٠) .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

البعث والحشر وأحوال يوم القيامة وأحوال الناس فيها

المبحث الأول: البعث .

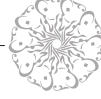
المبحث الثاني: الحشر، وأحوال يوم القيامة ، وأحوال الناس فيها.

المبحث الثالث: الشفاعة .

المبحث الرابع: الحساب والحوض والميزان ، والصراط .

* * *

المبحث الأول



البعث

تعريف البعث ومنهج القرآن في الاستدلال عليه :

تعريف البعث: هو إعادة المخلوقات بعد فنائها للحساب والجزاء ، من خير أو شر^(١) قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] .

ولقد نهج القرآن الكريم في الاستدلال على البعث ، وتحقق وقوعه منهجاً قوياً ، يجمع بين ما فُطِرَتْ عليه النفوس من الإيمان ، بما تشهد وتحس ويقع منه تحت تأثير السمع والبصر ، وبين ما تقرره العقول السليمة ، ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة ، وتلك الطريقة التي تميّز بها القرآن الكريم^(٢) .

أولاً - الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم:

كما أخبر الله تعالى عن ذلك ومنهم :

١ - قوم موسى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦] .

٢ - المضروب بعضو ، من أعضاء البقرة: كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهَا بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣] .

(١) اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب د . محمد محمد الزبيدي ص (٢١٦) .

(٢) دراسات في التفسير الموضوعي د . إبراهيم الألمعي ص (٣٠٢) .

٣ - الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

٤ - ما حصل لغزير ، كما قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى جِمَاركَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

٥ - سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

٦ - ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله: قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩] .

٧ - ما أخبر الله من قصة أصحاب الكهف: كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٩ - ١٠] .

إن هذه الأدلة المتقدمة أدلة حسيّة مادية ، وقعت كلها لتدلّ على إحياء الموتى بعد مماتهم ، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية ، وقد أخبر الله ورسوله ﷺ عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك^(١) .

ثانياً- الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى :

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي :

(١) دراسات في التفسير الموضوعي ص (٣٠٥) .

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرُدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥-٧] .

وهذه الآيات تعطي تفصيلاً للمراحل التي يمرُّ بها خلق الإنسان ، فقد قابل الله هذه المراحل بعدة دلالات على قدرته سبحانه على البعث ، فالله سبحانه يبيِّن للناس إِنْ كنتم في ريب من البعث ، فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون ، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت والبعث الذي وُعدتم به ، نظير النشأة الأولى ، فهما نظيران في الإمكان والوقوع ، فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها ، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها^(١) ؟ ! .

إنَّ هذه الآيات لها دلالة عقلية على البعث ، إنَّها نقلة ضخمة بعيدة الأغوار والآماد ، تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث ، وإنَّ إنشاء الإنسان من التراب ، وتطوّر الجنين في مراحل حياته ، وانبعاث الحياة من الأرض بعد الهمود ، كلُّ ذلك متعلّق بأنَّ الله هو الحق ، فهو من السنن المطردة التي تنشأ من أنَّ خالقها هو الحق ، الذي لا تختل سننه ، ولا تتخلف .

وأنَّ اتجاه الحياة في هذه الأطوار ليدلَّ على الإرادة التي تدفعها ، وتنسّق خطاها ، وترتّب مراحلها ، فهناك ارتباط وثيق بين أنَّ الله هو الحق ، وبين هذا الاضطراب والثبات ، والاتجاه الذي لا يحدُّ .

وأنَّ إحياء الموتى هو إعادة للحياة ، والذي أنشأ الحياة الأولى هو الذي ينشئها

(١) أعلام الموقعين لابن القيم ص (٤٣٦) .

للمرّة الآخرة ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ لِيَلْقَوْا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ جَزَاءٍ ، فهذا البعثُ تقتضيه حكمةُ الخلق والتدبير .

وإنَّ هذه الأطوارَ التي يمرُّ بها الجنينُ ، ثم يمرُّ بها الطفلُ بعد أن يرى النور ، لتشييرٍ إلى أنَّ الإرادةَ المدبِّرةَ لهذه الأطوار ، ستدفعُ بالإنسانِ إلى حيث يبلغُ كماله الممكن في دار الكمال ، إذ إنَّ الإنسانَ لا يبلغُ كماله في حياة الأرض ، فهو يقفُ ثم يتراجعُ ﴿ لَكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ فلا بدَّ مِنْ دارٍ أخرى يتمُّ فيها تمامُ الإنسان .

فدلالة هذه الأطوار على البعثِ دلالةٌ مزدوجةٌ ، فهي تدلُّ على البعثِ من ناحية أنَّ القادرَ على الإنشاءِ قادرٌ على الإعادةِ ، وهي تدلُّ على البعثِ ، لأنَّ الإرادةَ المدبِّرةَ تكملُ تطويرَ الإنسانِ في الدارِ الآخرة ، وهكذا تلتقي نواميسُ الخلقِ والإعادةِ ونواميسُ الحياةِ والبعثِ ، ونواميسُ الحسابِ والجزاء ، تشهدُ كلُّها بوجودَ الخالقِ المدبِّرِ القادرِ ، الذي ليس في وجوده جدالٌ^(١) .

ثالثاً - الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان ، مثل السماوات والأرض ، فإنَّ خلقها أعظمُ من خلق الإنسان .

ومن الآيات الدالة على ما يلي :

١ - قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَوَلَا نَلْمَعُوثُونَ خَلَقًا جَدِيدًا ﴾ ﴿ ٩٨ ﴾ أولمَّ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الإسراء: ٩٨ - ٩٩] .

٢ - قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ خَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَغَيِّ الْمَوْتِ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] .

٣ - وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١] .

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤ / ٢٤٠٩ - ٢٤١١) باختصارٍ وتصرف ، الدلالة العقلية في القرآن د . عبد الكريم عبيدات ص (٤٣٧) .

رابعاً- الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة:

ومن الآيات ما يلي :

١ - قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَبْرِكُ يَدَى رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] .

٢ - قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩] .

٣ - قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩] .

٤ - قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صُنَّوَانٍ وَغَيْرِ صُنَّوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضُلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤] .

٥ - وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَأْتِ بِحُلُقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: ٥] .

٦ - قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٥ - ٧] .

٧ - وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق: ٩ - ١١] ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾ : يراد به الأرض التي كانت هامدة ، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك ، مما يحار الطرف في حُسْنِهَا ، وذلك بعدما كانت لا نبات بها ، فأصبحت تهترئ خضراً ، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك ، كذلك يحيي الله الموتى ، وهذا

المشاهد من عظيم قدرته بالحسّ أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث^(١) .

فجعل الله سبحانه ، إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات ، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور ، ودلّ بالنظير على نظيره ، وجعل ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب :

المطلب الأول: وجود الصانع ، وأنه الحقّ المبين ، وذلك يستلزم إثبات صفات كماله وقدرته ، وحياته وعلمه ، وحكمته ورحمته ، وأفعاله .

المطلب الثاني: أنه يحيي الموتى .

المطلب الثالث: عموم قدرته على كل شيء .

المطلب الرابع: إتيان الساعة ، وأنها لا ريب فيها .

المطلب الخامس: أنه يخرج الموتى من القبور ، كما أخرج النبات من الأرض^(٢) .

خامساً- الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر:

الشجر إذا قُطِعَ وأصبحَ حطباً يكون ميتاً ، وليس فيه أثرٌ للحياة ، فإذا أوقدت به النار دبّت فيه حركة واضطراب ، وهذه آثار الحياة ، فمن قدر على هذا قدر على إحياء الموتى .

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل في موضعين من كتابه سبحانه : قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ (٧١) ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ [الواقعة : ٧١ - ٧٢] وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٧٧) ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٩) ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ (٨٠) ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨١)

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢٢) ، تفسير الطبري (٢١ / ٥٥) .

(٢) أعلام الموقعين (١ / ١٤٤ - ١٤٥) ، الدلالة العقلية ص (٤٤٤) .

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿[يس: ٧٧ - ٨٢] فردّ بهذه الآيات على مَنْ أنكر البعث بثلاثة أدلة عقلية :

الدليل الأول: الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى ، قال تعالى:
﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] .

الدليل الثاني: الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر ، مع أنه أكثر بالضدية ، لأن الشجر إنما يكون أخضر إذا كان مليئاً بالماء ، فمن قدر على إخراج النار من هذا الشجر الميت المليء بالماء قادر على إحياء الأموات من قبورهم ، قال تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠] .

الدليل الثالث: الاستدلال يخلق السماوات والأرض على خلق الإنسان ، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [٨١] إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿[يس: ٨١ - ٨٢] .

سادساً - الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً ، ولن يتركهم سدى :

١ - قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥] فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿[المؤمنون: ١١٥ - ١١٦] .

٢ - وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] فهل يظن عاقل أن يترك الإنسان في هذه الدنيا لا يؤمر ولا ينهى ويترك في قبره سدى دون أن يبعث ؟ إن ذلك لا يليق بحكمة الله ، فكل شيء يصدر عنه سبحانه له حكمة تقتضيه (١) .

إننا نشاهد في حياتنا ظالمين ظلوا ظالمين حتى لحظة الموت ، ولم يأخذوا على أيديهم أحداً ، ومظلومين ظلوا مظلومين إلى آخر حياتهم ، لم ينصفهم أحد ، أفإن كانت الحياة هي نهاية المطاف ، أيعود هذا عدلاً وحكمة ؟ وأين هي الحكمة في

خلق حياة تجري أحداثها على غير مقتضى العدل ، ثم تنتهي دون حساب؟
لذا يأتي التأكيد في القرآن على أن البعث ضرورة يقتضيها عدل الله وحكمته في مواضع عديدة من القرآن منها^(١) :

٣ - قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ تَحِيَّهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١] .

٤ - وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨] .

٥ - قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] .

٦ - قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] .

سابعاً- إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة :

أعظم الأدلة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك ، فمن آمن بالله ، وصدق برسوله ﷺ الذي أرسل ، وكتابه الذي أنزل ، فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور ، والجزاء والحساب ، والجنة والنار ، وقد نوع تبارك وتعالى أساليب الإخبار ، ليكون أوقع في النفوس ، وأكد في القلوب .

١ - ففي بعض المواضع أخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخباراً مؤكداً (بأنّ) أو (بأن واللام) كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥] وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِ السَّاعَةَ لَا تِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥] .

٢ - وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه ، كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء: ٨٧] ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته ، كقوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ﴾ (١) وَكُنْ مَسْطُورِ (٢) فِي رَقٍّ مَنُشُورِ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُمْ مِنْ دَافِعٍ ﴾ [الطور: ١-٨] .

٣ - وفي بعض المواضع يأمر رسوله ﷺ بالإقسام على وقوع البعث وتحققه: وذلك في معرض الرد على المكذّبين به ، المنكرين له ، كقوله تعالى:

(١) الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة ص (٤٤٨) .

(۲) المصدر نفسه ص (۳۴۸) .

مَنَامَهَا فَيَمْسُكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر : ٤٢] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خدّه ثم يقول : « اللهم باسمك أموت وأحيا » ، وإذا استيقظ قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » (١) .

وعن جابر بن عبد الله قيل : يا رسول الله أينام أهل الجنة ؟ قال : « لا ، النوم أخو الموت ، والجنة لا موت فيها » (٢) .

تاسعاً - الفطرة تدل على البعث:

فطر الله تعالى الأنبياء على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت ، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر ، لأن الله تعالى إذا أراد أن يُقنِعَ بني الإنسان بأمر ما ، فإنه يغرُسُ فكرة الاقتناع به في فطرهم ، ولذا فإن الإنسان يشقاق إلى حياة خالدة ، ولو في عالم غير هذا العالم ، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر ، بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف ، ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت ، وجعلت مصير كل إنسان مرتبها بما قدّمت يده في الدنيا ، وهذا مما يكسب زيادة إيمان بربه ، وبما جاءت به الرسل ، فيقدّم الأعمال الصالحة استعداداً بها ليوم الميعاد (٣) .

عاشراً - أسماء يوم القيامة:

وقد جاء الحديث عن يوم القيامة في القرآن الكريم مفصلاً ، وسمي بأسماء كثيرة ، وهذا يدل على تعظيم الشيء ، كما هي العادة عند العرب ، فقد كانوا إذا عظموا شيئاً أكثروا له من السماء ، ومن الأسماء التي ذُكرت في القرآن ليوم القيامة : اليوم الآخر ، ويوم الآزفة ، ويوم البعث ، ويوم التغابن ، ويوم التلاقي ، ويوم التنادي ، ويوم الجمع ، والحاقة ، ويوم الحساب . ويوم

(١) البخاري رقم (٥٩٥٥) .

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٠٨٧) .

(٣) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر علي ص (٥٤٩) .

الحسرة ، واليوم الحق ، ويوم الخروج ، ويوم الدين ، والساعة ، والصاخة ،
والطامة الكبرى ، والغاشية ، والفرع الأكبر ، ويوم الفصل ، والقارعة ،
والمعاد ، واليوم الموعود ، والواقعة ، والوعد الحق ، ويوم الوعيد ، والوقت
المعلوم^(١) .

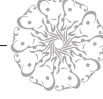
وأما عن صفات يوم القيامة ، فقد وُصِفَ بأنه عظيمٌ ، ويوم عقيمٌ ، ويومٌ
عسيرٌ ، ويومٌ ثَقِيلٌ ، ويومٌ كبيرٌ ، ويومٌ محيطٌ^(٢) .

* * *

(١) اليوم الاخر في القرآن العظيم ص (١٨٥ - ١٩١) .

(٢) المصدر نفسه ص (١٩٢ - ١٩٣) .

المبحث الثاني



تعريف الحشر

وأحوال يوم القيامة ، وأحوال الناس

أولاً- الحشر :

أ- تعريف الحشر: جمع الخلائق يوم القيام لحسابهم والقضاء بينهم .

١ - قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَنْفُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١] .

٢ - وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٤٥] .

٣ - وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧] .

٤ - وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكِ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق: ٤٤] .

٥ - وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

٦ - وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥] .

ب - مكان الحشر (أرض الحشر): دلّ الكتاب والسنة على أن أرض المحشر هي أرض الشام قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ

الْحَشِرَ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَكُونُوا لِلْأَبْصَرِ ﴿الحشر: ٢﴾ .

وعن سمرة بن جندب أَنَّ رسول الله ﷺ كان يقول « إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) .

ج - صفة الناس في الحشر:

١ - يحشر الناس حفاة عراة غرلاً : حفاة غير متنعلين ، عراة غير لابسين ، غرلاً غير مختونين ، فكما أَنَّ الإنسان يولد حافياً عارياً أغرلاً فكذلك يبعث .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حَفَاةً عُرَاةً غُرَلًا ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [١١٧] إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨] قال : فَيُقَالُ لِي : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مَرْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ » (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً ، غُرَلًا » ، فقالت عائشة : فكيف بالعورات ، قال : « لِكُلِّ امْرِئٍ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ » (٣) .

٢ - الوجوه : قال تعالى : ﴿ وَنَعَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١] أي ذلت وخضعت (٤) .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٦٢٠) إسناده حسن .

(٢) مسلم رقم (٢٨٦٠) .

(٣) النسائي رقم (٢٠٨٣) بسند صحيح .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص (٥٩٠) .

٣ - الأبصار: قال تعالى: ﴿خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧] أي اضطربت وجالت العين من الخوف^(١).

٤ - أحوال الناس عموماً :

يعرضون صفاً أمام الله تعالى ، قال تعالى: ﴿وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨] .

ولا يتكلمون ، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [٣٥] وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] .

وأحياناً يتكلمون ، قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠] يدل على أنهم يتكلمون ، فكيف يتكلمون ولا يتكلمون ؟

الجواب : هذا بحسب اختلاف الأوضاع ، فيومُ القيامة يومٌ طويلٌ ، وفي موقفٍ يتكلمون ، وفي موقف يصمتون ، والله تعالى يقول : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨] . فإثبات الكلام من الخلق يوم القيامة تبعٌ لإذن الله لهم ، ونفيه في الحالة التي لم يؤذن فيها^(٢) .

٥ - ذهول الناس وخوفهم وهلعهم: قال تعالى: ﴿يَتَأَبَّهَاتُ النَّاسُ أَتَقُورَ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [٥] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] فإن كانت الأمُ المرضعة - وهي أحرص ما يكون على ولدها - تذهلُ عنه ، فغيرها من باب أولى ، وإن كان الطفل الصغير الذي لم يذنب بعد يخاف حتى يشيب عارضاه فما بالك بغيره من الناس^(٣) .

٦ - تُنسى الأنساب ، فكل إنسان مشغول بنفسه لأنه يأتي وحيداً : قال تعالى:

(١) المصدر نفسه ص (١١٩) .

(٢) تفسير السعدي ص (٤٤٦) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٣٥) .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] قال تعالى: ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [٩٣] لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴾ [مریم: ٩٣ - ٩٥] وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤًا رِبَكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣] .

٧ - يجثون على الرُّكْب ، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨] .

٨ - يعرضون على الله لا يخفى منهم شيء : قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨] وغير ذلك من أحوال الناس ^(١) .

ثانياً : أهوال يوم القيامة :

يحدثنا القرآن عن أهوال ذلك اليوم التي تشده الناس ، وتشدُّ أبصارهم ، وتملك عليهم نفوسهم ، وتزلزل قلوبهم .

ومن أعظم تلك الأهوال ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض وجبالها ، والسماء ونجومها ، وشمسها وقمرها ^(٢) ، ومن أهوال ذلك اليوم :

١ - دُكَّ الأرض ونسف الجبال: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَفَجَّهْ وَجَدَةً ﴾ [١٣] وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَجَدَةً ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٥] وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴾ [الفجر: ٢١] وعند ذلك تتحوَّل هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم ، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ [المزمل: ١٤] أي تُصْبِحُ ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء ، والرمل المهيل : هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده ، يقال : أهلت الرمل أهيله هيلاً ، إذا حركت أسفله انهال من أعلاه .

وأخبر في موضع آخر أنَّ الجبال تصبحُ العهن ، والعهن هو الصوف ، كما قال

(١) المصدر نفسه ص (٢٣٥) .

(٢) اليوم الآخر القيامة الكبرى عمر الأشقر ص (١٠٠) .

تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ [المعارج: ٩] وفي نص آخر مثلها بالصوف المنفوش :
﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ [القارة: ٥] .

ثم إن الحق تبارك وتعالى يزيل هذه الجبال عن مواضعها ، ويسوي الأرض حتى لا يكون فيها موضع مرتفع ولا منخفض ، وعبر القرآن عن إزالة الجبال بتسييرها مرة ، وبنسفها مرة أخرى ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٣] ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبا: ٢٠] وقال في نسفها لها : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴾ [المرسلات: ١٠] .

ثم بين الحق حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧] ، أي ظاهرة لارتفاع فيها ولا انخفاض^(١) ، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٧﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] .

٢ - قبض الأرض وطى السماء : قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقال رسول الله ﷺ : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ ! »^(٢) .

ومعنى الكلام ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ أي على الكتاب بمعنى المكتوب^(٣) ، وقوله : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً ، كما بدأهم ، وهو القادر على إعادتهم^(٤) .

٣ - تفجير البحار وتسجيرها: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٣]

(١) اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ، الأشقر ص (١٠٣) .

(٢) البخاري رقم (٦٩٤٧) مسلم رقم (٢٧٨٧) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٤٢) .

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ١٩٩) .

فَجَرَّتْ : فجر الله بعضها في بعض ، وقيل : ذهب ماؤها ، وقيل : اختلط عذبها بمالحها ، وقال تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور: ٦] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَلْبَحَارُ سَاحَرَتْ ﴾ [التكوير: ٦] أوقدت ، فصارت ناراً تضطرم ، وقيل يَسْتُ^(١) . والمعنى المتحصل من أقوالهم أنها يفجر بعضها في بعض ، فتمتلئ ، ثم تسجر ، فتصبح ناراً ، ثم يذهب ماؤها^(٢) .

٤ - **موران السماء وانفطارها** : قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧] فهي في أشد ما تكون من الوهن ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَهِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٦] وذلك أنها تضطرب اضطراباً مهولاً ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ [الطور: ٩] تتحرك تحريكاً هو تشققها ، تدور دوراً ، وقيل استدارتها وتحركها لأمر الله ، وموج بعضها في بعض ، ثم إنها تتشقق وتنفطر وتنفرج ، قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿ [الانشقاق: ١ - ٢] وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [الصافات: ١٧] السماء منفطر بهء كان وعدهم مفعولاً ﴿ [المزمل: ١٧ - ١٨] وقال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار: ١] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ [المرسلات: ٩] وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧] يعني الدهان ، فشبه السماء في تلونها بالدهن في اختلاف ألوانه ، وهو كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴾ [المعارج: ٨] وهو دردي الزيت^(٣) .

٥ - **تكوير الشمس** : قال تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١ - ٢] قال ابن جرير : والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ، ومنه تكوير العمامة ، وجمع الثياب بعضها على بعض ، فمعنى قوله تعالى : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها^(٤) .

(١) معارج القبول (٢ / ٢١٢) .

(٢) المصدر نفسه (٢ / ٢١٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٤٠) .

(٤) معارج القبول (٢ / ٢١٣) .

٦ - **خسف القمر**: قال تعالى: ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ ﴾ [القيامة: ٨-٩] خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه^(١) ، وقوله تعالى: ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتَ ﴾ [القيامة: ٩] فسره النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الشمس والقمر مَكُورَانِ يومَ القيامةِ ، يعني مجموعان مظلمان^(٢) .

٧ - **تناثر النجوم**: والنجوم والكواكب ينفرط عقدُها فتنتثر ، ويذهب ضوءُها فتطمس ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ٢] يعني انتثرت^(٣) ، وانفرط عقدُها ، وتساقطت على أهل الأرض ، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار: ٢] وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات: ٨] يعني ذهب ضوءُها^(٤) .

٨ - **بديل الأرض**: تبدل هذه الأرض ، وتتغير صفاتها ، ويكون عليها الحشر الأول ، ثم تذهب هذه الأرضُ تماماً يوم يُحشرُ الناسُ لمكان الحساب أمام الجسر ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وجاء في (الصحيحين) عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ^(٥) كَقُرْصَةِ النِّقْيِ^(٦) ، ليس فيه معلمٌ لأحدٍ »^(٧) .

ثم بعد ذلك تنتقل الخلائق إلى أرض الحساب ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ فأين يكونُ الناسُ يومئذٍ يا رسولَ الله؟ فقال: « على الصراط »^(٨) .

(١) المفردات للراغب ص (٢٨٢) .

(٢) البخاري ، رقم (٣٠٢٨) .

(٣) المفردات للراغب ص (٧٠٤) .

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٤٣) .

(٥) العفر: بياض يضرب إلى الحمرة .

(٦) النقي: الدقيق النقي من القش والنخال .

(٧) البخاري رقم (٦١٥٦) .

(٨) مسلم رقم (٢٧٩١) .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أبحار اليهود فقال : السلام عليكم يا محمد ، فدفعته دفعةً كادَ يصرعُ منها ، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ؟ فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ : « إن اسمي محمدٌ الذي سمّاني به أهلي » فقال اليهودي : جئتُ أسألك ، فقال له رسول الله ﷺ : « أينفعُك شيءٌ إن حدثتُكَ ؟ » قال : أسمع بأذني ، فنكت رسول الله ﷺ بعودٍ معه فقال : « سل » . فقال اليهودي : أين يكون الناس ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هُمْ فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْجِسْرِ ... » (١) .

وبهذا يتضح أن تبديل الصفات في الحشر الأول إلى أرض المحشر عندما تُنسفُ الجبالُ والمرتفعاتُ ، وتسوى الأرضُ ، فلا يبقى في تلك الأرض معلّمٌ لأحدٍ ، وأما ذهابُ الأرض بالكلية ففي الحشر الثاني إلى أرض الحساب قبل جسر جهنم ، والله تعالى أعلم (٢) .

٩ - سجودُ الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين ونزول

الملائكة: بعد بعثِ الناس من قبورهم ، وحشرهم لأرض المحشر ، وحصول أهوال يوم القيامة ، وتبديل هذه الأرض ، وحشر الناس لأرض الحساب عند الجسر ، تنزلُ الملائكة صفوفاً ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلُ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا ﴿ [النبا : ٣٨-٣٩] والمقصود بالروح جبريل ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل : ٣٣] ومن هذه الملائكة هنالك ثمانية أملاكٍ تحملُ عرشَ الرحمن سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] .

(١) مسلم رقم (٣١٥) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٤٥) .

ويأتي رب العزة للفصل بين العباد ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] أي والحال أن الملائكة صفوفاً^(١) ، وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠] .

وعندئذ تشرق الأرض بنور ربها ، ويؤتي بصحف الأعمال وبالشهود ، ويبدأ الحساب^(٢) ، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالْنَبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣) وَوُفِّيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٩ - ٧٠] .

ثالثاً- أحوال الكفار يوم القيامة :

تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم اختلافاً بيناً ، وسنتحدث بإذن الله تعالى عن الكفار وغيرهم ، فالذي يتأمل في نصوص الكتاب والسنة التي تحدثنا عن مشاهد القيامة ، يرى الأحوال العظام ، والمصائب الكبار ، التي تنزل بالكفرة المجرمين في ذلك اليوم العظيم .

فمن تلك الأحوال :

١ - ذلتهم وهوانهم وحسرتهم ويأسهم: فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْحَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧] .

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٤) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّادِّخِينَ^(٥) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ^(٦) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ^(٧) بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٥ - ٥٩] .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٤٥) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢٤٦) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمٌ حِمِيمًا ۖ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَحْجَمِ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ ۖ وَصَحْبَتَهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصَّلَتْهُ أَلَّتِي تُوْبِهِ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ ﴾ [المعارج: ١٠-١٤] .

٢ - اسوداد وجوههم وتغيُّرها^(١) : قال تعالى: ﴿ يَوْمَ بَيَضَ وُجُوهُ وَكُودٌ وَوُجُوهُ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۖ ﴾ [الزمر: ٦٠] .

٣ - إحباط أعمال الكفار^(٢) : قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ ﴾ [النور: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۖ ﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۖ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

٤ - فضيحتهم أمام الخلائق: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۖ ﴾ [هود: ١٨] .

٥ - تخاصم الكفرة في الموقف: قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۖ ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

ومن صور هذا التخاصم :

أ - تخاصم العابدين والمعبودين: في ذلك اليوم الرهيب يجمع الله المشركين ، ثم يأمرهم أن ينادوا شركاءهم ، فينكروا أن يكون لهم شركاء^(٣) ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ۖ ﴾ [ص: ٦٧] وَصَلَ عَنْهُمْ مَا

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٥١) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢٥٣) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٥٣ - ٢٥٨) .

كَأَنُورًا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيسٍ ﴿٤٧﴾ [فصلت: ٤٧ - ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿٤٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٤٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٤٩﴾ [الفرقان: ١٧ - ١٩] .

ب - تخاصم الأتباع مع القادة المضلين: قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰلِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ [الصافات: ٢٧ - ٣٢] .

ج - تخاصم الضعفاء مع السادة والملوك: قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ [إبراهيم: ٢١] .

د - تخاصم الكافر وقرينه: قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ [ق: ٢٧ - ٢٨] ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ ﴿٢٨﴾ هو الشيطان الذي وُكِّلَ به ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرًا يتبرأ منه شيطانه فيقول: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي بل كان هو في نفسه ضالاً ، قابلاً للباطل ، معانداً للحق^(١) .

فإذا سمع الكافر هذا من قرينه تحسّر وتندّم ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيصٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٨] ^(٢) .

هـ - تخاصم المرء مع أعضائه: ويبلغ الأمر أشدّه ، والمخاصمة ذروتها ،

(١) تفسير القرطبي (١٧ / ٢٢) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٦٧) .

عندما يخاصم المرء أعضاءه ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [١٦] حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿فصلت: ١٩ - ٢٢﴾ .

٦ - مقتهم لأنفسهم: والمقت أشدُّ البغض ، فتصل كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم أقصاها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [غافر: ١٠] .

٧ - صفة حشر الكفار إلى النار:

أ - حشرهم وهم عطاش : قال تعالى : ﴿ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدَّا ﴾ [مريم: ٨٦] يعني عطاشاً ، تكاد تنقطع رقابهم من العطش ، وفي قوله : ﴿ وَسَوْفَ ﴾ إشعارٌ بإهانتهم ، كأنهم نعم عطاشٌ تساق إلى الماء ^(١) .

ب - حشرهم عمياً صماً بكمًا: قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الاسراء: ٩٧] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [٢٢] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿طه: ١٢٤ - ١٢٥﴾ .

ج - يحشرون إلى جهنم على وجوههم: قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٤] .

د - حشرهم مع شياطينهم وهم جاثون على الركب: قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴾ [مريم: ٦٨] قال القرطبي : أي ولنحشر الشياطين قرناءهم ، قيل : يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ، كما قال تعالى : ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات: ٢٢] والواو في ﴿ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ يجوز أن تكون للعطف ، وبمعنى (مع) وهي بمعنى (مع) أوقع ،

والمعنى أنهم يحشرون مع قراءهم من الشياطين الذين أغوؤهم ، يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة^(١) .

وهذا الجثي مصاحب لهم في كل حال ، ففي الموقف يوم يحشر الناس إلى أرض الحساب تجثو كل الأمم ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَحْشُرُ الْمُجْطَلُونَ ﴾ [٢٧] وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاشِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِنَافِهَا يَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الجاثية: ٢٧-٢٨] . وفي النار كذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [٧١] ثُمَّ تُنْجَى الَّذِينَ آتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [مريم: ٧١-٧٢] .

رابعاً- أحوال عصاة الموحدين :

وهم المؤمنون الذي خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فأتوا بشعائر الإسلام وأركانه ، ولكنهم وقعوا ببعض المعاصي .

وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة ، وجاء ذكر بعضهم على لسان رسول الله ﷺ : من ذلك

١ - الذين لا يؤدون الزكاة : الزكاة من فروض الإسلام الكبرى ، وهي حق المال ، فمن لم يؤد زكاته ، عُدَّ بها في ذلك اليوم العظيم ، وقد أخبرتنا النصوص أن عذابهم على وجهين :

الوجه الأول: يمثل لصاحب المال ماله ثعباناً أقرع له زبيبتان ، فيطوق عنقه ، ويأخذ بلهزمته صاحبه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم ، كما فسرها بذلك النبي ﷺ ، فقد قال : « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً ، فلم يؤد زكاته مثَّل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع ، له زبيبتان ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمته (يعني شذقيه) ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ »^(٢) .

(١) تفسير القرطبي (١١ / ٨٨) .

(٢) البخاري رقم (١٣٣٨) .

الوجه الثاني: إن كان الْمُؤْتَمِنُ عن تأدية زكاته ذهباً أو فضةً ، فإنَّها تصفحُ صفائحَ ، ثم تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فيحيطُ به الألمُ من كلِّ مكانٍ ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْزُرُونَ ﴿[التوبة: ٣٤ - ٣٥] وقد فسّر رسولُ الله ﷺ هذه الآية ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما من صاحبِ ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدي منها حقَّها إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحَتْ له صفائحٌ من نارٍ ، فأحمي عليها في نارِ جهنَّمَ ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردتْ أعيدتْ له ، في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ حتى يُقضى بين العباد ، فيرى سبيله إمّا إلى جنّةٍ وإمّا إلى النارِ » (١) .

٢ - ذنوبٌ لا يكلمُ الله أصحابها ولا يزكيهم : وقد رتب الله تعالى على كثير من الذنوب هذا العقاب فمنها :

أ - كتمان العلم : قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿[البقرة: ١٧٤ - ١٧٥] فمن كتم من علماء هذه الأمة شيئاً من العلم إرضاءً لحاكمٍ ، أو تحقيقاً لمصلحةٍ شخصيةٍ ، أو طلباً لعرضٍ دنيوي ، كان مشابهاً لأخبارٍ ورهبانٍ اليهود والنصارى في كتمهم صفاتِ الرسول ﷺ ، فكان جزاؤهم هذا الجزاء .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ لَجِمَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » (٢) .

ب - الاستهانة بعهد الله وميثاقه : قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا

(١) مسلم رقم (٩٨٧) .

(٢) الترمذي رقم (٢٦٤٩) وقال الترمذي : حسن .

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧] وهي ليست خاصةً باليهود ، كما توهم بعضهم ، وتدلُّ على ذلك أحاديث كثيرة^(١) ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ ، ولا يزكِّيهم ، ولهم عذابُ أليمٌ : رجلٌ كان له فضلٌ ماءٍ بالطريقِ فمنعه ابنُ السبيلِ ، ورجلٌ بايعَ إماماً لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها رضيَ ، وإن لم يُعطاه منها سخطَ ، ورجلٌ أقامَ سلعته بعدَ العصرِ ، فقال : والله الذي لا إلهَ غيره لقد أُعطيْتُ بها كذا وكذا ، فصدقه رجلٌ ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ »^(٢) .

٣ - الغلول : هو الأخذُ من الغنيمة على وجه الخفية دون علم أحدٍ ، وهو ذنبٌ يخفي تحتَه شيئاً من الطمع والأثرة ، وقد توعدَّ اللهُ تبارك وتعالى الغالَّ بالفضيحة يومَ القيامة على رؤوسِ الأشهاد^(٣) قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١] . أي يأتي به حاملاً على ظهره ورقبته ، معذباً بحمله وثقله ، ومرعوباً بصوته ، وموبخاً بإظهار خيانتَه على رؤوسِ الأشهاد .

وقد فسر الرسول ﷺ هذا الإتيان للغلول يومَ القيامة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قام فينا النبي ﷺ ، فذكر الغلولَ ، فعظمه وعظم أمره قال : « لا ألفين أحدكم يومَ القيامة على رقبته شاةٌ لها ثغاءٌ ، على رقبته فرسٌ له حمَمةٌ ، يقول : يا رسولَ اللهِ أغثنِي ، فأقولُ : لا أملكُ لك شيئاً ، وقد أبلغتُكَ ، وعلى رقبته بعيرٌ له رُغاءٌ ، يقول : يا رسولَ اللهِ أغثنِي ، فأقولُ : لا أملكُ شيئاً وقد أبلغتُكَ ، وعلى رقبته صامتٌ ، فيقول : يا رسولَ اللهِ أغثنِي ، فأقولُ : لا أملكُ لك شيئاً قد أبلغتُكَ ، أو على رقبته رقاغٌ تخفقُ فيقول : يا رسولَ اللهِ أغثنِي ، فأقولُ : لا أملكُ لك شيئاً قد أبلغتُكَ »^(٤) .

٤ - المتكبرون : قال رسول الله ﷺ : « يُحْشَرُ المتكبرونَ أمثالَ الذرِّ يومَ

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٧٥) .

(٢) البخاري رقم (٤٢٧٧) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٧٦) .

(٤) البخاري رقم (٣٠٧٣) مسلم (١٨٣١) .

القيامة ، وفي صورِ الرَّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ^(١) . والذُّرُّ صَغَارُ النمل ، وصَغَارُ النمل لا يَعْجَبُ به الناسُ ، فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون .

وكما يبغضُ الله المتكبرين يبغضُ أسماءهم التي كانوا يطلقونها على أنفسهم استكباراً واستعلاءً ، تصبِحُ هذه الأسماءُ التي كانوا يفرحون عند سماعها أنكرَ الأسماء وأخبثها ، وأغيطها على الله ^(٢) قال رسول الله ﷺ : « أَخْنَعُ اسْمٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاكِ » وزاد مسلم في رواية : « لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » ^(٣) . قال القاضي عياض : أَخْنَعُ : معناه أَذَلُّ الْأَسْمَاءِ صَغَاراً . وقال ابن بطَّال : وَإِذَا كَانَ الْاسْمُ أَذَلَّ الْأَسْمَاءِ ، كَانَ مِنْ تَسْمَى بِهِ أَشَدَّ ذَلًّا ^(٤) .

٥ - الأثرياء المنعمون: الذين يركنون إلى الدنيا ، ويطمئنون إليها ، ويكثرون من التمتع بنعيمها ، يضيِّق عليهم يوم القيامة ، وإنَّ أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوي الواسع ، يكونون أقلَّ الناس أجراً يوم القيامة ، ما لم يكونوا بذلوا أموالهم في سبل الخيرات ^(٥) ، قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمَكْثَرِينَ هُمُ الْمَقْلُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ، فَفُتِحَ فِيهِ بَيْمِنُهُ وَشِمَالُهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ وَرَائِهِ ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا » ^(٦) .

٦ - فضيحة الغادر: قال رسول الله ﷺ : « إِذَا جُمِعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءً ، فَقِيلَ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ » ^(٧) ، وقال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَةٍ » ^(٨) ، وأمير العامة هو الحاكم أو الخليفة ، وكانت غدرته

(١) مشكاة المصابيح (٢ / ٦٣٥) إسناده حسن .

(٢) اليوم الآخر القيامة الكبرى ، د . عمر الأشقر ص (١٤٤) .

(٣) البخاري رقم (٦٢٠٦) مسلم رقم (٢١٤٣) .

(٤) فتح الباري (١٠ / ٥٨٩) .

(٥) اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ص (١٤٩) .

(٦) صحيح الجامع الصغير رقم (١٩٥٠) .

(٧) مسلم رقم (١٧٣٥) .

(٨) مسلم رقم (١٧٣٨) .

كذلك ، لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير ، ولأن الحاكم أو الوالي يملك القوة والسلطان فلا حاجة به إلى الغدر^(١) .

والغادر: الذي يواعد على أمر لا يفي به ، واللواء: الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحق ، أو صاحب دعوة الجيش ، ويكون الناس تبعاً له ، فالغادر تُرْفَعُ له رايةٌ تُسَجَّلُ عليها غدرته ، فيُفْضَحُ بذلك يوم القيامة ، وتجعل هذه الراية عند مؤخرته^(٢) .

٧ - غاصب الأرض: قال النبي ﷺ : « من أخذ شيئاً من الأرضِ بغيرِ حقِّه خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سبعِ أرضين »^(٣) .

٨ - ذو الوجهين: شرَّ الناسِ يومَ القيامةِ المتلونُ الذي لا يثبت على حالٍ واحدةٍ ، وموقفٍ واحدٍ ، يأتي هؤلأء بوجهٍ ، وهؤلأء بوجهٍ^(٤) ، قال رسول الله ﷺ : « تَجِدُونَ شرَّ الناسِ يومَ القيامةِ ذا الوجهين ، الذي يأتي هؤلأء بوجهٍ ، وهؤلأء بوجهٍ »^(٥) .

٩ - الحاكم الذي يحتجب عن رعيته: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ وَلَّاهُ اللهُ شيئاً من أمورِ المسلمين ، فاحتجبَ دون حاجتهم وخلفتهم و فقرهم ، احتجبَ اللهُ دون حاجته وخلفته و فقره يومَ القيامةِ »^(٦) .

١٠ - الذي يسأل وله ما يغنيه: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ ما يغنيه ، جاءت مسألته يومَ القيامةِ خدوشاً أو خُموشاً أو كدوحاً في وجهه »^(٧) .

١١ - من كذب في حُلْمه: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لم يرهْ ، كُلفَ أنْ يَعْقِدَ بينَ شَعِيرَتَيْنِ ، ولن يفعلَ ، ومن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهُم له كارهون ،

(١) اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ص (١٥١) .

(٢) اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ص (١٥١) .

(٣) البخاري رقم (٣١٩٦) .

(٤) فتح الباري لصحيح البخاري (٣ / ٥) .

(٥) البخاري رقم (٣٤٩٣ و ٣٤٩٤) مسلم رقم (٢٥٢٦) .

(٦) أبو داود رقم (٢٩٤٨) والترمذي رقم (١٣٣٣) .

(٧) صحيح الجامع الصغير رقم (٦٤٧١) .

صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ صَوَرٍ صَوْرَةً عَذَبَ أَوْ كَلَّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ «^(١)» .

خامساً - حالة الأتقياء :

١ - لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر : قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَاقَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الْسُوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١] وقال الله تعالى لهم تطمينا لقلوبهم : ﴿ يَتَعَبَّدُونَ لَكَ خَوْفٌ عَلَىكَ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨] الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿ [الزخرف: ٦٨ - ٦٩] . وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٦] الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] .

أما البشري في الحياة الدنيا فتُطْلَقُ على أمرين : على تبشير الملائكة للمحتضر بالجنة . وتقدم دليل هذا . وتطلق على الرؤيا الصالحة^(٢) ، فقد قال رسول الله ﷺ : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « الرؤيا الصالحة »^(٣) .

وأما البشري في الآخرة فهي تلقي الملائكة لهم بالتبشير لقلوبهم ، وتأمينهم من الفزع الكبير ، قال تعالى: ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩] .

٢ - بياض وجوههم: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصَرَتْ وُجُوهُهُمُ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٧] قال تعالى: ﴿ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ﴾ [٣٨] ضاحكة مستبشرة ﴿ [عبس: ٣٨ - ٣٩] مسفرة : قيل مشرقة ، وقيل : مضيئة ، وقيل : مستنيرة ، وكلها متقاربة في المعنى ، والاشتقاق اللغوي يدل على ذلك^(٤) .

(١) رواه البخاري رقم (٧٠٤٢) والآنك : الرصاص .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٧٩) .

(٣) البخاري رقم (٦٥٨٩) .

(٤) لسان العرب ابن منظور (٤ / ٣٦٩) معجم مقاييس اللغة (٣ / ١٨٢) .

٣ - الذين يظلمهم الله في ظلّه : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يُظلمهم الله في ظلّه ، يوم لا ظلّ إلّا ظلّه : الإمامُ العادلُ ، وشابٌّ نشأ في عبادة ربّه ، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجدِ ، ورجلانِ تحابّا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرّقا عليه ، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال : إني أخافُ الله ، ورجلٌ تصدّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتّى لا تعلمَ يمينه ما تُنفقُ شماله ، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » (١) .

والإِظلالُ في ظلّ العرشِ ليس مقصوداً على السبعة المذكورين في الحديث ، فقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ تدلّ على أن الله يظلّ غيرهم ، وقد جمع ابنُ حجرٍ العسقلاني الخصالَ : التي يُظلّ الله أصحابها في كتاب سماه : (معرفة الخصال : الموصلة إلى الظلال) (٢) ومن هذه الخصال : إنظارُ المعسرِ أو الوضْع عنه ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ » (٣) ، وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ ، أَوْ مَحَا عَنْهُ ، كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٤) .

٤ - الذين يسعون في حاجة إخوانهم ، ويسدون خللتهم : من أعظم ما يفرّج كرباتِ العبدِ في يوم القيامة سعيُ العبدِ في الدنيا في فكّ كرباتِ المكروبين ، ومساعدة المحتاجين ، والتيسير على المعسرين (٥) ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَنْ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » (٦) .

٥ - الذين ييسرون على المعسرين : قال النبي ﷺ : « كَانَ رَجُلٌ يَدَايِنُ

(١) البخاري رقم (٦٦٠) مسلم رقم (١٠٣١) . واللفظه .

(٢) فتح الباري (٢ / ١٤٤) .

(٣) مسلم رقم (٣٠٠٦) .

(٤) صحيح الجامع رقم (١٤٦٢) .

(٥) اليوم الآخر القيامة الكبرى ص (٦١) .

(٦) رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) .

الناس ، فكان يقول لفتاه : إذا أتيت مُعْسِراً تتجاوزُ عنه ، لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنا ، قال : فلقِيَ الله فتجاوزَ عنه «^(١) .

٦ - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا: العادلون يوم القيامة في مقام رفيع ، يجلسون على منابرٍ من نورٍ عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمينٌ ، قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَدْعُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَّوْا »^(٢) .

٧ - الشهداء والمرابطون: قال رسول الله ﷺ : « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارَى مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيَزُوجُ اثْنَتَيْ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَبَائِهِ »^(٣) . وقال رسول الله ﷺ : « رِبَاطُ يَوْمٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمِنَ مِنَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ »^(٤) .

٨ - الكاظمون الغيظ: قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٦] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً ، وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَخِيْرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ الْعِينِ شَاءَ »^(٥) .

٩ - عتق الرقاب المسلمة: قال تعالى : ﴿ فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ ﴾ [١١] وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ [البلد: ١١ - ١٣] فمن الأعمال الكريمة التي يتمكن صاحبها من اقتحام العقبات الكأداء في يوم القيامة عتق الرقاب^(٦) .

(١) البخاري رقم (٢٠٧٨) مسلم رقم (١٥٦٢) .

(٢) مسلم (١٨٢٧) .

(٣) الترمذي (١٦٦٣) ابن ماجه (٢٧٩٩) .

(٤) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (٣٤٧٣) .

(٥) أبو داود (٤٧٧٧) والترمذي (٢٠٢١) وابن ماجه (٤١٨٦) .

(٦) اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ص (١٦٦) .

١٠ - فضل المؤذنين: قال رسول الله ﷺ : « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة »^(١) ، وطول العنق جمالٌ ، ثم هو مناسبٌ لما قاموا به من عمل ، حيث كانوا يبلغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان ، التي تعلن التوحيد ، وتدعو للصلاة^(٢) .

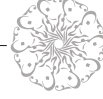
١١ - الذين يشيرون في الإسلام: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٣) .

١٢ - فضل الوُضوء: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ »^(٤) ، غُرًّا جمعُ غَرٍّ ، أي ذو غَرَّةٍ ، وأصلُ الغَرَّةِ لمعةٌ بيضاء تكونُ في جبهةِ الفَرَسِ ، ثم استعملتُ في الجمالِ والشَّهْرةِ وطيبِ الذِّكْرِ ، والمرادُ بها النورُ الكائنُ في وجوه أمة محمد ﷺ ، وقوله (محجلين) من التحجيل ، وهو بياضُ يكون في ثلاثِ قوائمٍ من قوائمِ الفرس ، وأصله من الحِجْلِ بكسر الحاء وهو الخلخال ، والمرادُ به هنا أيضاً النور^(٥) ، وهذه الغَرَّةُ وذلك التحجيلُ تكونُ للمؤمنِ حليةٌ في يومِ القيامة ، ففي (صحيح مسلم)^(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ » وبهذه الحلية يعرف الرسولُ ﷺ أُمَّتَهُ بين الخلائق ، لا فرق بين أصحابه وغيرهم^(٧) .

* * *

-
- (١) مسلم رقم (٣٨٧) .
 - (٢) اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ص (١٦٩) .
 - (٣) النسائي (٦ / ٢٦ - ٢٧) بإسناد صحيح .
 - (٤) البخاري (١٣٦) ومسلم (٢٤٦) .
 - (٥) فتح الباري (١ / ٢٣٦) .
 - (٦) مسلم (٢٥٠) .
 - (٧) اليوم الآخر ، يوم القيامة ص (١٧٢) .

المبحث الثالث



الشفاعة

أولاً- تعريف الشفاعة : التوسُّطُ للغيرِ بِجَلْبِ منفعةٍ أو دَفْعِ مضرَّةٍ^(١) .
ثانياً - الأدلة القرآنية والنبوية: في ثبوت الشفاعة لأهلها ونفيسها عمن عداهم :

أ- الآيات القرآنية :

- ١- قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .
- ٢- وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس : ٣] .
- ٣- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء : ٢٨]
- ٤- وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] .

- ٥- وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ﴾ [النجم : ٢٦] .
- ٦- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف : ٨٦] وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي الأصنام والأوثان ﴿الشَّفَعَةَ﴾ أي لا يقدرُونَ على الشفاعة لهم ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا استثناء منقطع ، أي : لكن مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ على بصيرةٍ وعلمٍ فإنه تنفع شفاعته عند الله بإذنه له ، فهذه الآيات تدلُّ على الشفاعة المثبتة بشروطها^(٢) .

(١) الشفاعة عند المثبتين والنافين د . عفاف بنت حمد عبد العزيز الوئيس ص (٣٥٤) .

(٢) الشفاعة عند المثبتين والنافين .

وأما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم الكفار ، فمنها :

١ - قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] .

٢ - وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] .

والمراد بالظالمين هنا الكافرون ، ويشهد لذلك مُفْتَتَحُ الآية إذ هي في ذكر الكافرين^(١) .

٣ - وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] .

ب - الأحاديث النبوية

لقد ورد ذكر الشفاعة كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح منها^(٢) :

١ - قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له ، وإنني أريد أن أُوخَّرَ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة »^(٣) .

٢ - قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي (وذكر منها) وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ »^(٤) .

٣ - وقال رسول الله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ »^(٥) .

ثالثاً - أقسام الشفاعة في الآخرة :

تنقسم الشفاعة في الآخرة إلى :

١ - الشفاعة الصحيحة: وهي التي جمعت شروط الشفاعة الثلاثة ، وهي

(١) المصدر نفسه ص (٢٥٥) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢٥٧) .

(٣) مسلم رقم (٢٠٠) .

(٤) مسلم رقم (٥٢١) .

(٥) مسلم (٢٢٧٨) .

رضي الله عن الشافع ، ورضاه عن المشفوع له ، والإذن بذلك . وسيأتي تفصيل هذه الشروط في الفقرة الآتية .

٢ - الشفاعة الباطلة: هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم ، حيث يعبدونهم ، ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] ولكن هذه الشفاعة بالله لا تنفع كما قال تعالى : ﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] .

ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٤] .

رابعاً- شروط الشفاعة الصحيحة :

شروط الشفاعة الصحيحة ثلاثة ، وهي ظاهرة في كتاب الله عز وجل لمن تأملها ، وهي :

١ - رضي الله عن الشافع: قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] .

٢ - رضي الله عن المشفوع له: قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

٣ - إذن الله بالشفاعة: قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هذا وقد جمع الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] . فقلوه ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ ﴾ هذا شرط الأذن ، وقوله ﴿ وَيَرْضَى ﴾ فلم يذكر متعلق الفعل (يرضى) فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع ؟ والقاعدة تقول :

حَذَفُ التعلُّقِ يَفِيدُ العموم^(١) . إذن فالآية تدل على المعنيين ، فتشمل الرضى عن الشافع وعن المشفوع ، وهو المطلوب^(٢) .

وقد وَضَّح رسول الله ﷺ هذه القضية في حديث أنس في (الصحيحين)^(٣) فقال « فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَقُولُ لِي : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلِّ تَعْطِهِ ، وَقُلْ يُسْمِعْ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ رَبِّي ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا ، ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَأَدْخِلُهُم الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُوذُ » .

خامساً- أنواع الشفاعة :

إِنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْهَا :

١ - الشفاعة العظمى : وهذه الشفاعة مِنْ أَعْظَمِ الشَفَاعَاتِ ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] وذلك حين يتوسَّلُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى آدَمَ ، ثُمَّ نُوحَ ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ مُوسَى ، ثُمَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ : « فيقولون : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، أَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ ! أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا ؟ ! فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَرْفَعُ رَأْسَكَ ، وَسَلِّ تَعْطِهِ ، وَقُلْ يُسْمِعْ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي ، فيقال : يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أَمْتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي مَا سَوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكُمْ بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى »^(٤) .

يعني أَنَّ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُبَاشَرَةً ، وَلَا يَمُرُّ

(١) قواعد التفسير لخالد السبت (٢ / ٥٩٧) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٩٢) .

(٣) البخاري رقم (٦٥٦٥) ومسلم رقم (١٩٣) .

(٤) البخاري (٤٣١٢) مسلم رقم (١٩٤) .

بما يميز به الناس من أهوال ، ثم بعد هذه الشفاعة يبدأ الحساب ، وهذه الشفاعة خاصة بنبينا ﷺ^(١) .

٢ - اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً »^(٢) . وقال رسول الله ﷺ : « أتى باب الجنة يوم القيامة فاستشفع ، فيقول الخازن : مَنْ أَنْتَ ؟ فأقول : مُحَمَّدٌ ، فيقول : بِكَ أَمَرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »^(٣) .

وأول مَنْ يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ ، فقد قال : « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ »^(٤) .

٣ - الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم : وقد جاء في ذلك بعض الأحاديث ، ودليل هذا النوع ما ثبت في (الصحيحين) وغيرهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه في استشهاد أبي عامر رضي الله عنه ، وفيه : يا بن أخي ، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك أبو عامر : استغفر لي ، قال : واستعملني أبو عامر على الناس ، ومكث يسيراً ، ثم إنه مات ، فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه ، وهو في بيت على سرير مُرْمَلٍ ، وعليه فراشٌ ، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقلتُ له : قال : قل له : يَسْتَغْفِرْ لِي ، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ، ثم رفع يديه ، ثم قال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عامرٍ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ » ثم قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ مِنْ النَّاسِ » ، فقلت : ولي يا رسول الله فاستغفر ، فقال النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبُهُ ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدْخِلاً كَرِيماً »^(٥) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة ،

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٢٩٩) .

(٢) مسلم رقم (١٩٦) .

(٣) مسلم رقم (٣٣٣) .

(٤) مسلم رقم (١٥٥) .

(٥) البخاري (٤٣٢٢) مسلم (٢٤٩٨) .

وقد شُقَّ بصرُهُ ، فأغمضَه ، ثم قال : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ » فضجَّ ناسٌ مِنْ أَهْلِهِ فقال : « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَوْمُنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » ثم قال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِهِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ » (١) .

٤ - الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم : وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمه أبي طالب ، ويُستدلُّ لهذا النوع بحديث في (الصحيحين) (٢) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، هل نفعت أبا طالب بشيء ، فإنه كان يحوطك ، ويغضبُ لك ؟ قال : « نعم ، هو في ضحضاحٍ (٣) من نارٍ ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » .

وهذه شفاعته تخفيف لا شفاعته إخراج من النار ، وإن كان أهون أهل النار عذاباً ، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو مُتَعَلِّ بنعلين ، يعلِّي منهما دماغه » (٤) .

٥ - الشفاعة في أهل الكبائر : شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار ، فُيَخْرَجُونَ منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً ، وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرّات (٥) ومن أحاديث هذا النوع ، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي » (٦) .

(١) مسلم (٩٢٠) .

(٢) ضحضاح : ما رق من الماء على وجه الأرض ، ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار . النهاية (٣ / ٧٥) .

(٣) البخاري رقم (٦٢٠٨) ومسلم (٢٠٩) .

(٤) مسلم رقم (٣٦٢) .

(٥) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية للغنيمي ص (٢٩٢) .

(٦) الترمذي رقم (٢٤٣٥) حسن صحيح وغريب .

٦ - الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب : ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « هم الذين لا يكتون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقال عكاشة بن محصن رضي الله عنه : أدع الله أن يجعلني منهم ، قال : « أنت منهم » قال : فقام رجل فقال : يا نبي الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبقت بها عكاشة » (١) .

٧ - شفاعة الرسول ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم : فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفي آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلونها (٢) .

سادساً - الشفعاء غير النبي ﷺ :

١ - الملائكة : قال تعالى : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] وفيه دلالة على أنه إذا أذن الله تعالى له فإنه يشفع (٣) وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

٢ - الأنبياء ﷺ والمؤمنون الصالحون : وهذا النوع قد ثبت بالحديث الطويل لأبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « . . . ثم يقول الله : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ الْأَنْبِيَاءُ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » (٤) .

٣ - الشهداء : قال رسول الله ﷺ : « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » (٥) .

(١) مسلم رقم (٢١٦) .

(٢) اليوم الآخر القيامة الكبرى ص (١٨٩) ، فتح الباري (١١ / ٤٣٦) .

(٣) الشفاعة عند المثبتين والنافين ص (٤١٢) .

(٤) أحمد رقم (١١٤٨٨) ، وسنده صحيح ، وله شواهد كثيرة في (الصحيحين) .

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٢ / ١٢٩) .

٤ - **أولاد المؤمنين** : عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَتْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ » ^(١) وقال ﷺ : « لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَحْتَسِبُهُمْ إِلَّا كَانُوا لَهُ جُنَّةً مِنَ النَّارِ » فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ : يا رسول الله أو اثنان قال : « أو اثنان » ^(٢) .

٥ - **القرآن الكريم** : عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَ أَوْ يَنْ : الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّائَتَانِ ^(٣) ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرْكَةٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ » ^(٤) : أي السحرة .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً ، تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُعْفَرَ لَهُ » ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك : ١] « ^(٥) .

سابعاً - الأسباب الجالبة للشفاعة :

تعددت الأحاديث الواردة في ذكر أسباب الشفاعة منها :

١ - **التوحيد وإخلاص العبادة لله** : جاء في الحديث قول النبي ﷺ لما سُئِلَ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قال : « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ » ^(٦) ، وقال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ

(١) البخاري رقم (١٢٤٨ و ١٣٨١) .

(٢) الموطأ (١ / ٢٣٥) ، جامع الأصول لابن الأثير (٩ / ٥٩٣) حديث صحيح .

(٣) الغياية : كلُّ شيء أظَلَّ الإنسانَ فوقَ رأسِهِ .

(٤) مسلم (٨٠٤) .

(٥) صحيح ابن ماجه (٢ / ٢١٦) .

(٦) البخاري رقم (٩٩) .

القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» (١) .

٢ - الصيام : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان » (٢) .

٣ - الدعاء بما ورد عند الأذان : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتُهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣) .

٤ - سُكْنِي الْمَدِينَةَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى لَأَوَائِهَا : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِهَا (٤) إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِماً » (٥) .

٥ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً ، وَحِينَ يُمَسِّي عَشْراً ، أَدْرَكْتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٦) .

٦ - صَلَاةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمَيِّتِ الْمُسْلِمِ : قال ﷺ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ تَصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً ، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ ، إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ » (٧) ، وقال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ » (٨) .

٧ - كَثْرَةُ السُّجُودِ : عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال : كُنْتُ أُبَيِّتُ مَعَ

(١) مسلم رقم (٢٠٠) .

(٢) المسند (١٧٤ / ٢) الحاكم (١ / ٥٤٤) حديث صحيح .

(٣) البخاري (٦١٤) .

(٤) لأوائها : أي الصبر على شدائدها وضيق العيش فيها .

(٥) مسلم (١٣٧٤ / ٤٧٧) .

(٦) صحيح الجامع للألباني رقم (٦٢٣٣) .

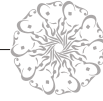
(٧) مسلم (٩٤٧) .

(٨) مسلم (٩٤٨) .

رسول الله ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي : « سَلْ » فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ » ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : « فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » (١) .

* * *

المبحث الرابع



الحساب والحوض والميزان والصراف

أ- الحساب :

ذكر الله سبحانه وتعالى مشهدَ الحساب والجزاء فقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّاسِ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩] والمراد بالحساب هو أن يقفَ العبادُ بين يدي الله تبارك وتعالى ، وأن يعرّفوا بما عملوا ، وأن تحضرَ أقوالُهم ، ما صدرَ منهم في الحياة الدنيا من إيمانٍ وكُفرٍ ، وطاعةٍ ومعصيةٍ ، وما يستحقّونه من ثوابٍ وعذابٍ ، ثم ما كان يتسلّمونه من كُتبٍ بإيمانهم ، إن كانوا مؤمنين صالحين ، أو بشمالهم ، إن كانوا طالحين^(١) .

أولاً- إيتاء العباد كتبهم :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧] - ٨ فذكر إيتاءهم الكتب أولاً ، ثم عقّب بحرف الفاء ، الذي يقتضي الترتيب والتعقيب ، فذكر الحساب^(٢) . ويُخرّج لكل إنسان كتاباً مفتوحاً ، فيقرأه ، وإن كان أمياً ، لإقامة الحُجّة عليه .

قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ ١٤ ﴾ مَن أَهْتَدَى فَأَتَمَّا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ

(١) الحياة في القرآن الكريم ، أحزمي جزولي (٢ / ٥٩٩) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٣٠٧) .

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٣﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥] وهذا الكتاب يأخذه المؤمنُ بيمينه مِنْ أَمَامِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَأْخُذُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ .

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْثَرُ ﴾ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُؤُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لِمَ أُوْتِ كِتَابُهُ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَذَرَ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٍ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فُؤَادُهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿الحاقة: ١٩ - ٣٢﴾ .

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٥﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلِي سَعِيرًا ﴿الانشقاق: ٧ - ١٢﴾ .

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْنِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿[الإسراء: ٧١﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلَيْنَا مَا لَ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يَعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿[الكهف: ٧٩﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿[القمر: ٥٢ - ٥٣﴾ وَالَّذِينَ يَكْتُبُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ ، الَّذِينَ وَكَّلَهُمُ اللَّهُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ، يَسْجَلُونَ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿[الإنفطار: ١٠ - ١٢﴾ .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿[يس: ١٢﴾ .

ثانياً: سؤال كل الناس عن أعمالهم :

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أَنَّ الْكَفَّارَ يُسْأَلُونَ :

كقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿[الحجر: ٩٢﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا نَحْصُرُونَ ﴿[الصفات: ٢٤-٢٥] .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (١٢) وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿[العنكبوت: ١٢-١٣] .

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[النمل: ٨٣-٨٥] .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١١٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠٣-١٠٥] .

وأما الآيات التي تدلُّ على أنَّ الكفار لا يُسألون :

كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُؤْبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] .

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فِعْعِنْدَرُونَ ﴿[المرسلات: ٣٥-٣٦] ونحو ذلك من النصوص . قال العلماء : إنَّهم يسألون يومَ القيامةِ في موطنٍ دونَ موطنٍ ، فالقيامةُ مواطنٌ ، فموطنٌ يكونُ فيه سؤالٌ وكلامٌ ، وموطنٌ لا يكونُ ذلك^(١) .

وقالوا : إنَّ الكفارَ لا يسألون سؤالَ شفاءٍ وراحةٍ ، وإنَّما يسألون سؤالَ تقريعٍ وتوبيخٍ ، لم عملتم كذا وكذا^(٢) وإنَّهم لا يسألون سؤالَ استفهامٍ ، لأنَّه تعالى عالمٌ بكلِّ أعمالهم ، وإنَّما يسألون سؤالَ تقريعٍ ، فيقال لهم : لِمَ فَعَلْتُمْ كذا^(٣) .

(١) تذكرة القرطبي (٢ / ٩٥) اليوم الآخر ، القيامة الكبرى ص (٢٠١) للأشقر .

(٢) التذكرة للقرطبي (٢ / ٩٥) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ١٧٤) .

وقال القرطبي: إِنَّ معنى قوله تعالى: ﴿يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين ، أي إِنَّ الملائكة لا تحتاج أَنْ تَسْأَلَ أَحَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَقَالَ : مَا كَانَ دِينُكَ ؟ وما كُنْتَ تَصْنَعُ فِي الدُّنْيَا ؟ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ بِإِخْبَارِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا أَوْ كَانَ كَافِرًا ، لكنَّ المؤمنين يكونون ناضري الوجوه ، منشرحي الصدور ، ويكون المشركون سود الوجوه ، زرقاً ، مكروبين ، فهم إذا كُلِّفُوا سَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى النَّارِ ، وتميزهم في الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم ^(١) .

ومن حكمة الله تعالى في محاسبتهم ووزن أعمالهم - مع أَنَّ أعمالهم حابطة مردودة - أمورٌ منها :

١ - إقامة الحجة عليهم ، وإظهار عدل الله فيهم : قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

٢ - أَنَّ الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم : قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُّوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠] وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا﴾ ^(٢) الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الشعراء: ٩١-٩٢] .

٣ - أَنَّ الْكُفَّارَ مَكْلَّفُونَ بِأَصُولِ الشَّرِيعَةِ ، كما هم مكلَّفون بفروعها : لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ^(٣) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦-٧] . فتوعدهم على منعهم الزكاة ، وأخبر عن المجرمين أَنَّهُمْ يُقَالُ لَهُمْ : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ^(٤) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ^(٥) وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ ^(٦) وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَاطِئِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٥] . فبان بهذا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأنهم مسؤولون عنها ، ومُجْزِئُونُ بِهَا ^(٧) .

٤ - أَنَّ الْكُفَّارَ يَتَفَاوَتُونَ فِي كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ : ويحللون في النار

(١) تذكرة القرطبي ص (٢ / ٩٦) ، اليوم الآخر يوم القيامة ص (٢٠٢) .

(٢) تذكرة القرطبي (٢ / ١٣٥) ، اليوم الآخر يوم القيامة ص (١٩٩) .

بمقدار هذه الذنوب ، فَالتَّارُ دَرَكَاتٌ ، بَعْضُهَا تَحْتَ بَعْضٍ ^(١) قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] .

ثالثاً- الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة :

يسأل العبد يوم القيامة عن كل شيء فعله ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَسْتُمْ لَهُمْ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣] وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الحجر: ٩٢-٩٣] .

ولكن هناك بعض الأعمال نصَّ الله تعالى على أن يسأل عنها ليزداد الخوف منها ، وهي :

١ - الكفر والشرك: قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسْتُمْ لَهُمْ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٦] .

٢ - كذبهم في حق الملائكة: قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكُنَّبُ شُهَدَائِهِمْ لِيَسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] .

٣ - النعيم الذي أنعم عليه في الدنيا: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَسْتُمْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] .

٤ - العهود والمواثيق: قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولٌ ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

٥ - العلم والسمع والبصر والفؤاد: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

٦ - إضلال المضللين للناس: قال تعالى: ﴿ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣] .

٧ - الدين ونصرته والقرآن والعمل به: قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿ [الزخرف: ٤٣-٤٤] .

٨ - يُسأل العبد عن صلاته : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، وَإِنْ أَنْقَضَ مِنْ فَرِيضَتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ بِهَا مَا أَنْقَضَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ؟ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ » (١) .

٩ - سَيُسْأَلُ كُلُّ عَبْدٍ عَنْ أَشْيَاءَ : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ » (٢) .

رابعاً- القواعد التي يحاسب العباد على أساسها :

من هذه القواعد التي ذكرت في القرآن الكريم :

١ - عدل الله التام: قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ يَبْنِيْ اِيَّاهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَاتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ﴾ [لقمان: ١٦] وقال تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْفَقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُظْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠] .

٢ - لا يتحمل أحد ذنب أحد: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ اِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرَى ثُمَّ اِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيْهِ تَخْلِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿ اَمْ لَمْ يَبْنِاْ بِمَا فِى صُحُفٍ مُّوسَىٰ ﴾ (٣٦) ﴿ وَاِبْرٰهِيْمَ الَّذِى وَفَّىٰ ﴾ (٣٧) ﴿ اَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ اُخْرَىٰ ﴾ (٣٨) ﴿ وَاَنْ لِّسَ لِلْاِنْسٰنِ اِلَّا مَا سَعٰى ﴾ (٣٩) ﴿ وَاَنْ سَعٰىهُ سَوْفَ يَرٰى ﴾ (٤٠) ﴿ ثُمَّ يُعْزِنُہُ الْاَجْزَاءُ الْاَوْفٰى ﴾ [النجم: ٣٦-٤١] .

٣ - اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا

(١) أبو داود (٨٦٤) والترمذي (٤١٣) والنسائي (١ / ٢٣٢) وابن ماجه (١٤٢٥) .

(٢) الترمذي (٢٤١٦) وقال : حديث غريب .

عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ تُحْضَرُ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿آل عمران: ٣٠﴾ وقال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلُنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] .

٤ - مضاعفة الحسنات دون السيئات: قال تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٦٠] وأما السيئة فلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ .

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] هذا فضلُ ضربه الله لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، وأنَّ الحسنة تضاعفُ بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف^(١) .

ومن فضل الله تبارك وتعالى أنَّ المؤمن الذي يهْمُ بفعل الحسنة ، ولكنه لا يفعلها تكتبُ له حسنةً تامةً ، والذي يهْمُ بفعل السيئة ، ثم تدركه مخافةُ الله ، فيتركها تكتبُ له حسنةً كاملةً^(٢) ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، قال : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا ، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً »^(٣) .

٥ - تبديل السيئات حسنات: قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] وهذا من رحمة الله وفضله على المؤمنين أن يبدل سيئاتهم حسنات .

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٦١) .

(٢) اليوم الآخر يوم القيامة ص (٢١١) .

(٣) البخاري (٧٥٠١) ومسلم (١٢٨) .

خامساً: إقامة الشهود على الناس :

الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى مَنْ يخبره عن عبادِهِ ، أو يشهد عليهم بما فعلوه ، إلاَّ أَنَّهُ سبحانه من كمال عَدْلِهِ وإِعْذاراً للعالمين أقام عليهم الشهود ، ونوع تلك الشهود وكثرتها ، حتَّى تنقطع الحُججُ ، وتخرس الأفواه ، وتقرَّ الجموعُ بعدل الله المطلق^(١) ، وهؤلاء الشهود كثر كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١] وقال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩] .

ومما ذكر في القرآن الكريم من إقامة الشهود على الناس الآتي :

١ - **شهود الملائكة:** قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١] أي مَلَكٌ يسوقه إلى المحشر ، ومَلَكٌ يشهد عليه بأعماله^(٢) وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٦﴾ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] فهؤلاء الملائكة الكرام الكاتبون هم الذين يشهدون ، ويدلُّ عليه الحديث التالي عن أنس بن مالك قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ ، فَقَالَ : « هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَضْحَكَ ؟ » ، قَالَ : قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ ، قَالَ : « مِنْ مَخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلُمِ ، قَالَ : يَقُولُ بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّي لَا أَجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِداً مِنِّي ، قَالَ : فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً ، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهِوداً ، قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، فَيَقَالُ لَأَرْكَانِهِ انْطَقِي ، قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ، قَالَ : ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : بُعْداً لَكَ وَسُخْطاً فَعَنْكَ كُنْتُ أَنَاضِلُ »^(٣) .

٢ - **شهود الرسل عليهم :** فيشهد كلُّ رسولٍ على أُمته ، وأَنَّهُ قد بلغهم ، وبَيَّنَّ

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٣٣٥) .

(٢) المصدر نفسه ص (٣٣٧) .

(٣) مسلم رقم (٢٩٦٩) .

لهم ، وأزال عنهم الشبهة ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل . قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٤٧] يعني إذا جاء الرسول يوم القيامة قُضِيَ بينهم ، وسماه الله تعالى شهيداً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [النحل : ٨٤] وقال تعالى : ﴿ وَزَعَنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص : ٧٥] .

٣ - وتشهد أمة محمد ﷺ على الخلق : بعد أن تشهد الرسل على أقوامهم ، لا تجد هذه الأمم مهرباً إلا بتكذيب رسلها ، فيقومون وينكرون ما جاءت به الرسل ، ويكذبونهم . كما كانوا يكذبونهم في الدنيا ، ويقولون : ما جاءنا من نبي ، فتقوم أمة محمد . الأمة الوسط ، فتشهد للرسول : قال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا اجْتَبَاكُمْ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨] وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيء نوح وأمة ، فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول : نعم أي رب ، فيقول لأُمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح : مَنْ يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته ، فنشهد أنه قد بلغ ، وهو قوله جل ذكره ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ والوسط العدل^(١) .

٤ - شهود نبينا محمد ﷺ : قال تعالى : ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ [الحج : ٧٨] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] .

٥ - شهود جوارح الإنسان من الألسن والأيدي على نفسه : قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤] وقال تعالى : ﴿ أَلْيَوْمَ

نَحْنُمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٥] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿فصلت: ١٩- ٢٢﴾ .

٦ - وتشهد الأرض: قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿الزلزلة: ٤- ٥﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا ، أَنْ تَقُولَ : عَمِلَ كَذَا وَكَذَا ، يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ : فهذه أخبارها » ^(١) .

٧ - أعظم شهيد وأجل شهيد : قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ كَاتِبُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥] وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿يونس: ٦١﴾ فبعد أن يشهد الأحياء والجمادات ، وتنتهي هذه الشهادات ، تأتي شهادة الله العزيز الحميد جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه ^(٢) .

٨ - شهودهم على أنفسهم: إذا رأى العبد الحق ، وتبين له أن الله لا تخفى عليه خافية ، ورأى كل ما عمله مكتوباً في صحيفته ، وقامت عليه الشهود ، ورأى أنه لا برهان له ولا حجة ، أقرّ واعترف بما جنى واقترب ^(٣) ، قال تعالى: ﴿ يَمْعَسِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿الأنعام: ١٣٠﴾ .

(١) الترمذي رقم (٣٣٥٣) ، حسن صحيح غريب .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٣٤٠) .

(٣) المصدر نفسه ص (٣٤٣) .

سادساً : اقتصاص المظالم بين الخلق :

في ذلك اليوم يُقْتَصُّ للناس بعضهم من بعض ، فالحسابُ شاملٌ لظلم العبدِ نفسه ، وظلمه لغيره من الناس ، وما أعظمَ خيبةَ الذي وقعَ في ظلمِ الناس ، لأنَّ القصاصَ يومئذٍ لا يكونُ بالمالِ ولا السجنِ ولا غير ذلك ، بل يكونُ بالحسناتِ والسيئاتِ^(١) ، قال تعالى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١] .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ قَدَرٌ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ » قالوا : المفلسُ فينا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فقال : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ أَمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ »^(٣) .

ومن كمال عدل الله تعالى في ذلك اليوم أنه يقتصُّ للبهاائم بعضها من بعض^(٤) ، عن عبد الله بن عمرو بن عمرو بن العاص قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدًّا الْأَدِيمُ ، وَحُشِرَ الْخَلَائِقُ : الْأَنْسُ وَالْجِنُّ وَالِدَوَابُّ وَالْوَحُوشُ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ جُعِلَ الْقَصَاصُ بَيْنَ الدَوَابِّ ، حَتَّى تَقْتَصَّ الشَّاةُ الْجَمَاءُ مِنَ الْقِرْنَاءِ بِنَطْحِهَا ، فَإِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَصَاصِ بَيْنَ الدَوَابِّ ، قَالَ لَهَا : كُونِي تَرَابًا ، فَتَكُونُ تَرَابًا ، فِيرَاهَا الْكَافِرُ فَيَقُولُ : ﴿ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴾ [النبا: ٤٠]^(٥) .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٣٤٣) .

(٢) البخاري رقم (٢٣١٧) .

(٣) مسلم رقم (٢٣١٧) .

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٣٤٤) .

(٥) الحاكم بإسناد صحيح ، اليوم الآخر المطيري ص (٣٤٤) .

١ - عظم شأن الدماء : من أعظم الأمور عند الله أن يَسْفِكَ العبادُ بعضَهم دَمَ بعضٍ في غير الطريق الذي شرعه الله تبارك وتعالى^(١) ، قال رسول الله ﷺ : « يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بيدِ الرجلِ ، فيقولُ : يا ربِّ ، هذا قتلني ، فيقولُ : لم قتلتهُ ؟ فيقولُ : قتلتهُ لتكونَ العِزَّةُ لكُ ، فيقولُ : فإنَّها لي ، ويجيئُ الرجلُ آخِذاً بيدِ الرَّجُلِ فيقولُ : أيُّ ربِّ ، إنَّ هذا قتلني ، فيقولُ الله : لم قتلتهُ ؟ فيقولُ : لتكونَ العِزَّةُ لفلانٍ ، فيقولُ : إنَّها ليستُ لفلانٍ ، فيبوءُ بإثمِهِ »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « يجيئُ المقتولُ بالقاتلِ يومَ القيامةِ ، ناصيتهُ ورأسُه بيدهُ ، وأوداجُه تشخبُ دماً ، فيقولُ : يا ربِّ سلْ هذا فيمَ قتلني ؟ حتَّى يدنيه من العَرْشِ »^(٣) .

٢ - أوَّلُ ما يُقضى بينَ العبادِ في الدماءِ : ولعظم أمرِ الدماءِ ، فإنَّها تكونُ أوَّلَ شيءٍ يُقضى فيه بينَ العبادِ ، فقد قال رسول الله ﷺ : « أوَّلُ ما يُقضى بينَ الناسِ يومَ القيامةِ في الدماءِ »^(٤) .

ب - الحوض :

قال تعالى في سورة الكوثر ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿ إِنَّا ﴾ (٢) شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ بينَ أظهرنا إذ أغفني إغفاءً^(٥) ، ثم رفعَ رأسَه مبتسماً ، فقلنا : ما أضحكك يا رسولَ الله ؟ قال : أنزلتُ عليَّ أنفاً سورةً فقرأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿ ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ » فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « فَإِنَّهُ نَهْرٌ وعدنيه ربِّي

(١) اليوم الآخر القيامة الكبرى للأشقر ص (٢٤٠) .

(٢) صحيح الجامع الصغير رقم (٧٨٨٥) .

(٣) صحيح الجامع الصغير رقم (٧٨٨٧) .

(٤) البخاري (٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨) .

(٥) أغفني: أي نام نومة خفيفة ، أو نعس .

عَزَّ وَجَلَّ ، عليه خيرٌ كثيرٌ ، عليه حوضٌ ، تَرَدُّ عليه أُمَّتِي يومَ القيامةِ ، آنيتهُ عددُ النجومِ ، فَيُخْتَلَجُ^(١) العبدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك^(٢) . فقلوه « عليه حوض » يدلُّ على أَنَّ الحوضَ يتفرَّعُ من النهر ، ويدلُّ الحديثُ أيضاً على أَنَّ الحوضَ موجودٌ في عَرَصاتِ يومِ القيامةِ قبلَ دخولِ الجنةِ ، لقوله ﷺ : « فيختلج العبد منهم » وهذا لا يكونُ في الجنةِ ، لأنَّهم في الجنةِ لا يمنعون من شيءٍ يشتهونه^(٣) .

وقد جاءت الأحاديثُ النبويةُ في بيان حوض النبي ﷺ الذي أكرمه الله عزَّ وجلَّ به ، وهو في عَرَصاتِ القيامةِ ، وهو غيرُ الكوثرِ ، بل الكوثرُ يكونُ مدداً له ، والذي يتلخَّصُ في صفته أنَّه حوضٌ عظيمٌ ، وموردٌ كريمٌ ، يُمدُّ شرابَ الجنةِ من نهرِ الكوثرِ ، وماؤه أشدُّ بياضاً من اللبنِ والورقِ ، وأحلى من العسلِ ، وأبردُ من الثلجِ ، وأطيبُ ريحاً من المسكِ ، وهو في غايةِ الاتساعِ ، عرضه وطوله سواءٌ ، كلُّ زاويةٍ من زواياه مسيرةُ شهرٍ ، وكيزانه عددُ نجومِ السماءِ ، تَرَدُّ عليه أمةُ رسولِ الله ﷺ ، وهو فَرَطُهم عليه ، مَنْ شَرِبَ منه شربةً لا يظمأُ بعدها أبداً^(٤) .

ولقد بيَّن لنا رسولُ الله ﷺ في أحاديثٍ كثيرةٍ الذين يردون على حوضه ، والذين يُزادون عنه ، فيُمنعون من الشربِ منه ، فمن تلك الأحاديثُ :

١ - عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ حوضي لأبعدُ مَنْ أَيْلَة^(٥) من عدن^(٦) ، والذي نفسي بيده إنِّي لأذودُ عنه الرجالَ كما يذودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضِهِ » قالوا : يا رسولَ الله وتعرفنا ؟ قال : « نعم ،

(١) الاختلاج: الحركة والاضطراب .

(٢) مسلم رقم (٤٠٠) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٣٦٠) .

(٤) اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب د . محمد الزبيدي ص (٢٨٦) .

(٥) أيلة : مدينة على بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام ، وقيل هي آخرُ الحجاز وأوّلُ الشام وتسمّى اليوم (إيلات) رَدَّها الله إلى ديار المسلمين .

(٦) عدن : مدينة باليمن .

تردون عليَّ عِزًّا مُحَجَّلِينَ من آثارِ الوضوء ، ليست لأحدٍ غيركم «^(١) .

٢ - قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا قائمٌ على الحوض إذا زمرةٌ ، حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال : هلم ، فقلتُ : إلى أين؟ قال : إلى النار ، والله ، قلت : ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، ثم إذا زمرةٌ ، حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال : هلم ، قلت : أين ؟ قال : إلى النار ، والله قلتُ : ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلصُ منهم إلا هملُ النعم «^(٢) أي فلا يرد الحوض إلا القليل ، لأن الهمل من الإبل قليل بالنسبة الى غيره .

٣ - وقال رسول الله ﷺ : « إنِّي فرطُكم على الحوض ، مَنْ مَرَّ عليَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ ، لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، لَيَرَدَنَّ عليَّ أقوامٌ ، أعرُفهم ويعرفونني ، ثم يُحالُ بيني وبينهم «^(٣) ، وفي حديث آخر « فأقول : إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سُحْقًا سُحْقًا لمن غير بعدي «^(٤) وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ : (هل تدري ما أحدثوا بعدك) المراد به على أقوال :

القول الأول : إن المراد به المنافقون والمرتدّون ، فيجوزُ أَنْ يُحْشَرُوا بِالْغُرَّةِ والتحجيل ، فيناديهم النبي ﷺ للسمة التي عليهم فيقال : ليس هؤلاء ممّا وعدت بهم ، إنَّ هؤلاء بدلوا بعدك ، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

القول الثاني : إنَّ المراد مَنْ كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتدَّ بعده ، فيناديهم النبي ﷺ إنَّ لم يكن عليهم سمةُ الوضوء ، لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك .

القول الثالث : إنَّ المراد به أصحابُ المعاصي والكبائر ، الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحابُ البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، وعلى هذا

(١) مسلم (٢٤٨) .

(٢) البخاري (٦٥٨٧) .

(٣) البخاري (٦٥٨٣) مسلم (٢٢٩٠) .

(٤) البخاري (٦٥٨٤) ومسلم (٢٢٩١) .

لا يُقْطَعُ بهؤلاء الذين يُذَادُونَ بالنار ، يجوز أن يذادوا عقوبةً لهم ، ثم يرحمهم سبحانه وتعالى ، فَيُدْخِلُهُم الجنةَ بغير عذاب^(١) ، ونقل هذه الأقوال ، أو قريباً منها ، القرطبي وابن حجر رحمهما الله تعالى^(٢) .

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة ، فإن الروايات محتملة لكل هذا ، ففي بعضها يقول النبي ﷺ : « فأقول أصحابي »^(٣) و « أصحابي »^(٤) بالتصغير . وفي بعضها يقول : « سيؤخذ أناسٌ من دوني فأقول : يا ربي مني ومن أمتي » وفي بعضها يقول : « ليردَّن عليّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني »^(٥) وظاهر ذلك أنَّ المذادين ليسوا طائفةً واحدةً ، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة ، فإنَّ العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب ، فيجتمع في العقوبة الواحدة كلُّ من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب^(٦) .

وإذا كان النبي ﷺ قد بيَّن أنَّ سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله : « إنهم ارتدوا على أدبارهم » أو الإحداث في الدين كما في قوله : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » فمقتضى ذلك هو أن يُذَادَ عن الحوض كلُّ مرتدٍ عن الدين ، سواء أكان ممن ارتدَّ بعد موت النبي ﷺ من الأعراب ، أو من كان بعد ذلك ، يشارِكُهُم في هذا أهل الأحداث ، وهم المبتدعة ، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر ، وكلُّ هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنوا بهذا الخبر والله أعلم^(٧) .

فالذود عن الحوض إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين ، والصحابة من

(١) شرح صحيح مسلم (٣ / ١٣٦ ، ١٣٧) .

(٢) المفهم للقرطبي (١ / ٥٠٤) ، فتح الباري (١١ / ٣٨٥) .

(٣) البخاري (٦٥٧٦) .

(٤) مسلم (٢٣٠٤) .

(٥) البخاري (٦٥٨٣) .

(٦) الانتصار للصحب والآل للرحيلي ص (٣٥٤) .

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ١٣٧) .

أبعد الناس عن ذلك ، بل هم أعداء المرتدين ، الذين قاتلوهم ، وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ ، فقد تصدّى أصحابُ النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين ، وقتلوهم قتالاً عظيماً ، وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم ، فعاد للدين من أهل الردة من عاد ، وقُتِلَ منهم من قُتِلَ ، وعاد للإسلام عزّه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم .

وكذلك أهل البدع كان الصحابة رضوان الله عليهم أشدّ الناس إنكاراً عليهم ، لهذا لم تشتدّ البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم ، ولما ظهرت بعضُ بوادر البدع في عصرهم أنكروها ، وتبرّؤوا منها ومن أهلها^(١) ، وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع ، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم ، وقوة إيمانهم ، وحسن بلائهم في الدين ، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ ، حتى أقام الله بهم السُّنة ، وقمع البدع ، الأمر الذي يظهر به كذب من رماهم بالردة والإحداث في الدين ، والذود عن حوض النبي ﷺ ، بل هم أولى الناس بحوض نبيّهم ، لحسن صحبتهم له في حياته ، وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته .

ولا يُشكّل على هذا قول النبي ﷺ : « لَيَرَدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي »^(٢) ، فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد ذلك ، كما ارتدت كثيرٌ من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ ، فهؤلاء في علم النبي ﷺ من أصحابه ، لأنّه مات وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد وفاته ، ولذا يقال له : « إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ » إنهم ارتدوا على أديارهم القهقري^(٣) ، فظاهر أنّ هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ .

وأيّن أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام ، فقاتلوا المرتدين ، وجاهدوا الكفار والمنافقين ، وفتحوا بذلك الأمصار ، حتى عمّ دينُ الله كثيراً من الأمصار ، من أولئك المنقلبين على أديارهم .

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٢ / ٤٢٠) علي بن أبي طالب للمؤلف ص (٦٨٤) .

(٢) البخاري رقم (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٤٠) .

(٣) البخاري (٦٥٨٧) .

وهؤلاء المرتدون لا يدخلون في الصحابة ، ولا يشملهم مصطلح الصُّحبة إذا ما أطلق ، فالصحابي كما عرّفه العلماء المحققون : من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام^(١) .

فاللهم ارزقنا شربةً هنيئةً مريئةً من حوضِ النبي ﷺ لا نَظْمًا بعدها أبداً .

ج - الميزان :

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] قال العلماء : وإذا انقضى الحساب كان بعده وزنُ الأعمال ، والوزنُ لإظهارِ مقاديرها ، ليكونَ الجزاءُ بحسبها^(٢) .

وقد ذُكرَ لفظُ الوزنِ والميزانِ في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين آية ، منها خمس عشرة آية خاصةً بالمبحث على إقامة العدل في ميزان الدنيا ، والحذر من التطفيف في الكيل والميزان . . . المستوجب لعذاب الله ، ومنها ثماني آيات خاصة بالوزن في الآخرة^(٣) .

وقد دلّت السنة المطهرة على أنّ الميزانَ ميزانٌ حقيقي ، لا يقدر قدره إلا الله عز وجل ، قال رسول الله ﷺ : « يُوضَعُ الميزانُ يوم القيامة ، فلو وُزنَ فيه السماواتُ والأرضُ لوسعت ، فتقولُ الملائكةُ : يا ربِّ لِمَنْ يَرِنُ هذا ؟ فيقولُ الله تعالى : لمن شئتُ مِنْ خَلْقِي ، فتقولُ الملائكةُ : مَنْ تَجِيزُ على هذا ؟ فيقولُ : مَنْ شئتُ مِنْ خَلْقِي ، فيقولون : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك »^(٤) .

١ - دقة الميزان : قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١ / ٧) .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص (٢ / ١٣٤) .

(٣) الغيبيات في ضوء السنة د . محمد همام ص (٣٤٥) ، الحياة في القرآن الكريم (٢ / ٦٠٦) .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٤١) .

يخبرُ تعالى في هذه الآية عن القضاء العادل يومَ القيامةِ بأنَّه يوازنُ بين أعمال العباد موازنةً دقيقةً ، فيحاسبُ كُلًّا على أعماله ، ووصفَ الله تعالى الموازينَ بالقسطِ ، لأنَّ الميزانَ قد يكونُ مستقيماً ، وقد يكونُ بخلافه ، فبيِّن أنَّ تلك الموازين تجري على حدِّ العدل والقسطِ ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ .

وقد صور القرآن الكريم دقة الموازنة بصورة حسية من مألوف الناس ، قال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٨-٩] .

كما صور الحديث النبوي ذلك الميزان الدقيق العادل بصورة حسية قال رسول الله ﷺ : « تُوضَعُ الموازينُ يومَ القيامةِ ، فيؤْتَى بِالرَّجُلِ ، فيوضَعُ في كِفَّةٍ ، فيُوضَعُ ما أَحْصَى عليه ، فتَمَيلُ به الميزانُ ، قال : فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ ، قال : فإذا أُدْبِرَ بِهِ ، إذا صَاحَّ يصيحُ من عندِ الرحمنِ يقول : لا تَعْجَلُوا لا تَعْجَلُوا ، فإنه قد بقي له ، فيؤْتَى بِبطاقةٍ فيها ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فتوضَعُ مع الرَّجُلِ في كِفَّةٍ ، حتَّى يَمِيلَ به الميزانُ » (١) .

٢ - المؤمنون هم المفلحون : ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم أنَّ مَنْ ثَقُلَتْ موازينُهُ بأنْ رجحتْ من موازين أعماله بالإيمان وكثرة الحسنات ، فأُولَئِكَ هم الفائزون بالجنة ، الناجون من العذاب ، فالمؤمنون على تفاوت درجاتهم في الأعمال هم المفلحون ، وإنْ عُدِّبوا على بعض ذنوبهم بمقدارها (٢) . وفي ذلك يقول الله في آيات كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٥) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١-١٠٤] وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الفارعة : ٦-٧] .

٣ - الأعمال التي تثقل في الميزان: إنَّ كلَّ أعمال البرِّ والطاعة تثقل في

(١) مسند أحمد (٢ / ٢٢١ - ٢٢٢) رقم (٧٠٦٦) إسناده صحيح .

(٢) الحياة في القرآن الكريم (٢ / ٦٠٨) .

الميزان ، وتجعلُ كِفَّةَ الحسناتِ راجحةً على كِفَّةِ السيئاتِ ، ولكنْ هناكُ أشياءُ تجعلُ كِفَّةَ الحسناتِ ثقيلاً جداً ، منها^(١) :

أ - حُسْنُ الخلق: قال رسول الله ﷺ : « ما مِنْ شيءٍ أَثْقَلُ في ميزانِ العبدِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ ، وإنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ »^(٢) .

ب - تسبيح الله وتحميده: قال رسول الله ﷺ : « كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ ، ثَقِيلتانِ في الميزانِ ، حبيبتانِ إلى الرحمنِ : سبحانَ الله وبحمدهِ وسبحانَ الله العظيم »^(٣) .

ج - الحمد لله: قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ ، والحمدُ لله تَمْلاً في الميزانِ ، وسُبْحانَ الله والحمدُ لله تَمْلاً - أو تَمْلاً - ما بينَ السماواتِ والأرضِ ، والصلاةُ نورٌ ، والصدقةُ برهانٌ ، والصبرُ ضياءٌ ، والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليك ، كلُّ الناسِ يغدو ، فبائعٌ نفسه ، فمعتقُها أو موبقُها »^(٤) . ففي قوله : « وسبحانَ الله والحمد لله تَمْلاً - تَمْلاً - ما بين السماوات والأرض » سببٌ عظيمٌ فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى ، والافتقار إليه^(٥) .

د - احتباسُ الخيلِ في سبيلِ الله: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ احتَبَسَ فرساً في سبيلِ الله إيماناً بالله ، وتصديقاً بوعدهِ ، كانَ شِبعُهُ وريثُهُ وزَوْثُهُ وبَوْلُهُ حسناتٍ في ميزانه يومَ القيامةِ »^(٦) .

د- الصراف :

إنَّ الصرافَ جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم ، أحدُ من السيفِ ، وأدقُّ من الشَّعْرِ ،

(١) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٤٨٢) .

(٢) الترمذي (٢٠٠٢) وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) البخاري رقم (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤) .

(٤) مسلم (٢٢٣) .

(٥) شرح الأربعين حديثاً النووي لابن دقيق العيد ص (٦١ - ٦٢) .

(٦) البخاري رقم (٢٨٥٣) فتح الباري (٦ / ٦٧) .

يَمُرُّ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ ، وَهُمْ فِي جَوَازِهِ مُتَفَاوِتُونَ^(١) فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا ، وَيَنْجُو الْآخَرُونَ^(٢) قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾^(٣) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿ [مريم: ٧١-٧٢] والمراد بالورود في الآية المرور على الصراط ، وعن جابر عن أم مبشر ، عن حفصة قالت : قال النبي ﷺ : « إِنِّي لَا رَجُو إِلَّا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَّةَ » . قالت : قلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ، قال : « أَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] »^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٤) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بُابٌ بِابْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلَهُمْ مِنَ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿ ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمُ اللَّهُ الْغُرُورُ ﴾^(٥) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿ [الحديد: ١٢-١٥] .

لقد كرم الله تعالى المؤمنين يومئذٍ تكريماً عظيماً ، إذ يمرّون على الصراط بسرعاتٍ مختلفة ، وأنوارٍ متفاوتة ، أما المنافقون فلا نور لهم^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا نُورَنَا وَاعْفُ رَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم: ٨] وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ على قدر أعمالهم ، يمرّون على الصراط ، منهم من نُورُهُ مثل الجبل ، ومنهم من نُورُهُ مثل النخلة ، ومنهم من نُورُهُ مثل الرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نُورِهِ في إبهامه يتقدّم مرة ، ويطفأ مرة^(٥) .

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢ / ١٩٢) .

(٢) شرح مسلم للنووي (١٦ / ٥٨) .

(٣) ابن ماجه رقم (٤٢٨١) سند صحيح .

(٤) الحياة في القرآن الكريم (١ / ٦١٧) .

(٥) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٧٠) .

١ - المؤمنون يشفعون لإخوانهم في النار : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديثه الطويل في سياق الشفاعة عن رسول الله ﷺ وفيه : « ثم يُضْرَبُ الجِسْرُ على جهنم ، وتحلُّ الشفاعةُ ، ويقولون : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ » قيل : يا رسول الله ، وما الجسر؟ قال : « دَحْضٌ ^(١) مَزَلَّةٌ ، فيه خطاطيفٌ وكلايبٌ وحَسَكٌ ، تكونُ بنجدٍ فيها شويكةٌ يقال لها السعدان ، فيمرُّ المؤمنون كطرفِ العينِ وكالبرقِ ، وكالريحِ ، وكالطيرِ ، وكأجاويدِ الخيلِ ، والركابِ ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ ، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ ، ومكدوسٌ في نارِ جهنمَ ، حتى إذا خلاصَ المؤمنونَ من نارِ جهنمَ ، فوالذي نفسي بيده ما مِنْكُمْ من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استقصاءِ الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربَّنَا كانوا يصومون معنا ، ويصلُّون ويحجُّون ، فيقال لهم : أخرجوا مِنْ عَرَفْتُمْ ، فتَحَرَّمْ صُورُهُمْ على النار ، فيُخْرِجونَ خلقاً كثيراً قد أخذتِ النَّارُ إلى نصفِ ساقيه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربَّنَا ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به . . . » ^(٢) .

٢ - الأمانة والرحم على جنبتي الصراط : قال رسول الله ﷺ : « وتُرْسَلُ الأمانةُ والرحمُ ، فتقومان على جنبتي الصراطِ يميناً وشمالاً ، فيمرُّ أولُكم كالبرقِ » . قال : قلتُ : بأبي وأمي ، أيُّ شيء كالبرق ؟ قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثم كمرَّ الريحِ ، ثم كمرَّ الطيرِ ، وشدَّ الرحالِ ، تجري بهم أعمالُهم ، ونبيُّكم قائمٌ على الصراطِ يقولُ : ربِّ ، سَلِّمْ سَلِّمْ ، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ ، حتى يجيء الرجلُ ، فلا يستطيعُ السيرَ إلا زَحْفاً ، قال : وعلى حافتي الصراطِ كلايبٌ معلقةٌ مأمورةٌ بأخذِ مَنْ أَمَرْتُ به ، فمخدوشٌ ناجٍ ، ومكدوسٌ في النارِ » ^(٣) .

فياله من موقف يشيب لهوله الولدان !

ها هي الأمانة على الصراط تقول لكل خائن يمرُّ عليها : أين الأمانة التي ضيعتها ؟ . . . أين أمانة الطاعة ؟ . . . أين أمانة الزوجة والأولاد ؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها ؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين ؟ أين الأمانات التي أبت

(١) دحض: زلق .

(٢) مسلم (١٨٣) .

(٣) مسلم رقم (١٩٥) .

السموات والأرض والجبال أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملتها أنت أيها الإنسان ، بل ها هي الرحم تتعلّق على الصراط لتقول لكلّ من قطعها : أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا ؟ وماذا ستصنع اليوم أمام تلك الأحوال^(١) ؟

قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله تعالى خلق الخلق ، حتّى إذا فرغ منهم ، قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك » ثم قال رسول الله ﷺ : « اقرءوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣] ^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من ذنب أجدر أن يُعجلَ الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم ، والخيانة ، والكذب ، وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم ، حتّى إنّ أهل البيت ليكونوا فجرةً ، فتنمو أموالهم ، ويكثر عددهم ، إذا تواصلوا » ^(٣) .

٣ - تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخولهم الجنة : بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يؤقّفون على قنطرة بين الجنة والنار ، ثم يهذبون وينقّون ، وذلك بأن يقتصر بعضهم من بعض ، إذا كانت بينهم مظالم في الحياة الدنيا ، حتّى إذا دخلوا الجنة ، كانوا أطهاراً أبراراً ، ليس لأحد عند الآخر مظلمة ، ولا يطلب بعضهم بعضاً بشيء من غلّ وبُغضٍ ، قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

قال رسول الله ﷺ : « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتصر بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتّى إذا هذبوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدّم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا » ^(٤) .

(١) رحلة إلى الدار الآخرة ص (٤٩٨) .

(٢) البخاري رقم (٤٨٣٠) ومسلم (٢٥٥٤) .

(٣) صحيح الجامع للألباني رقم (٥٧٠٥) .

(٤) البخاري رقم (٦٥٣٥) .

ثم الناسُ بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين : نوعٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فهؤلاء أهل الأعراف ، وهو سور بين النار والجنة^(١) ، قال تعالى : ﴿وَبَيْنَهُمَا حَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف : ٤٦] . ونوع رجحت حسناتهم سيئاتهم وهم أهل الجنة .

٤ - عظة المرور على الصراط : تفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها ، وقد كلفت أن تمشي على الصراط ، مع ضعف حالك ، واضطراب قلبك ، وتزلزل قدمك ، وثقل ظهرك بالأوزار ، المانعة لك من المشي على بساط الأرض ، فضلاً عن حدة الصراط ، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك ؟ فأحسست بحدته ، واضطرت إلى أن ترفع قدمك الثانية ، والخلائق بين يديك يزلون ، ويعثرون ، وتتناولهم زبانية النار بالخطايف والكلايب ، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم ، وتعلو أرجلهم ، فيا له من منظرٍ ما أفضعه ، ومرتقى ما أصعبه ، ومجاز ما أضيقه^(٢) !!

قال الشاعر^(٣) :

أَبَتْ نَفْسِي تَتَوَّبُ فَمَا احْتِيَالِي	إذا برزَ العبادُ لذي الجلالِ
وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ سُكَارَى	بأوزارٍ كأمثالِ الجبالِ
وَقَدْ نَصَبَ الصَّارِطُ لَكِي يَجُوزُوا	فمنهم مَنْ يُكَبِّ عَلَى الشَّمَالِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسِيرُ لِدَارِ عَدْنٍ	تلقاه العرائسُ بالغوالي ^(٤)
يَقُولُ لَهُ الْمَهِيْمُنُ : يَا وَلِي	غفرتُ لك الذنوبَ فلا تبالي

* * *

(١) الحياة في القرآن الكريم (٢ / ٦١٩) .

(٢) التذكرة للقرطبي ص (٢ / ١٦٥) .

(٣) اليوم الآخر ؛ القيامة الكبرى ص (٢٨٣) والتذكرة (٢ / ١٦٥) .

(٤) الغوالي جمع (غالية) وهي من أطيب الطيب .

الفصل الرابع

النار والجنة

المبحث الأول : مقدمات .

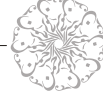
المبحث الثاني : النار .

المبحث الثالث : موانع إنفاذ الوعيد .

المبحث الرابع : الجنة .

* * *

المبحث الأول



مقدمات

الجنة والنار موجودتان ، لا تفتيان وبيان مكانهما ، وأهل الأعراف

أولاً: خلود الجنة والنار :

الجنة والنار خالدتان أبداً ، والأدلة على ذلك كثيرة ، وهي تدلُّ على خلود أهل الجنة والنار ، وهذا يستلزم خلود الجنة والنار ، ولازم الحقُّ حق .

١ - أما الجنة فقد دل على خلودها الكتاب والسنة :

أما القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ ﴾ [هود: ١٠٨] يعني غير مقطوع ، وقال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] فقد نفى الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها ، تأكيداً لمعنى أبدية الخلود ، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلٌ ﴾ [النساء: ٥٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] ^(١) .

وأما في السنة: فمنها قول رسول الله ﷺ : « ينادي منادٍ ، (يغني أهل الجنة)

أَنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا ، فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَأَنَّ لَكُمْ أَنْ تَصَحُّوا ، فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَأَنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَأَنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا ، فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] « (١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَأْتِيُ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيَنَادِي مَنَادٌ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَسْرُبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ فَيَذْبَحُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩] « (٢) .

٢- وأما خلود النار: فقد دل على خلودها الكتاب والسنة :

أما القرآن فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٧٤) لَا يَفْتَرَعْنَهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿ [الزخرف: ٧٤ - ٧٥] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ (٩٨) لَوْ كَانَتْ هَذِهِ آيَةً لَآلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [الأنبياء: ٩٨ - ٩٩] ، وقال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١] .

وأما السنة فحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مَخْلَدًا ، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًّا ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا » (٣) .

٣- هل المراد بالخلود طول المكث :

قد يقول القائل : إنَّ المراد بالخلود هو طول المكث لا أبديته ، والناسُ تسمي أبناءها خالداً تفاؤلاً بطول بقائه ، وهم يوقنون أنَّه ميتٌ لا محالة ، وتقول العرب :

(١) مسلم رقم (٢٨٣٧) ، اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٣٩٤) .

(٢) البخاري رقم (٤٤٥٣) مسلم (٢٨٤٩) .

(٣) البخاري رقم (٥٤٤٥) مسلم رقم (١٠٩) .

فلان خلّد الله ملكه ، يعني أطال الله ملكه ، ولكن إلى أمدٍ ، لا إلى الأبد ، والرجل الذي أسنّ ولم يشب تقول عنه العرب مخلّد^(١) .

والجواب : الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته ، قال صاحب (لسان العرب) : الخُلُودُ دوامُ البقاء في دارٍ لا يخرجُ منها^(٢) ، وإنما يُطلقُ الخلودُ على طولِ البقاء لا أبديته بقريته ، كما هو الحال في النار بالأبد لدفع هذا الوهم ، وهي بالتتابع ثلاثة مواضع في كتاب الله :

الموضع الأول - قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۖ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٨ - ١٦٩] .

الموضع الثاني - قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٤ - ٦٥] .

الموضع الثالث - قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وزادت هذا المعنى وضوحاً الآيات التي تنفي خروجهم من النار ، وتبين أن عذابهم مقيم وثابت ، وأنّ العذاب لا يفتّر عنهم ، وأنهم لا يموتون فيها^(٣) .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧] وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَيْتَ اللَّهِ هُزُوا وَعَرَّكُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَبُونَ ﴾ [الجاثية : ٣٥] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۖ لَا يُفَرِّغُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤ - ٧٥] وقال تعالى : ﴿ وَبَنَجْنَاهَا الْأَشْقَى ۖ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ ﴾ [الأعلى : ١١ - ١٣] وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [الجن : ١٦] خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

(١) لسان العرب (٣ / ١) .

(٢) المصدر نفسه (٣ / ١) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن والسنة المطهرة ص (٤٠٠) .

إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٦﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧] ، ففي تفسير هذه الآية أوجه :

أحدهما : أن قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ معناه : إلا مَنْ شَاءَ الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين ، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها ، وهم أهل الكبائر من الموحدين ، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك ، وأبي سنان ، وغيرهم .

الوجه الثاني : أن المدة التي استثناه الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم ، واستقرارهم في مصيرهم .

الوجه الثالث : أن قوله : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال ، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً ، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له ، والظهور من المرجحات ، فالظاهر مقدّم على المُجْمَل كما هو مقرر في علم الأصول^(١) .

٤ - وهل تفنى النار ؟ وهل يموت أهلها ؟ وهل يخفف العذاب عن أهلها ؟

أما فناء النار ، فقد بيّن سبحانه عدمه بقوله : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] ومعلوم أن ﴿كُلَّمَا﴾ تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها .
وأما موتهم : فقد نصّ تعالى على عدمه بقول : ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: ٣٦] وقوله : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] وقوله : ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] .

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث الصحيح ، أن الموت يُجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح ، فيذبح ، وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت ، كما قال رسول الله ﷺ «يا أهل الجنة ، خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت»^(٢) .

وأما إخراجهم منها : فنصّ تعالى على عدمه بقوله : ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] وبقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] وبقوله : ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٠٢) .

(٢) البخاري رقم (٤٤٥٣) ومسلم (٢٨٤٩) .

وأما تخفيف العذاب عنهم : فنصّ تعالى على عدمه بقوله : ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ [فاطر : ٣٦] وقوله ﴿ فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبا : ٣٠] وقوله : ﴿ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٥] وقوله : ﴿ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥] وقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٧] وقوله : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٢] وقوله : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧] .

وهذا الخلود في حق الكفار لا في حقّ الموحدين من المسلمين من أصحاب الكبائر ، ولا غرابة في خلود الكفار الأبدي ، لأنّ خبثهم الطبيعيّ دائمٌ لا يزول ، فكان جزاؤهم دائماً لا يزول ، والدليل على أنّ خبثهم لا يزول قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٣] فقوله ﴿ خَيْرًا ﴾ نكرةٌ في سياق الشرط فهي تعم ، فلو كان فيهم خيراً ما ، لعلمه الله .

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام ، لا للتطهير والتمحيص كما أشار إليه تعالى بقوله ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ وبقوله : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٨] والعلم عند الله تعالى^(١) .

ثانياً: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن:

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن لقوله تعالى : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] وفي النار ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] والإعدادُ التهيئة ، وقد اتفق أهل السنة على هذا .

ومن الأدلة على أنّهما موجودتان الآن الأحاديث التي يذكر فيها النبي ﷺ أنه رأى الجنة والنار ، ورأى أهلها ، كحديث عبد الله بن عباس أنه قال : « خُسِفَتِ الشمسُ على عهد رسول الله ﷺ ، فصلّى رسول الله ﷺ والناس معه ، فقام قياماً طويلاً . . . الحديث وفيه : قالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ، ثم رأيناك تكعكت ، فقال : « إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عُنُقوداً ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أرَ كالיום منظرأ قط ،

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص (٩٣ - ٩٧) .

ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ» ، قالوا : لمَ يا رسولَ الله ، قال : « بكفرهنَّ » ، قيل : يكفرن بالله ، قال : « يكفرنَّ العشيرَ ، ويكفرنَّ الإحسانَ ، ولو أحسنتَ إلى أحداهنَّ الدهرَ ، ثم رأيتُ منك شيئاً قالت : ما رأيتُ منك خيراً قط »^(١) .

وعن أنس قال : قال رسولُ الله ﷺ : « والذي نفسُ محمدٍ بيده لو رأيتُم ما رأيتُ لضحككم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً » قالوا : وما رأيتُ يا رسولَ الله ؟ قال : « رأيتُ الجنةَ والنارَ »^(٢) .

ثالثاً - مكان الجنة:

مكان الجنة فوق السماء السابعة ، وتحت عرش الرحمن ، أما كونها فوق السماء السابعة فدلَّ عليه القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿[النجم: ١٤ - ١٥] وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة ، كما في حديث الإسراء المشهور ، وفيه : « ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيْلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذُهِبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَاقِلِ ، قَالَ : فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ففرضَ عليَّ خمسين صلاةً . . . »^(٣) فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى بَعْدَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، وبما أنَّ الجنةَ عندها إذن فهي فوق السماء السابعة^(٤) .

وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن فدلَّ على ذلك من السنة ، حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي

(١) البخاري رقم (٤٩٠١) مسلم رقم (٩٠٧) .

(٢) مسلم رقم (٤٢٦) .

(٣) مسلم رقم (١٦٢) .

(٤) اليوم الآخر د . المطيري ص (٤١٠) .

أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا » . قالوا : يا رسول الله أفلا نبشِّرُ النَّاسَ بِذَلِكَ . فقال : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَشْرُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » ^(١) ، فَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ هِيَ الْفَرْدَوْسُ . كَمَا فِي الْحَدِيثِ . وَفَوْقَ عَرْشِهِ الرَّحْمَنُ ، إِذَنْ فَالْجَنَّةُ تَحْتَ عَرْشِهِ سَبْحَانَهُ ^(٢) .

رابعاً- مكان النار:

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ [المطففين: ٧-٩] .

وفي حديث البراء : « فيقول الله عزَّ وجلَّ اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى » سجين فعيل من السجن ، وهو الضيق ، كما يقال : فسَّيق وشَرَّيب وخَمَّير وسكير ونحو ذلك ، ولهذا أعظم الله أمره فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ أي أمر عظيم ، وسجنٌ مقيم ، وعذابٌ أليم ، وقد فسَّر في الحديث بأنه في الأرض السفلى وقال بعضهم : صخرة تحت الأرض السابعة ، وقيل بئر في جهنم ، وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه ، ولا قول بعد قول رسول الله ﷺ ^(٣) .

والظاهر من الآية أنَّ سجينَ هو اسمُ للكتاب ، لأنه تعالى قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ قال : ليس تفسيراً لقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ وإنما هو تفسيرٌ لما كُتِبَ فيه من المصير إلى سجين ، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه ، لا يَزَادُ فيه أحدٌ ، ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظي ^(٤) . وهكذا قال الراغب

(١) البخاري رقم (٢٦٣٧) .

(٢) اليوم الآخر د . المطيري ص (٤١٠) .

(٣) الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد الشيباني ، لعبد الرحمن بن أحمد البنا الساعاتي (٧ /) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٤) .

والقاسمي^(١) ، وعليه فيكون قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ مَرْقُومٌ ﴾ تفسير لقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّ كُتِبَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ أي إن كتاب الفجار كتاب مرقوم ، ويكون قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ . وهذه جملة معترضة بين المفسر والمفسر ، وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار .

وقد دلت الأحاديث أن النار يؤتى بها يوم القيامة ، فتكون في موضع قبل مكان الجنة ، لأن الصراط منصوب على جسر جهنم^(٢) ، ودل حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : « يُؤْتَى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »^(٣) .

خامساً: أصحاب الأعراف:

الأعراف : سور بين الجنة والنار^(٤) قال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ [الأعراف: ٤٦-٤٨] .

وأما أصحاب الأعراف : فهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة ، فيقفون على السور ، حتى يُقضى بين الناس ، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته ، نقله البيهقي في كتابه (البعث والنشور) عن جمع من الصحابة والتابعين^(٥) .

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال : قال سعيد بن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود قال : يحاسبُ الناسُ يومَ القيامةِ ، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ فهو في عيشة

(١) محاسن التفسير للقاسمي (٧ / ٢) .

(٢) اليوم الآخر ، عبد المحسن المطيري ص (٤١٢) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٤٢) .

(٤) مفردات الراغب ص (٥٦٢) .

(٥) البعث والنشور للبيهقي ص (٨١ - ٨٧) .

رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ [القارة: ٦-١١] .

ثم قال : الميزان يخفُّ بمثقال حبة ويرجحُ ، قال : ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار ﴿ لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ تعوذوا بالله من منازلهم .

قال : فأما أصحاب الحسنات ، فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويعطى كلُّ عبدٍ يومئذٍ نوراً ، وكلُّ أمةٍ نوراً ، فإذا أتوا على الصراط سلبَ الله نور كلِّ منافقٍ ومنافقةٍ ، فلما رأى أهل الجنة ما لقيَ المنافقون قالوا : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا ﴾ .

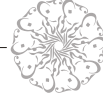
وأما أصحاب الأعراف فإنَّ النورَ كان بأيديهم فلم ينزع ، فهناك يقول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ فكان الطمع دخولاً ، فقال ابن مسعود : إنَّ العبدَ إذا عمل حسنةً كُتِبَ له بها عشرٌ ، وإذا عمل سيئةً لم تكتبْ إلا واحدةً ، ثم يقول : هلك من غلبت آحادُه عشرايته^(١) . وفي قوله تعالى ﴿ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ قال ابن عباس : يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه ، وأهل النار بسواد الوجوه^(٢) .

* * *

(١) اليوم الآخر د . المطيري ص (٤١٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٢) ، فتح القدير (١ / ٢) .

المبحث الثاني



النَّار

١ - النار: هي الدَّار التي أعدها الله في الآخرة لعذاب الكفرة والفسقة والعصاة.

أولاً- أسماء النار :

وأسماء النار التي ذكرت من القرآن ثمانية ، أولها وأشهرها :

١ - النار .

وأما البقية فهي كالآتي :

٢ - سَعِير: قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان: ١١] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥] .

٣ - جهنم: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرُ ﴾ [الملك: ٦] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبا: ٢١] .

٤ - لظى: قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِّلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرٍ وَقَوَى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ [المعارج: ١٥ - ١٨] اللظى: اللهب الخالص ، وقال تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْظَى ﴿١٩﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿٢٠﴾ [الليل: ١٤ - ١٥] التظاء النار : التهابها ، وتلظىها : تلهبها ، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْظَى ﴾ [الليل: ١٤] أي تتوهج وتتوقد^(١) .

٥ - سقر: قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا يَقْبِضُ وَلَا تُدْرِكُهُ لَوَاحٌ ۚ لِّبَشَرٍ ۚ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۚ ﴾ [المدر: ٢٦ - ٣٠] وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوفُوا مَسَّ سَقَرَ ۚ ۚ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۚ ﴾ [القمر: ٤٨ - ٤٩] والسقر: البعد، وسقرته الشمس: لَوَحته، وآلمت دماغه بحرّها، ويوم مُسَقَر: شديد الحر^(١).

٦ - الهاوية: قال تعالى: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۚ نَارُ حَامِيَةٍ ۚ ﴾ [القارة: ٩ - ١١] وسُميت النار بالهاوية لبعد قعرها، فمن سقط يهوي فيها، ومعنى أمّه هاوية: أي مستقرّه الهاوية^(٢).

٧ - الحطمة: قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۚ نَارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ ۚ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ ۚ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۚ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۚ ﴾ [الهمزة: ٤ - ٩] والحطم: الكسر في أي وجه كان، قيل: هو كسر الشيء اليابس خاصة، كالعظم ونحوه^(٣)، وسُميت النار بذلك لأنها تحطم رأس وعظام كل من دخلها^(٤).

٨ - الجحيم: قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۚ ﴾ [الدخان: ٤٧]. قال رسول الله ﷺ: « أتاكم رمضان شهرٌ مبارك، فرض الله عزّ وجلّ عليكم صيامه، تفتّح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلّ فيه مردّة الشياطين، لله فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها، فقد حُرِمَ »^(٥). الجاحم: المكان الشديد الحرّ، وجحّم النار أوقدها، ورأيت جحمة النار أي توقّدها، وكلّ نارٍ عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۚ ﴾ [الصفات: ٩٧] وكلّ نارٍ توقد على نارٍ جحيم، وهي نارٌ جاحمة^(٦)، وسُميت النار بالجحيم لأنها نارٌ عظيمة في مهواة، وهي نارٌ توقد على نارٍ، كما قال تعالى: ﴿ نارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ ۚ ﴾ أي التي أوقد عليها.

(١) لسان العرب (٤ / ٣).

(٢) اليوم الآخر، د. المطيري ص (٤٢٥).

(٣) لسان العرب (١٢ / ١).

(٤) اليوم الآخر د. المطيري ص (٤٢٦).

(٥) النسائي رقم (٢١٠٤) وأصله في الصحيحين.

(٦) لسان العرب (١٢ /)، بتصرف وتقديم وتأخير.

هذا وقد ذهب بعضهم إلى أنّ هذه الأسماء إنّما هي أسماء لأبواب جهنم ، قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]: جهنم ، والسعير ، ولظى ، والحطمة ، وسقر ، والجحيم ، والهاوية ، وهي أسفلهم . وقال بعضهم : إنّ هذه الأسماء إنّما هي لدركات^(١) النار .

والصحيح أنّ هذه الأسماء للنار لا لأبوابها ولا لدركاتها ، لأنّ الآثار التي ذكرت ضعيفة ، وجميع المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة ، إنّما يذكرون أنّ هذه الأسماء أسماء للنار لا غير ، وسياق الآيات يدلّ على أنّ المراد هو النار نفسها لا أبوابها ولا دركاتها ، خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١] . فبعد أن يكون المعنى : وأعدنا لمن كذب بالساعة باباً ، وكذا قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤] ليس معناه لينبذ في باب اسمه الحطمة ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [نار الله الموقدة: ٥-٦] نصّ في أنّ هذا اسم للنار ، وكذا قوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ [١١] ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ٩-١١] . وقوله : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] .

ومعاني الأسماء تقوي هذا الرأي أيضاً ، فالنار كلّها تلتهب ، وتستعر ، وتتلظى ، وتسقر ، وهي كلّها سوداء ، لا بأبها فقط ، ولا جزء من أجزائها ، وهي هاوية بعيدة القعر ، ليس الباب ، ولا أظنّ أنّ النار ليس فيها إلا سبع دركات فقط ، قال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢] وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط ، فمنهم من يوضع تحت رجله جمرة من النار فيغلي دماغه ، وهو أهون أهل النار عذاباً ، ثم يتدرّج العذاب ، حتى يصل إلى عذاب المنافقين ، الذين هم في الدرك الأسفل من النار^(٢) .

ثانياً: خزنة النار :

١ - عدد خزنة النار: قال تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ [٢٧] ﴿لَا بُقْي وَلَا نَذْرٌ﴾ [٢٨] ﴿لَوَاحَةٌ لِّبَشَرٍ﴾ [٢٩] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٧-٣٠] فعددهم تسعة عشر ملكاً ، ولكن القرطبي قال : والصحيح - إن شاء الله - أنّ هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ، وأمّا

(١) البعث والنشور للبيهقي ص (٢٥٥) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٤٢٩) .

جملتهم فالعبارة تعجز عنها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكًا وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزداد الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْكَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣١] وقد ثبت في (الصحيح) عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » (١) .

٢ - أسماء خزنة النار : أما كبير خزنة النار فهو مالك ﷺ ، وجاء ذكره في الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ وَنَادَاؤُا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْهِ تَارُبُكُ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكُمْ ﴾ [الزخرف : ٧٧] وهو خازن النار ، أخرج البخاري (٢) عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ على المنبر : ﴿ وَنَادَاؤُا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْهِ تَارُبُكُ ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا ممّن نحن فيه ، فإنهم كما قال تعالى : ﴿ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ وقال عز وجل : ﴿ وَيَنْجِئُهَا الْأَشْقَى ﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿[الأعلى : ١١ - ١٣] فلما سألوا أن يمتوتوا أجابهم مالك : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكُمْ ﴾ قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال : إنكم ماكثون ، أي لا خروج لكم منها ، ولا محيد لكم عنها .

وقد وصف الله عز وجل خزنة النار بأنهم ﴿ الزَّانِيَةُ ﴾ وهم الذين يتولّون تعذيب الكفار والعصاة في النار ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ ﴿ سَدْعُ الزَّانِيَةِ ﴾ [العلق : ١٧ - ١٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال أبو جهل : هل يعقر محمدٌ وجهه بين أظهركم ، قال فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، أو لأعقرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليظاً على رقبته ، قال : فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخذقاً من نارٍ وهو لا وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » قال : فأنزل الله

(١) مسلم (٢٨٤٢) .

(٢) البخاري (٤٨١٩) .

عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبَطِغٌ﴾ (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّيْ ﴿٩﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهَدْيِ ﴿١٠﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١١﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٣﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٤﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٥﴾ فَلَيَدْعُو نَادِيَهُ ﴿١٦﴾ سَدَّعَ الزَّيَّاتِيَةَ ﴿١٧﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاُسْجُدُوا قَرِيبَ ﴿١٨﴾ [العلق: ٦-١٩] (١).

٣ - صفاتهم: وحديثنا هنا عن صفاتهم الزائدة عن الصفات العامة المشتركة للملائكة ، وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين ، وهاتان الصفتان شاملتان لجميع الصفات ، وهما: الغلظة والشدة ، فهي فيهم (٢) ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] .

وقد ذكر الله تعالى جلّ جلاله بعض المواقف التي تبين شيئاً من غلظتهم مع أصحاب النار في ثلاثة مواطن :

الموطن الأول: عند فتح أبواب جهنم لإدخالهم فيها ، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١-٧٢] .

الموطن الثاني: عند دخولهم النار ، قال تعالى: ﴿كَلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨-١١] .

الموطن الثالث: عند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (١١) قَالُوا أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَوْا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩-٥٠] .

(١) مسلم رقم (٢٧٩٧) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٤٣٥) .

ثالثاً: صفة النار:

١ - أبواب النار: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٣ - ٤٤] .

وعندما يرد الكفار النار تفتح الأبواب ، ثم يدخلونها خالدين ، قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحِتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١] ، وبعد هذا الإقرار يقال لهم ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧٢] .

وهذه الأبواب تغلق على المجرمين ، فلا مطعم لهم في الخروج منها بعد ذلك ، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٥﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ [البلد: ١٩ - ٢٠]^(١) ومؤصدة : مغلقة الأبواب^(٢) ، فأبواب النار مؤصدة مغلقة ، وأسوارها ذات عمود ممدودة طويلة ، لا يمكن تخطيها ، ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ﴾ [الهمزة: ٨ - ٩]^(٣) .

٢ - دركات النار: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَفَقِّينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] والدرك : هو أقصى قعر الشيء^(٤) ، وقال الراغب : (الدرك) كالدرج ، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود ، والدرك اعتباراً بالحدور ، ولهذا قيل : درجات الجنة ودركات النار^(٥) ، وقد يطلق على منازل النار درجات ، كقوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ يُعَمِّلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] .

وفي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار ثم قال: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ

(١) اليوم الآخر ، الجنة والنار ، عمر الأشقر ص (٢٨) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢٨) .

(٣) اليوم الآخر ، د . محسن المطيري ص (٤٣٨) .

(٤) لسان العرب (١٠ / ٤) .

(٥) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (٣١١) .

كَمْ بَاءٍ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٦﴾ هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾ [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣] .

وتفاوتُ دركاتُ أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم ، وقد بينا أنَّ الله عز وجل ذكر أنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، وكونهم في الدرك الأسفل يستلزمُ أنهم في أشدَّ العذاب ، وليست هذه الدركة مختصةً بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم ، فقد ذكر الله تعالى لنا ثلاثة أصنافٍ من الناس أنَّهم في أشدَّ العذاب ^(١) .

الصف الأول: فرعون وقومه ، قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

الصف الثاني: اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب ، وكفروا ببعضه ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسُكُمْ فَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَبْتَغُونَ عَلَيْهِمُ الْإِثْمَ وَالْعُدْوَانَ وَإِنِ يَأْتُواكُمْ أُسْكَرَىٰ فَتَضَلُّوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

الصف الثالث: الذين كفروا من أصحاب المائدة ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥] .

وأما أهوُّ أهل النار عذاباً فهو رجلٌ ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ، فعن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَّارٍ ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ » ^(٢) .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ، والسنة المطهرة ص (٤٤٢) .

(٢) مسلم رقم (٢١١) .

٣ - وَقُودُ النَّارِ: وَقُودُ النَّارِ ، البشر والحجر ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠] وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦] .

٤ - شِدَّةُ حَرِّهَا وَعَظَمُ دَخَانِهَا وَشَرَارُهَا: قال تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ السَّمَالِ مَا أَصْحَابُ السَّمَالِ ﴾ [٤١] فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿ ٤٢ ﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿ ٤٣ ﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿ [الواقعة: ٤١ - ٤٤] وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرّد به الناس في الدنيا في الكرب والحر ، وهو ثلاثة : الماء ، والهواء ، والظل ، وذكرت الآية أنّ هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً ، فهواء جهنم السّموم ، وهو الريح الحارّة الشديدة الحر ، وماؤها الحميم ، الذي قد اشتدّ حرّه ، وظلّها اليعموم ، وهو قطع دخانها^(١) . والظلّ الذي أشارت إليه الآية ﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٣] هو ظلّ دخان النار ، والظلّ يُشعر عادةً بالندوة والبرودة ، كما أنّ النفس تحبّه وتستريح إليه ، أمّا هذا الظلّ فإنّه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر ، إنّهُ ظلّ من يحموم .

وقد حدّثنا القرآن في هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار ، فقال : ﴿ أَطْلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ﴾ [٣٠] لَا ظِلِّيلٍ وَلَا يَغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿ ٣١ ﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿ ٣٢ ﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفْرٌ ﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٣٣] فالآية تقرّر أنّ الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لفخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام : وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليّة ، ولا تقي من الهب المشتعل . أما شرار هذه النار المتطاير منها فإنّه يشبه الحصون الضخمة ، كما يشبه هذا الشرار الجمال الصفر ، أي الإبل السود .

وقال الحقّ مبيناً قوّة هذه النار ، ومدى تأثيرها في المعذبين : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿ ٧٧ ﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ﴿ ٧٨ ﴾ لَوْحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿ ٧٩ ﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ ﴿ [المدر: ٢٧ - ٣٠] إِنَّهَا تَأْكُلُ كُلَّ

شيء ، وتدمر كل شيء ، لا تبقي ولا تذر ، تحرق الجلود ، وتصل إلى العظام ، وتصهر ما في البطون ، وتطلع على الأفتدة .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ : « أَنَّ نارنا جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم » قيل : يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : « فَضَلْتُ عليها بتسعين جزءاً ، كلهنَّ مثلُ حرِّها » (١) .

وعندما تسقى النار أهلها يوم القيامة تسعر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٢] ومعنى سُعِرَتْ : أوقدت ، وأحميت (٢) .

هـ - النار تتكلم وتبصر وتغضب: الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف نار جهنم يجدها مخلوقاً يتكلم ويبصر ويغضب :

أما كلامها فيقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] .

وأما رؤيتها للناس ، فيقول تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعيراً ﴾ [إذآرآتهم من مكان بعيد سِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا] [الفرقان: ١١-١٢] فقلوه : ﴿ رَأَتْهُمْ ﴾ يدل على أنها تبصر ، وقوله ﴿ سِعُوا لَهَا ﴾ يدل على أنها تتكلم .

وأما غضبها فيقول سبحانه : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [نكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنها ألم يأتكم نذير] [الملك: ٧-٨] وقال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢] فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين ، بل تكاد تتميز - أي تنقطع (٣) - من شدة غضبها عليهم .

٦- وديان النار: سمى الله تعالى بعض أسماء هذه الأودية ، وهي التالية :

أ- وداي الويل: قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ أَلْوِيلٌ مِمَّا نَصَفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨] وقال تعالى: ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُزْمَةٌ ﴾ [الذي جمع ما لا وعدد] ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُمُ ﴾ [الهمزة: ١-٣] وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ويلٌ وإد في جهنم يهوي فيه الكافرُ »

(١) البخاري رقم (٣٠٩٢) مسلم رقم (٢٨٤٣) .

(٢) اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر ص (٤٣) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٤٤٦) .

أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره ، والصَّعُودُ جبلٌ من نارٍ يُصْعَدُ فيه سبعين خريفاً ، ثم يهوي فيه كذلك منه أبداً»^(١) .

ب - وادي الغي : قال تعالى: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَٰعِثِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره قوله ﴿ غِيًّا ﴾ : هو وادٍ في جهنم يُقَذَّفُ فيه الذين اتبعوا الشهوات^(٢) .

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه : (الغي) وادٍ في جهنم بعيد القعر ، متننُّ الريح^(٣) ، وهذا لا يقال من قبل الرأي ، فله حكم الرفع^(٤) .

ج - وادي الموبق : قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف: ٥٢] قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ وادٍ من قيح ودم^(٥) . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : وادٍ في النار عميقٌ ، فرق يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة^(٦) ؛ وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ قال ابن عباس : مهلكاً^(٧) . والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ، ويجوز أن يكون وادياً في جهنم أو غيره ، والمعنى أن الله تعالى بيّن أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ، ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا ، وأنه فرّق بينهم وبينها في الآخرة ، فلا خلاص لأحدٍ من الفريقين ، بل بينهم مهلكٌ وهولٌ عظيمٌ ، وأمرٌ كبير^(٨) .

٧ - جبال النار: قال تعالى: ﴿ سَاءَ هَٰؤُلَاءِ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧] قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : جبلٌ في جهنم^(٩) .

(١) الترمذي (٣١٦٤) .

(٢) ابن أبي الدنيا صفة النار ص (٤١) .

(٣) المصدر نفسه ص (٤٦٠) .

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٥٠) .

(٥) البيهقي في البعث والنشور ص (٢٦١) .

(٦) المصدر السابق ص (٢٦١) .

(٧) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٥٠) .

(٨) اليوم الآخر ، في القرآن والسنة المطهرة ص (٤٥١) .

(٩) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص (٢٦٨) .

٨ - سرادق النار: قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩] السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء^(١). وقال رسول الله ﷺ: « لسرادق النار أربع جذر كُثِفَ ، كل جذر مثل مسيرة أربعين سنة »^(٢) ، وهذا السور له أعمدة ممدودة طويلة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاةٌ ﴾ في عمدة ممددة^(٣) [الهمزة: ٨-٩] .

٩ - سعة النار ، وبُعد قعرها ، وعظم عمقها: وتدل على ذلك أمور كثيرة منها:

أ - أن من أسماء النار الهاوية: أي يهوى بها لبُعد قعرها ، عن أبي هريرة قال : كُنَّا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة ، فقال النبي ﷺ : « تدرون ما هذا؟ » قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا حَجَرٌ رُمِيَ به في النار منذ سبعين خريفاً ، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها »^(٣) .

ب - أن الكافر يكبر حجمه في النار: قال رسول الله ﷺ : « صِرْسُ الكافر أو نابُ الكافر مثلُ أحدٍ ، وغُلْظُ جلده مسيرة ثلاث »^(٤) .

والذين يدخلون النار أعداد لا تحصى ، ومع العدد الهائل من الناس وبهذا الحج الكبير للكفار فإنها لا تمتلىء ، بل تطلب المزيد ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] .

ج - ويدل على عظمها أيضاً كثرة الذين يجرونها من الملائكة: فقد فسّر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ النَّاسَ وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَ ﴾ [الفجر: ٢٣] بأن الذين يجيئون بها ملائكة ، قال رسول الله : « يوتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »^(٥) .

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٣٥٩) .

(٢) الترمذي رقم (٢٥٨٤) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٤٤) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٥١) .

(٥) مسلم رقم (٢٨٤٢) .

١٠ - وصف عذاب النار: إنّ الذي يتأمل ويتدبّر في القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أنّ الله سبحانه وتعالى قد وصف عذاب الحياة الآخرة ، بأوصاف كثيرة متنوّعة ، مما يدلّ على عظمة عذابها وشدته ، فمن هذه الأوصاف :

أ - أنّه أشقّ وأشدّ: قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤] . وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِثَانِيَةِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧] .

ب - غرام: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] والغرام: اللازم الدائم ، ومنه سمّي الغريم لملازمته ، ويقال: فلان مغرم بكذا ، أي: ملازم له ومولع به ، لهذا معناه في كلام العرب ، كما ذكره ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما ، ومنه قول الأعشى :

إِنْ يِعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْطَ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي^(١)

ج - العذاب المهين: قال تعالى: ﴿يُسْكَمُ أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠] وقوله تعالى: ﴿وَاللْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ، منشأ ذلك التكبر ، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] . أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين^(٢) .

د - العذاب الأخزى: ومن أوصاف عذاب الآخرة أنّه عذاب أخزى ، قال تعالى: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦] وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] .

(١) ديوان الأعشى الكبير (٥٩) ، الحياة في القرآن الكريم أحزمي سامعون جزولي (١ / ٢٧٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ١١٢) .

هـ - العذاب العظيم: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْخَرُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصْرِوْا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦] .

و - العذاب السيئ: ومن أوصاف عذاب الآخرة أنه العذاب السيئ ، الشديد النكاية ، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَنْفَى بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] .

ز - العذاب الأكبر: قال تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٥ ﴿فَإَذَاهُمْ اللَّهُ الْخَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٥ - ٢٦] وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣] وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ٢٢ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ٢٣ فَعَذَّبَهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٤] (١) .

١١ - كيفية دخول أهل النار إلى جهنم: فصل الله تعالى كيفية دخول أهل النار إلى جهنم ، وبين ذلك في كثير من الآيات ، فقد أمر الله تعالى الملائكة أن تقيد وتغل الكافر ، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠] الغل: هو ما يقيد به (٢) ، وهذا القيد يكون في عنقه كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلُلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبا: ٣٣] . وهذه الأغلال عبارة عن سلاسل من الحديد ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٧٦ ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ٧٧ ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٠ - ٧٢] ثم تجمع الملائكة نواصيهم مع أقدامهم: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] عن ابن عباس رضي الله عنه

(١) الحياة في القرآن الكريم (١ / ٢٧٢ - ٢٨١) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٥٧) .

قال : « يُجْمَعُ بَيْنَ رَأْسِهِ وَرَجْلَيْهِ ، ثُمَّ يُقَصَفُ كَمَا يُقَصَفُ الْحَطْبُ »^(١) . ثم يساقون إلى النار سواقاً شديداً ، ويدفعون إليها دفعا * يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ [الطور: ١٣-١٤] والدُعُ : الدفع الشديد .

ثم إذا اقتربوا منها فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا فِي وجوههم بغتةً حَتَّى يَصِيبَهُمْ عَذَابُ الْفَرْعِ ، قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١] ثم يُلقون فيها إلقاء من مكان ضيق ، وهم مكتفون ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ١٣] مقرنين أي مشدودين ومربوطين^(٢) .

وهذا الربط بالأصفاد هي الأغلال * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ [إبراهيم: ٤٩] وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٠]^(٣) ثم يُلْقَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، قال تعالى : ﴿ فَكُبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩١﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٤ - ٩٥] كُبِّكُوا : أُلْقِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(٤) . ثم تبدأ بعد ذلك سلسلة طويلة من أنواع العذاب وأصناف النكال وألوان الآلام^(٥) .

١٢ - أَوَّلُ مَنْ تَسَعَّرَ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَفَهُ نَعْمَةً فَعَرَفَهَا ، قال : فما عملت فيها؟ قال : قاتلتُ فيكَ حتى استشهدتُ ، قال : كذبتَ ، ولكنك قاتلتَ لأنَّ يُقَالَ جَرِيءٌ ، فقد قيل ، ثم أمر به فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

ورجلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَفَهُ نَعْمَةً فَعَرَفَهَا ، قال : فما عملتَ؟ قال : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قال :

(١) البعث والنشور للبيهقي ص (٢٨٦) .

(٢) مفردات القرآن للأصفهاني ص (٦٦٧) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٥٧) .

(٤) لسان العرب لابن منظور (١ / ٦٩٧) .

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٥٨) .

كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليُقَالَ عالمٌ ، وقرأت القرآن ليُقَالَ قارىٌّ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، حتى ألقي في النار .

ورجلٌ وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيلٍ تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليُقَالَ هو جوادٌ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار ^(١) .

ثالثاً- ما أعد الله لأهل النار من عذاب:

١ - شدة العذاب: ومن شدة عذابها أن نفخة واحدة منها تكفي بأن يقرّوا بكل شيء ، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَلُّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة: ٤ - ٩] وقد اشتملت هذه السورة - مع قصرها - على سبع أمور تدل على عظيم عذاب نار جهنم ، وشدته ، وهي كما يلي :

أ - قوله: ﴿ لَيُبَدِّلَنَّا ﴾ والنبذ يُستخدَم للتحقير ، والمهانة ، والذل ، ويقال : فلانٌ منبوذٌ ، أي مهانٌ محتقر ، لا نصير له ، ولا معزٌّ ، فهم إضافة لعذابهم البدني بالنار ، فإنهم يعذبون عذاباً نفسياً بالمهانة والتحقير .

ب - قوله: ﴿ الْحُطْمَةُ ﴾ : تسمية النار بالحُطْمَةِ تعظيم لعذابها ، لأنها تحطم عظام ورؤوس من دخلها .

ج - قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴾ هذا الأسلوب أسلوب تعظيم ، كقوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ - ٣] وقوله: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١ - ٣] .

د - قوله تعالى: ﴿ نَارُ اللَّهِ ﴾ أضاف الله تعالى النار إلى نفسه سبحانه ، وهذه إضافة تعظيم ، كقوله تعالى: ﴿ بَيَّتُ اللَّهُ ﴾ و« نَاقَةُ اللَّهِ » .

هـ - وقوله تعالى: ﴿ الْمُوقَدَةُ ﴾ على وزن مفعلة ، وهذه الصيغة من صيغ

اسم المفعول^(١) ، ومن المعلوم أنّ هذه الصيغة تدلّ على من وقع عليه الفعل ، فهي إذن نار ، ويوقد عليها ، والإيقاد إنّما يكون بالنار ، وهذا من الغرائب ، كيف يوقد على النار ، وهي التي يوقد بها لا عليها ، ولكن نار جهنم من شدة نارها وحرارتها يوقد عليها حتّى لا تخبو وتضعف ، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] .

و - ﴿أَلَتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ﴾: من شدة حرارة جهنم أنها لا تحرق الأبخار والجلود فقط ، بل يصل حرقها ونارها وحرارتها إلى القلب والفؤاد .

ز - ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوصَدَةٌ ۖ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ﴾ من شدة عذابها أنها مُحَكَمَةٌ الغلق ، موصدة الأبواب ، ممددة الأعمدة والأسوار ، لا منجاة منه ولا مهرب ولا مفر^(٢) .

٢ - إحاطة النار بأهلها: قال تعالى: ﴿ هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَشَرِّ مَتَابٍ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنسُ الْمِهَادُ ۖ ﴾ [ص: ٥٥-٥٦] وقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۖ ﴾ [الأعراف: ٤١] المهاد: المكان الممهّد ، الموطأ^(٣) ، وهو الفراش ، وهذا يكون من تحتهم ، ومهادهم من جهنم ، وغواش: جمع غاشية أي: نيران تغشاها^(٤) ، وقال تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَئِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٥٤-٥٥] وقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٥٤-٥٥] وقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ إِلَهُ بِهِ عِبَادُهُ يُعْبَادُ فَأَتَقُونَ ۖ ﴾ [الزمر: ١٦] الظل: جمع ظلة ، والظلة سحابة تظل ، كغرفة وغرف ، كقوله تعالى: ﴿ كَانَتْهُ ظِلَّةٌ ۖ ﴾ [الأعراف: ١٧١] وقوله: ﴿ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۖ ﴾ [الشعراء: ١٨٩] وهذه الظل من نار^(٥) .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٩٥) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٩٥) .

(٣) المفردات للراغب ص (٧٨) .

(٤) تفسير القرطبي (٧ / ١٣٣) .

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٤٩٦) .

٣ - قيودُ أهل النار وأغلالُهم وسلاسلُهم ومطارقُهم: أعد الله تعالى لأهل النار أغلالاً وسلاسلَ وقيوداً ومطارقَ ، وأوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحدٍ من العالمين أن يوثقه ، قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ۖ ﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦] .

والأغلال: جمع غل ، وهو ما يقيّد به ، فتجعل الأعضاء وسطه^(١) ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سبا: ٣٣] .

والأصفاد: جمع صنفد وهو الغل ، والأصفاد هي الأغلال . قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم: ٤٩] .

والسلاسل: معروفة ، هي القيود من حديد . قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفُونَ ۖ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِكَتِبٍ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٧٦] إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۖ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۖ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ۖ [غافر: ٦٩-٧٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان: ٤] وطول هذه السلسلة سبعون ذراعاً ، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٣١-٣٢] وطول السلسلة لا يُستغرب ، ولا يشكّل ، لأنّ الكافر يكبرُ حجمه في النار ، حتّى يكون ضرسُه كجبل أحد^(٢) .

والمقامع هي المطارق ، ومقامعُ أهل النار من مادة الحديد حتّى يكون وقعُها أشدّ ، قال تعالى: ﴿ وَهُمْ مَقْمَعُونَ مِنْ حَديدٍ ﴾ [٢١] كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢١-٢٢] أي كلما أراد أحدُهم الخروج من النار ضربَ بالمقمع ، فيهوي مرّةً أخرى في النار^(٣) .

(١) المفردات للراغب ص (٦١٠) بتصرف .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٩٧) .

(٣) المصدر نفسه ص (٤٩٧) .

٤ - قرن أهل النار بمعبوداتهم وشیاطینهم: قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿[الصفات: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٩٨) لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[الأنبياء: ٩٨ - ٩٩] لَمَّا عبد الكفار الآلهة من دون الله ، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله ، وتقربهم إليه ، عوقبوا بأن جُعِلَتْ معهم في النار ، إهانة لهم وإذلالاً ، ونكاية لهم ، وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم ، فإنَّ الإنسان إذا قُرِنَ في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشدَّ في ألمه وحسرتة^(١) ، ومن أجل ذلك يُقْدَفُ يومَ القيامة بالشمس والقمر في النار ، ليكونا ممَّا توقد به النار ، تبيكيتاً للظالمين الذين يعبدونهما من دون الله ففي الحديث : « الشمسُ والقمرُ يَكُورَانِ يومَ القيامة »^(٢) .

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشدَّ لعذابهم ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿[٣٧] حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ﴾ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿[الزخرف: ٣٦ - ٣٩] .

٥ - سجون أهل النار: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿[المطففين: ٧ - ٨] سَجِّينَ فعيل من السجن ، وهو الضيق ، كما يقال: فسيح وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ، ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي أمرٌ عظيم ، وسجنٌ مقيم ، وعذابٌ أليم^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يومَ القيامة أمثال الذرِّ في صورِ الرجال ، يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ من كلِّ مكانٍ ، فيساقون إلى سجنٍ في جهنم يسمى بُؤَاسٌ ، تعلوهم نارُ الأنيار ، يُسْقَوْنَ من عُصَاةِ أَهْلِ النَّارِ ، طينة الخبال»^(٤) .

(١) المصدر السابق (٤٩٩) .

(٢) البخاري (٣٢٠٠) .

(٣) الفتح الرباني (٧ / ٧٧) .

(٤) جامع الترمذي رقم (٢٤٩٣) .

٦ - طعام أهل النار: ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أنواعاً من طعامهم ، وهي كمايلي :

أ- النار: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤] أي إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] وقال رسول الله ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة ، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»^(١) .

ب- الزقوم: من أشجار النار الزقوم ، وهي شجرة لا نفع فيها ، فهي لا ظل لها ينعمون به ، ومنظرها بشع ، فطلعها كأنه رؤوس الشياطين ، وما الظل بشجرة تنبت في أصل الجحيم ، وإنما القصد من وضع هذه الشجرة هو تعذيبهم بها ، فيأكلون من ثمرها ، ظناً منهم أنه ينفعهم ، فما يزيدهم إلا عذاباً ، فإذا أكلوا بدأ يغلي في بطونهم ، فيفزعون يبحثون عن الماء ليطفيء الغليان الذي في بطونهم ، فيشربون من ماء الحميم يكرعون منه كرعاً ، فيقطع أمعاءهم ، ويتضاعف العذاب عليهم^(٢) ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ سَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَمِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٩] .

ج - المهل: قيل: هو عكر الزيت^(٣) ، وقيل: الثحاس المذاب^(٤) . فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميم وهو الماء الحار ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الصَّالُونَ ﴿٥١﴾ أَلَمْ كَذَّبُوا ﴿٥٢﴾ لَا كُؤُنَ مِنْ سَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ ﴿٥٣﴾ فَمَالُوا مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرْبَ أَلْهِيمٍ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦] . فقوله ﴿ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ أي : على الزقوم ليطفا غليانه ، و﴿ أَلْهِيمِ ﴾ : هي الإبل العطاش ، واحدها أهيم والأنثى

(١) البخاري رقم (٥٣١١) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٤٤٧) .

(٣) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (٧٨١) .

(٤) تفسير القرطبي (١٦ / ١٠٠) .

هيماء ، ويقال هائم وهائمة ، والهيمُ : داءٌ يأخذ الإبلَ ، فلا تروى أبداً حتى تموت ، فكذلك أهلُ جهنم لا يروون من الحميم أبداً^(١) ، وقال تعالى: ﴿ أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴾ [١٦] إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿ ١٧ ﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿ ١٨ ﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿ ١٩ ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿ ٢١ ﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿ ٢٢ ﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٨] . فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار ، فهذا حالهم من شجر الزقوم مرة أخرى ، وهكذا كأنهم في طواف ، قال تعالى: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [٤٣] يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿ ٤٤ ﴾ [الرحمن: ٤٣ - ٤٤] والحميم الآن : هو الماء الذي بلغ أقصى حرارته^(٢) .

د - الغسلين : قال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾ [٣٥] وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غُسْلَيْنِ ﴿ ٣٦ ﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٧] الغسلين : غُسلُهُ أبدانِ الكفار في النار^(٣) ، وهو الدَّمُ والماء الذي يسيل من لحومهم^(٤) .

هـ - الضريع : قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ [٦] لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿ ٧ ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧] الضريعُ : نباتٌ في الحجاز له شوكٌ كبار ، يقال له : الشَّرِق ، فإذا يبس قيل له : الضريع .

و - طعام ذو غصة : قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَحِمَامًا ﴾ [١٢] وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ ١٣ ﴾ [المزمل: ١٢ - ١٣] قال ابن عباس في قوله ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ قال : شوكٌ يأخذ بالخلق ، لا يدخل ولا يخرج^(٥) .

٧ - شراهم:

أ - الحميم : وهو الماء المغلي شديد الحرارة^(٦) ، قال تعالى: ﴿ أَوَّلَئِكَ

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٤٧) .

(٢) المصدر نفسه ص (٤٤٨) .

(٣) اليوم الآخر د . المطيري ص (٥٠٢) .

(٤) البدور السافرة للسيوطي ص (٤٩٣) .

(٥) صفة النار لابن أبي الدنيا ص (٦٤) .

(٦) المفردات للراغب ص (٢٥٤) لسان العرب (١٢ / ١٥٣) .

الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال تعالى: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٣ - ٤٤] أي: بلغ وقته من شدة الحر ، ومنه قوله تعالى: ﴿ تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية: ٥] قال تعالى: ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤١﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ ﴿٤٢﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤٢ - ٤٤] قوله ﴿ سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ أي: هواء حار ، وماء حار ، وقال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبا: ٢٤ - ٢٥] وهذه الحميم إذا شربوه قطع أمعاءهم ، كما قال سبحانه ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] وإذا لم يشربوه صُبَّ فوق رؤوسهم ، فتنصهر جلودهم وما في بطونهم ، قال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ تَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهِرُ بِهِمَا مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٠] وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الحميمَ لِيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه ، فَيَسْلُتُ ما في جوفه حتى يمرق من قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان»^(١).

ب - ماء الصديد: قال تعالى: ﴿ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٦ - ١٧] الصديد: هو القيح والدم^(٢) . ولا يزال هذا الصديد يكثرُ خروجه من أهل النار ، حتى يصبح نهرًا يسمى نهر الخبال .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَرَبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَغَضِبُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الْخَبَالِ » ، قيل : يا أبا عبد الرحمن ، وما نهر الخبال؟ قال : «نهرٌ من صديد أهل النار»^(٣) .

(١) الترمذي رقم (٢٥٨٢) حسن صحيح غريب .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٠٤) .

(٣) الترمذي رقم (١٨٦٢) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢ / ١٦٩) .

ج - ماء كالمُهْل : قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩] المُهْل: دَرْدِيُّ الزيت ، وهو ما يبقى في أسفله^(١) ، فهو ماءٌ ثقيل ، يختلف عن الحميم .

د - الغَسَاق : قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ [٢٥] إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبا: ٢٤-٢٥] وقال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [٥٧] وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص: ٥٧-٥٨] أمَّا الحميمُ فهو الحارُّ الذي قد انتهت حرُّه ، وأمَّا الغَسَاقُ فهو ضِدُّه ، وهو الباردُ الذي لا يُسْتَطَاعُ من شدَّةِ برده المؤلم ، ولهذا قال عز وجل: ﴿ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ أي: وأشياء من هذا القبيل : الشيءُ وضِدُّه يعاقبون بها^(٢) . وعن مجاهد قال : الغَسَاقُ الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدَّةِ برده^(٣) . وعن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ [٢٤] إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبا: ٢٤-٢٥] قال : استثنى من الشراب : الحميم ، ومن البارد : الغَسَاق^(٤) .

٨ - لباس أهل النار:

بعد أن يُحْشَرَ النَّاسُ حِفَاةً عُرَاءَ يَلْبَسُونَ لباساً ، وهذا اللباسُ ليسَ لسترِ العورة ، ولا للزينة ، لأنَّه لباسٌ مقطَّعٌ ممزَّقٌ ، بل لباسٌ لزيادة العذاب ، فهو لباسٌ من نار ، قال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [١٩] يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ١٩-٢٠] قوله: ﴿ قُطِّعَتْ ﴾ يعني ليست مفصلة على جسمهم ، بل هي مقطعة ممزقة ، وكان إبراهيمُ التيميُّ إذا قرأ هذه الآية يقول : سبحان من قطع من النيران ثياباً^(٥) ، وقال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعَثَّى وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٥٠] السراويل: جمعُ سربال ، والسربالُ هو القميصُ أو الدرعُ ، وقيل : كلُّ ما لُبِسَ فهو

(١) لسان العرب (٣ / ١٦٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٤١) .

(٣) البدور السافرة ، للسيوطي ص (٤٤١) .

(٤) المصدر نفسه ص (٤٤١) .

(٥) اليوم الآخر ، الأشقر ص (٩٧) .

سربال^(١) . القطران: الثُّحاس المذاب^(٢) ، فلباسُهم من نُحاسٍ مذابٍ ، والثُّحاسُ لا يكون مذاباً حتى 'يحمى' عليه ، ويكون في الغاية من الحرارة والغليان .
وعن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ قال : « أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهنَّ : الفَخْرُ في الأحسابِ ، والطعنُ في الأنسابِ ، والاستسقاءُ بالنجوم ، والنياحةُ ، وقال : النائحةُ إذا لم تتب قبل موتها تقامُ يومَ القيامة ، وعليها سربالٌ من قَطْرانٍ ، ودرعٌ من جَرَبٍ »^(٣) .

٩- صور من عذابهم:

أ- انضاجُ الجلودِ: إنّ نيرانَ الجبارِ تحرقُ جلودَ أهل النار ، والجلدُ موضعُ الإحساسِ بألمِ الاحتراقِ ، ولذلك فإنَّ الله يبدِّلُ لهم جلوداً أخرى غيرَ تلك التي احترقتْ لتَحترقَ من جديدٍ^(٤) . قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩] .

ب- الصهر: من ألوانِ العذابِ صبُّ الحميمِ فوق رؤوسهم ، والحميمُ هو ذلك الماء الذي انتهى حرُّه ، فلشدَّةِ حرِّه تذوبُ أعضاؤهم ، وما حوته بطونهم ، قال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ^(٥) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ١٩- ٢٠] وقال رسول الله ﷺ : « إنّ الحميمَ ليصبُّ على رؤوسهم ، فينفذُ الحميمُ حتى يخلصَ إلى جوفه ، فيسلتُ ما في جوفه ، حتى يمرقَ من قدميه ، وهو الصهرُ ، ثم يعادُ كما كان^(٥) » .

ج - اللفحُ: أكرمُ ما في الإنسان وجهه ، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضربِ

(١) لسان العرب (١١ / ٣٣٥) .

(٢) البعث والنشور للبيهقي ص (٢٨٤) .

(٣) مسلم رقم (٩٣٤) .

(٤) اليوم الآخر ، الأشقر ص (٩٧) .

(٥) الترمذي رقم (٢٥٨٢) حسن صحيح غريب .

الْوَجْهِ ، ومن إهانة الله لأهل النَّار أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وجوههم عُمِيًّا وَصُمًّا وَبُكْمًا ، قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧] . ويلقون في النَّارِ عَلَىٰ وجوههم ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٠] .

ثم إِنَّ النَّارَ تَلْفَحُ وجوههم وتغشاها أبداً ، لا يجدون حائلاً يحول بينهم وبينها ، قال تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [١٠٦] تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿ [المؤمنون: ١٠٣-١٠٤] .

وفي قوله تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ : تحرقها ، واللفح كالنفخ إلا أَنَّهُ أَشَدُّ تأثيراً منه ، وتخصيصُ الوجه بذلك لَأَنَّهَا أَشْرَفُ الأَعْضَاءِ ، فبيانُ حالها أَزْجَرُ عن المعاصي المؤدية إلى النار ، وهو السُّرْفُ في تقديمها على الفاعل^(١) .

ثم إِنَّ وجوههم تعلوها النار ، وتحيطُ بها ، وتسعّرُ أجسامهم المسربلة بالقطران^(٢) ، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [٤٩] سَرَائِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَّى وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿ [إبراهيم: ٤٩ - ٥٠] وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ [الأحزاب: ٦٦] إِنَّهُ مُشْهَدٌ بَائِسٌ أَلِيمٌ حين تغشاهم النار من كلِّ جهة ، فالتعبيرُ على هذا النحو يرادُّ به تصويرُ الحركة وتجسيُّمها ، والحرصُ على أن تصل النارُ إلى كلِّ صفحةٍ من صفحات وجوههم زيادةً في النكال^(٣) .

د- السَّخْبُ: ومن أنواع العذابِ الأليمِ سَخْبُ الكفار في النارِ عَلَىٰ وجوههم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ [٤٧] يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهم دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿ [القمر: ٤٧ - ٤٨] ، ويزيدُ في آلامهم إهانتهم حال سحبهم في النار أَنَّهُمْ

(١) تفسير أبي السعود (٦ / ١٥١) .

(٢) القطران: النحاس المذاب ، غريب القرآن ص (٤٠٧) .

(٣) في ظلال القرآن (٥ / ٢٨٨٣) .

مقيّدون بالقيود والأغلال والسلاسل ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي عَايَتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرِّفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّْا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْطَالُ فِيْ أَغْنَقِيْهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٦٩ - ٧٢] قال قتادة : يسحبون مرة في النار ، وفي الحميم مرة^(١) .

هـ - تسويد الوجوه : ومن ألوان عذاب الحياة الآخرة تسويد الوجوه ، وذلك لما ترى من سوء العاقبة ، وما يحلُّ بها من النكال والوبال ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] كأنما ألبست وجوههم قطعاً من أديم الليل حال كونه حالكاً مظلماً لا بصيص فيه من نور القمر الطالع ولا النجم الثاقب ، فتشقها قطعة بعد قطعة ، فصارت ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض^(٢) . قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَئِلُهَا وَتَرْتَفِئُهُمْ ذُلٌّ مَّا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آتِلٍ مُّظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧] . ونحو الآية قوله تعالى: ﴿ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴿٢٥﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٤ - ٢٥] .

تلك وجوه أهل النار التي تغشاها ظلمة وانكدار ، ويبدو عليها مضض^(٣) ، وإرهاق ، فإنها ليست كالحة فحسب ، ولكن يخالجها التوجُّس^(٤) ، أن تنزل بها داهية تقصم^(٥) الفقار^(٦) ، والتوجُّس شرٌّ من وقوع العذاب^(٧) .

و - اندلاق الأمعاء في النار: في (الصحيحين)^(٨) عن أسامة بن زيد عن

(١) الحياة في القرآن الكريم (١ / ٢٨٦) .

(٢) تفسير المراغي (٤ / ٩٦) ، .

(٣) المضض : وجع المصيبة ، لسان العرب (٧ / ٢٣٣) .

(٤) التوجس : التسمع إلى الصوت الخفي .

(٥) القصم : كسر الشيء .

(٦) القفار : الظهر .

(٧) الحياة في القرآن الكريم (١ / ٢٨٧) .

(٨) البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩) .

النبي ﷺ قال : « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فتندلق أقتابُهُ في النارِ ، فيدور به كما يدور الحمارُ برحاه ، فتجتمعُ أهلُ النارِ عليه ، فيقولون : يا فلان ، ما شأنُكَ ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وتنهى عن المنكرِ ؟ فيقول : كنتُ أُمِرُكم بالمعروفِ ولا آتِيه ، وأنهاكُم عن المنكرِ وآتِيه . »

ز - حَيَاتُ جَهَنَّمَ : في النار حَيَاتٌ يَعَذِّبُنَ أَهْلَهَا ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم ، كما فسرها بذلك النبي ﷺ ، فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَ مَالِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عُنُقِهِ شُجَاعًا ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا مَصَدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ الْآيَةَ » وقال مرة : قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَصَدَاقَهُ : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ ، « مَنْ اقْطَعَ مَالَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِيَمِينٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ غَضَبَانٌ » ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَصَدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا (٢) أَقْرَعٌ ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يَطْوِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ (يعني شدقيه) ثم يقول : أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ » ثم تلا : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ فِي النَّارِ حَيَاتٌ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ تَلْسَعُ أَحَدَاهُنَّ اللَّسْعَةُ فَيَجِدُ حَمُوتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبَغَالِ الْمَوَكَّفَةِ ، تَلْسَعُ أَحَدَهُمُ اللَّسْعَةُ فَيَجِدُ حَمُوتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً » (٤) .

ح - كثرة أهلها : أهل النار كثيرون ، وقد دل على ذلك كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع وهي :

(١) الترمذي رقم (٣٠١٢) ، حسن صحيح .

(٢) الشجاع : الحية الذكر والأقرع الذي تقرع رأسه .

(٣) البخاري رقم (١٣٣٨) .

(٤) الإحسان رقم (٧٤١٧) وصححه .

الأول: قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] .

والثاني: قول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] .

والثالث: قول تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [٨٤] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ بَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ص: ٨٤-٨٥﴾ .

كما دلت السنة على ذلك ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » ، قالوا : يا رسول الله ، وأين ذلك الواحد ؟ قال : « أبشروا ، فإن منكم رجلاً ، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً ، ثم قال : والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا رُبُع أهل الجنة » فكبرنا ، فقال : « أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبرنا ، فقال : « أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبرنا ، فقال : « ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود »^(١) .

رابعاً: مطالب أهل النار في الآخرة:

مطالب أهل النار في الآخرة هي :

١ - طلب الغداء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [٣٦] يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابُ مُقِيمٍ ﴿[المائدة: ٣٦ - ٣٧] إِنَّ أَقْصَى ما يتصوره الخيال على أساس الافتراض ، هو أن يكون للذين كفروا كل ما في الأرض جميعاً ، ولكن السياق يفترض لهم ما فوق الخيال في عالم الافتراض ،

فيفرضُ أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ، ويصورهم يحاولون الافتداء بهذا ، وذلك لينجوا به من عذاب يوم القيامة ، ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار ، ثم عجزهم عن بلوغ الهدف ، وبقاءهم في العذاب الأليم المقيم ، إنَّه مشهدٌ مجسَّم ذو مناظرٍ وحركاتٍ متوالياتٍ ، منظرُهم ومعهم ما في الأرض ومثله معهم ، ومنظرُهم وهم يعرضونه ليفتدوا به ، ومنظرُهم وهم مخيبي الطلب ، غير مقبولي الرجال ، ومنظرُهم وهم يدخلون النار ، ومنظرُهم وهم يحاولون الخروج منها ، ومنظرُهم وهم يُرغمون على البقاء ، ويسدل الستار ويتركهم مقيمين هناك^(١) .

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨] أي: من مات فلن يقبل الله منه خيراً أبداً ، ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً ، لو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها^(٢) .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية ، ولكنهما لا يُغنيان شيئاً في ذلك اليوم ، الذي لا ريب فيه ، لأنَّه لا خلاف لميعاد الله ، وهم فيه ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ . . . بهذا التعبير الذي يسلبهم كلَّ خصائص الإنسان ومميزاته ، ويصورهم في صورة الحطب والخشب وساء ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ لا بل إنَّ الأموال والأولاد ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيئاً في الدنيا^(٣) .

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: ٤٧ - ٤٨] ، إنَّه الهول الملفوف

(١) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب محمود بخيت ص (١٨) في ظلال

القرآن سيد قطب (٢ / ٨٨٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٢٨٠) .

(٣) في ظلال القرآن (١ / ٣٧٣) ، مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة ، رجب بخيت ص (٢٠) .

في ثنايا التعبير الرهيب ، فلو أَنَّ لهؤلاء الظالمين ، لو أَنَّ لهؤلاء ﴿ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ مما يحرسون عليه ﴿ وَمَثَلُهُ مَعَهُ ﴾ لقدّموه فديةً مما يرون من سوء العذاب يوم القيامة .

وهوْلٌ آخرٌ يتضمّنهُ التعبير الملفوف ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ولا يفصحُ عمّا بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه . لا يفصح عنه ، ولكّنه هكذا هائلٌ مذهلٌ مخيفٌ ، فهو الله الذي يبدو منه لهؤلاء الضعاف ما لا يتوقعون ، هكذا بلا تعريفٍ ولا تحديدٍ ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وهذه كذلك تزيد الموقفَ سوءاً ، حين يتكشفُ لهم قبحُ ما فعلوه ، وحين يحيطُ بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والنذير ، وهم في ذلك الموقف الأليم^(١) .

٢ - طلبُ العودةِ إلى الدنيا لعملِ الصالحات:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَٰ نَارُ وَلَا تُكْذِبُ رَبَّنَا وَلَوْ كُنَّا نَدْرُكُهَا لَكُنَّا نَدْرُكُهَا وَلَوْ كُنَّا نَدْرُكُهَا لَكُنَّا نَدْرُكُهَا ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨] وفي قوله ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨] وفي قوله ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨] إن الله يعلم طبيعتهم ، ويعلم إصرارهم على باطلهم ، ويعلم أنَّ رجفة الموقف الرهيب الرعيب على النار هي التي أنطقت ألسنتهم بهذه الأمانى وهذه الوعود ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ويدعهم السياق في هذا المشهد البائس ، وهذا الردُّ يصفع وجوههم بالمهانة والتكذيب^(٢) .

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣] ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ أي : يوم القيامة ، وما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار^(٣) .

(١) في ظلال القرآن (٥ / ٣٠٥٦) .

(٢) المصدر نفسه (٢ / ١٠٦٧ - ١٠٦٨) .

(٣) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة ص (٣٥) .

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] إِنَّهُ مشهَدُ الاحتقار وإعلان التوبة عند مواجهة الموت ، وطلب الرجعة إلى الحياة ، لتدارك ما فات ، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهلٍ ومالٍ ، وكأنما المشهَد معروضُ اللحظة للأنظار مشهودٌ كالعيان ، فإذا الرُدُّ على هذا الرجاء المتأخر لا يوجَّه إلى صاحب الرجاء ، إنما يعلن على رؤوس الأشهاد ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ كلمة لا معنى لها ، ولا مدلول وراءها ، ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها ، إنها كلمة الموقفِ الرهيبِ ، لا كلمة الإخلاصِ المنيبِ ، كلمة تُقالُ في لحظة الضيق ليس لها في القلب رصيدٌ ، وبها ينتهي مشهَدُ الاحتضار ، وإذا الحواجز قائمة بين قائل هذه الكلمة والدنيا جميعاً ، فلقد قُضيَ الأمرُ ، وانقطعت الصلات ، وأغلقت الأبوابُ ، وأسدلت الأستار ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فلا هم من أهل الدنيا ، ولا هم من أهل الآخرة ، إنما هم في ذلك البرزخ إلى يوم يبعثون^(١) .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٤﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءَ حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ - ١١١] ، وأحسن ما قيل في معنى ﴿ غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ غلبت علينا أهواؤنا ولذاتنا ، فسمي الأهواء واللذات شقوة لأنهما يؤديان إليهما ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ أي : كنا فعلنا هذا ، ضالين عن الهدى ، وليس هذا اعتذاراً منهم إنما هو إقرار ، ويدل على ذلك قولهم : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوا عند الموت ﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ إلى الكفر ﴿ فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ لأنفسنا بالعودة إليه ، فيجانون بعد ألف سنة ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ أي : ابعدوا في جهنم^(٢) .

قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَّلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ

(١) مطالب الظالمين ص (٣٨) في ظلال القرآن (٤ / ٢٤٨٠ - ٢٤٨١) .

(٢) تفسير القرطبي (٦ / ١٠٢ - ١٠٣) ، مطالب الظالمين ص (٤٠) .

زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ [إبراهيم: ٤٤ - ٤٥] أُنْذِرْهُمْ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْمَرْسُومُ أَنْفًا ، فيتوجه الذين ظلموا يومئذ إلى الله بالرجاء يقولون : ﴿ رَبَّنَا ﴾ الْآنَ وَقَدْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِهِ مِنْ قَبْلُ ، ويجعلون له أُنْدَادًا ﴿ أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ وهنا ينقلبُ السياق من الحكاية إلى الخطاب ، كأنهم ماثلون شاخصون يطلبون ، وكأننا في الآخرة قد انطوت الدنيا ، وما كان فيها ، فهاهو ذا الخطابُ يوجّه إليهم من الملاء الأعلى بالتبكيّ والتأنيب والتذكير بما فرط منهم في تلك الحياة ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ فكيف ترون الْآنَ ؟ زلتم يا ترى أم تزولوا ؟ ولقد قلتم قولتكم هذه ، وآثار الغارين شاخصة أمامكم مثلاً ، بارزاً للظالمين مصيرهم المحتوم ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ فكان عجباً أن تروا مساكن الظالمين أمامكم خالية منهم وأنتم فيها خلفاء ، ثم تقسمون مع ذلك ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ﴾ وعند هذا التبكيّ ينتهي المشهد ، ونذكر أين صاروا ، وماذا كان بعد الدعاء وخيبة الأمل ، وإنّ هذا المثل ليتجدّد في الحياة ، ويقع كلّ حين ، فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين سكنوا من قبلهم ، وربّما يكونون قد هلكوا على أيديهم . ثم هم يطغون بعد ذلك ، ويتجبرون ، ويسيرون حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين ، فلا تهزّ وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها ، والتي تتحدّث عن تاريخ الهالكين ، وتصور مصايرهم للناظرين ، ثم يؤخذون أخذة الغابرين ، ويلحقون بهم ، وتخلوا منهم الديار بعد حين^(١) .

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿ [فاطر: ٣٦ - ٣٧] ﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا ﴿ يتصارخون ، يفتعلون الصراخ ، وهو الصياح بجهد وشدة ، ويجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم^(٢) .

(١) في ظلال القرآن (٤ / ٢١١٢) .

(٢) مطالب الظالمين ص (٤٥ - ٤٦) .

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّادِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ ابْنَ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ [الزمر: ٥٥ - ٥٩] في قوله ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: يتحسّر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ، ويودّ لو كان من المؤمنين المخلصين المطيعين لله ^(١) .

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوكَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ [الشورى: ٤٤ - ٤٥] الظالمون كانوا طغاةً بغاةً ، فناسب أن يكون الذلّ مظهرهم البارز في يوم الجزاء ، إنهم يرون العذاب ، فيتهاوى كبرياؤهم ، ويتساءلون في انكسار ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ في هذه الصيغة الموجبة باليأس مع اللهفة والانهيار ، مع التطلع إلى بارقة للخلاص ، وهم يعرضون على النار ﴿خَشِيعَاتٍ﴾ لا من التقوى ولا من الحياء ، ولكن من الدلّ والهوان ، وهم يُعْرَضُونَ منكسي الأبصار ، لا يرفعون أعينهم من الذل والعار ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وهي صورة شاخصة ذليلة ، وفي ظلّ هذا المشهد يوجّه الخطاب إلى المعاندين المكابرين ليستجيبوا لرّبهم قبل أن يفاجئهم مثل هذا المصير ، فلا يجدون لهم ملجأ يقيهم ، ولا نصير ينكر مصيرهم الأليم ^(٢) .

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون: ٩ - ١١] .

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا

(١) المصدر نفسه ص (٤٧) .

(٢) في ظلال القرآن (٥ / ٣١٦٨) .

وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿السجدة: ١٢-١٤﴾ .

٣ - طلب الانتقام من الأولياء: قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ أُخِيضَتْ أَخْبَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارْكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَيْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿الأعراف: ٣٨ - ٣٩﴾ وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا آدَارْكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ وتلاحق آخرهم وأولهم ، واجتمع قاصيهم بدانيهم ، بدأ الخصام والجدال^(١) .

وقال تعالى: ﴿ هَذَا وَابْتَكَ لِلطَّغْيِينَ لَشَرِّ مَتَابِ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنسُ الْهَاهُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٧﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِتْمَهُمْ صَلَافُ النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنسُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿ص: ٥٥-٦١﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩] وفي قوله ﴿الَّذِينَ أَضَلْنَا﴾ أي : الشياطين على ضربين جني وإنسي^(٢) وترى الحق والتحرق على الانتقام في قولهم ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ وذلك بعد المودة والمخادنة والوسوسة والتزيين ، هذه صلة الوسوسة والإغراء^(٣) .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿الأحزاب: ٦٤-٦٨﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) مطالب الظالمين ص (٦٥)

(٢) مطالب الظالمين ص (٧٠) .

(٣) في ظلال القرآن (٥ / ٣١٢٠) .

ءَامَمُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ بَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٦﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَا كَرَةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧] أولئك الذين اتخذوا من دون الله أنداداً ، فظلموا الحق ، وظلموا أنفسهم لو مدّوا أبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد ، لو تطلّعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين ، لو يرون لرأوا ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ فلا شركاء ولا أنداد . . . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ لو يرون إذ تَبَرَّأَ المتبوعون من التابعين ، ورأوا العذاب ، فتقطّعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب ، وانشغل كلٌّ بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً ، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها ، وعجزت عن وقاية أنفسها ، فضلاً عن وقاية تابعيها ، وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة ، وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَا كَرَةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ وتبدّى الحنق والغيط في التابعين المخدوعين من القيادات الضالة ، وتمنّوا لو يردّون لهم الجميل ، لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم ، ثم تبرأت منهم أمام العذاب ، إنه مشهد مؤثّر ، مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين ، بين المحبين والمحبوبين ، وهنا يجيء التعقيب الممضّ المؤلم ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ ^(١) .

٤ - طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء:

قال تعالى: ﴿ وَبَرَّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢١ - ٢٢] وفي قوله

(١) في ظلال القرآن (١ / ١٥٣ ، ١٥٤) .

تعالى: ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ أي : بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ﴾ أي : بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال ^(١) ، وقال القرطبي : فلا أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثي ، والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والمعاونة ، والمصرخ هو المغيث ^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ^(٣) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ ^(٤) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ [القصص: ٦٢ - ٦٤] وفي قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ والله يعلم أنه لا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء ، وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً ، ولا يستطيعون إليهم سبيلاً ، ولكنه الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد ، ومن ثم لا يجيب المسؤولون عن السؤال ، فليس المقصود به هو الجواب ، إنما يحاولون أن يتبرأ من جريمة إغوائهم لمن وراءهم ، وصددهم عن هدي الله ، كما يفعل كبراء قريش مع الناس خلفهم ، فيقولون : ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ ربنا إنما لم نغوهم قسراً ، فما كان لنا من سلطان على قلوبهم ، إنما وقعوا في الغواية عن رضى منهم واختيار ، كما وقعنا نحن في الغواية دون إجبار ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ من جريمة إغوائهم ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ إنما كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقاً من خلقك ، ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة ، ولم يتوجهوا إلينا نحن بالعبادة ، وفي قوله : ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ رأوه في هذا الحوار ، ورأوه مثلاً وراءه ، فليس وراء هذا الموقف إلا العذاب ، وهنا في اللحظة التي يصل فيها المشهد إلى ذروته يعرض عليهم الهدى الذي يرفضونه ، وهو أمنية المتمني في ذلك الموقف المكروب! وهو بين أيديهم في الدنيا ، ولو أنهم إليه يسارعون : ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ

(١) مطالب الظالمين ص (٨٥) .

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٢٣٣ ، ٢٣٤) .

(٣) في ظلال القرآن (٥ / ٢٧٠٦) .

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ [الكهف: ٥٢ - ٥٣] وفي قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ والمعنى : أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ، ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا ، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة ، فلا خلاص لأحد الفريقين إلى الآخر ، بل بينهم مهلكٌ وهولٌ عظيمٌ ، وأمرٌ كبيرٌ ^(١) .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْعَنْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سبا: ٣١ - ٣٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَأُكَةُ أَهْلُؤَلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبا: ٤٠ - ٤٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَيْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧ - ٤٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بَسَاءً لَوْ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٧٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٨٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٨١﴾ فَأَعْوَبْتُمْ كُنَّا غَوِينَ ﴿٨٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٨٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ [الصافات: ٢٧ - ٣٤] وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾

(١) مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة ص (٩٥) .

قال ابن عباس : يقولون : كنتم تقهرونا بالقدرة منكم علينا لأننا كنا أذلاء ، وكنتم أعزاء^(١) .

هـ - طلب الخروج من النار:

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا نُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَٰكِنَّ الْغُلَافَ كَثِيرٌ وَلَا يُصِرُّونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ فَكَنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَ تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ [المؤمنون: ٦٤ - ٦٧] وفي قوله ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ يعني حتى إذا جاء مترفيهم - وهم المنعمون في الدنيا - عذاب الله وبأسه ونقمته بهم : ﴿ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴾ أي : يصرخون ويستغيثون ﴿ فَكَنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴾ أي : إذا دعيتم أبيتم ، وإن طلبتم امتنعتم^(٢) ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَ تَهْجُرُونَ ﴾ قيل مستكبرين بالبيت يقولون: نحن أهلنا سامراً ، وكانوا يتكبرون ويسمرون فيه ، ولا يعمرونه ويهجرونه^(٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَبْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّىٰ لَيَتَىٰ لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] .

وقال تعالى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ بِمَنَاصِرٍ ﴾ [ص: ٣] ومعنى قوله : ﴿ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ بِمَنَاصِرٍ ﴾ نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم وأرادوا التوبة في غير وقتها^(٤) .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرْفَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحَكُمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١١ - ١٢] وفي قوله : ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا ، فإنك قادرٌ على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل ، فإن عُدنا إلى ما كنا فيه فإننا ظالمون ، فأجيبوا إلى أن لا سبيل إلى عودكم

(١) مطالب الظالمين ص (١٠٦) .

(٢) مطالب الظالمين ص (١١٦) .

(٣) المصدر نفسه ص (١١٦) تفسير ابن كثير (٢٥٧ / ٣) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢٦ / ٤) مطالب الظالمين ص (١٢٧) .

ومرجعكم إلى الدار الدنيا ، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه ، بل تمجّه وتنفيه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ فهذا هو الذي يقودكم إلى ذلك الموقف الدليل إيمانكم بالشركاء ، وكفركم بالوحدانية ، فالحكم لله العلي الكبير ، وهما صفتان تناسبان موقف الحكم ، الاستعلاء على كل شيء ، والكبر فوق كل شيء في موقف الفصل الأخير^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠ - ٢١] .

٦ - طلب التخفيف من العذاب:

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [٤٩] قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُّسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٤٩ - ٥٠] .

٧ - طلب القضاء عليهم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّتَخِلِفِينَ ﴾ [٧٤] لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [٧٥] وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ [٧٦] وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ ﴾ [٧٧] لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَاحِقٌ فِي الْهَوَىٰ ﴾ [الزخرف : ٧٤ - ٧٨] .

٨ - طلب سقيا الماء والطعام:

قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمِهِمْ قَالُوا مَا آغَىٰ عَنْكُمُ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤٨] أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [٤٩] وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٥٠] الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِنَا يُجَادُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٨ - ٥١] .

٩ - طلب النور:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِس مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣ - ١٤] إِنَّ المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال ، وفي مهانة وإهمال ، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات ﴿يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِس مِنْ نُورِكُمْ﴾ فحيثما توجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف ، ولكن أتى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور ، وعاشوا حياتهم كلها في الظلام ؟ إِنَّ صوتاً يناديهم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ويبدو أنه صوتٌ للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاقٍ ودسٍّ في الظلام : ارجعوا وراءكم إلى الدنيا ، إلى ما كنتم تعملون ، ارجعوا فالنور يلتمس النور ، وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات ، فهذا يومُ الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة : ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ ويبدو أنه سورٌ يمنع الرؤية ، ولكن لا يمنع الصوتَ فها هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فما بالنار نفترق عنكم ؟ ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد ؟ وقد بعثنا معكم في صعيد واحد؟^(١) ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي : فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ، وتربصتم أي : أخرتم التوبة من وقت إلى وقت ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي : بالبعث بعد الموت . ﴿وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ﴾ أي : قلتم سيغفر لنا وقيل : غرتكم الدنيا ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي : ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت ﴿وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي : الشيطان^(٢) .

خامساً - جملة الجرائم التي تدخل النار!

من الجرائم التي تدخل النار ، الإشراف بالله تعالى ، والتكذيب للرسول ، والكفر ، والحسد ، والكذب ، والخيانة ، والظلم ، والفواحش ، والغدر ، وقطيعة

(١) في ظلال القرآن (٦ / ٣٤٨٦) .

(٢) مطالب الظالمين ص (١٥٩) .

الرحم ، والجبن عن الجهاد ، والبخل ، واختلاف السر والعلانية ، والياس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والجزع عند المصائب ، الفخر والبطر عند النعم ، وترك فرائض الله ، والاعتداء على حدوده ، وانتهاك حرمانه ، وخوف المخلوق دون الخالق ، والعمل رياء وسمعة ، ومخالفة الكتاب والسنة في أي اعتقاد وعمل ، وطاعة المخلوق في معصية الخالق ، والتعصب للباطل ، واستهزاء بآيات الله ، وجحد الحق ، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة ، والسحر ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، والربا ، والفراش من الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ^(١) .

سادساً : أكبر جرائم المخلدين في النار :

إن الذي يتدبر القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله عز وجل قد ذكر أسباب جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النار من أهمها :

١ - الكفر والشرك: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦] .

٢ - طاعة قرناء السوء: قال تعالى: ﴿ وَفِضَّنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ [٢٥] وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿ [فصلت: ٢٥-٢٨] .

٣ - النفاق: قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨] وقال تعالى: ﴿ وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوَاءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦] .

٤ - الكبر: قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٦] .

(١) اليوم الآخر ، الجنة والنار للأشقر ص (٥٧ - ٥٨) .

فِيهَا فَيَسَّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ [الزمر: ٧٢] وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ اَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَيَسَّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ [غافر: ٧٥-٧٦] .

٥ - عدم القيام بالتكاليف الشرعية : مع التكذيب بيوم الدين ، وترك الالتزام بالضوابط الشرعية ، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَسْأَلُونَ أَهْلَ النَّارِ قَائِلِينَ ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ [المدثر: ٤٢] . فيجيبون قائلين: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَافِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَقِّ أَتَنَّا الْيَقِينَ ﴾ [المدثر: ٤٣-٤٧] ^(١) .

سابعاً : أشخاص بأعينهم في النار :

ذكر الله تعالى بعض الأشخاص بأعينهم ، وبيّن أنهم من أهل النار ، ونحن - كمسلمين - لا نشهد لأحد بعينه أنه من أهل النار إلا مَنْ شهد الله ورسوله ﷺ له بذلك ^(٢) ومن هؤلاء :

١ - إبليس: والآيات في ذلك كثيرة، ودخوله النار معلوم من الدين وبالضرورة، بل معلوم في جميع الأديان ، كمثل قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦-١٧] وقال تعالى لإبليس: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٤-٨٥] .

٢ - قابيل: وأما ابن آدم (قابيل) فقد قال رسول الله ﷺ : « لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلماً إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » ^(٣) .

٣ - فرعون وجنوده: قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْفَيْكَةِ وَيَوْمَ الْفَيْكَةِ لَا يُصْرَبُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفَيْكَةِ هُمْ مِنَ الْفَيْكَةِ ﴾

(١) الحياة في القرآن الكريم ، المحزون (١ / ٢٦٩) اليوم الآخر ، الجنة والنار للأشقر ص (٥٥) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٤٦٦) .

(٣) البخاري (٣٣٣٥) .

الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤١﴾ [الفصص: ٤١-٤٢] وقال تعالى: ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِإِثْمِهِمْ فِرْعَوْنُ سَوْءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] .

٤ - قارون وهامان: قال تعالى: ﴿وَقَرْنُوا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩-٤٠] وقال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الفصص: ٨١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَرْنُوا فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٣-٢٥] ، فسمّاهم الله تعالى كافرين ^(١) .

٥ - امرأة نوح وامرأة لوط: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] .

٦ - كفرة الجن في النار: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٨٠﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٨١﴾﴾ [الجن: ١٨٠-١٨١] .

٧ - أحد أبناء نوح: قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يُبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١] قَالَ سَوَّيْتُ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢-٤٣] .

٨ - قوم نوح: قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٣٦] وَأَصْنَعِ الْفُلَ بَأْعَيْنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿ هود: ٣٦-٣٧ .

٩ - قوم عاد: قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ﴿ هود: ٥٩-٦٠ .

١٠ - قوم ثمود: قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِثَمُودٍ ﴿ هود: ٦٧-٦٨ ﴾ فحكم الله عليهم بالكفر ، وقد قدمنا أنَّ أصحاب الخلود في النار هم الكفار والمشركون^(١) .

١١ - قوم لوط: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿ هود: ٨٢ ﴾ - ٨٣ .

١٢ - قوم شعيب: قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بَعْدًا لِّمَنِ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿ هود: ٩٤-٩٥ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٨٩] وتكذيب الرسل من أنواع الكفر^(٢) .

١٣ - بنو النضير من اليهود: قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَائَةَ لَعَذَّبْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ [الحشر: ٣] وقد نزلت هذه الآية في يهود بني النضير لما خانوا الرسول ﷺ ، وأرادوا قتله بإلقاء حجر عليه ، ولكن الله تعالى عصمه منهم ، فحاصرهم النبي ﷺ وأجلاهم^(٣) ، وهذا الحكم ليس خاصاً بيهود بني النضير ، بل كلُّ مَنْ سمع بدعوة النبي ﷺ من اليهود والنصارى ولم يُسلم فهو

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٤٧٢) .

(٢) المصدر نفسه ص (٤٧٣) .

(٣) الرحيق المختوم للمباركفوري ص (٢٩٣) .

في النار^(١) ، قال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار »^(٢) .

١٤ - أبو لهب وامرأته : قال تعالى في سورة المسد : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ ۝١٤ ﴾

١٥ - الوليد بن المغيرة: وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۚ وَجَعَلْتُ لَمْ مَالًا مَّمدودًا ۚ وَبَيْنَ شُهُودًا ۚ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهيدًا ۚ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۚ ۝١٥ ﴾ كَلَّا ۚ إِنَّكَ كَانَ لِأَيْنِنَا عَمِيدًا ۚ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ۚ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۚ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۚ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۚ ثُمَّ نَظَرَ ۚ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۚ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۚ فَفَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۚ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۚ ۝٢٥ ﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۚ [المدثر : ١١ - ٢٦] جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ ، فقرأ عليه القرآن ، فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قيله ، قال : قد علمت قريش أني أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرو له ، أو أنك كاره له ، قال : ماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا برجز ولا بقصيدة مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يُشبهه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر ، فلمّا فكر ، قال : هذا سحر يؤثر ، يأتريه عن غيره ، فنزلت ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۚ ۝٣٠ ﴾ .

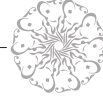
* * *

(١) اليوم الآخر ، الجنة والنار ص (٤٧٣) .

(٢) مسلم رقم (١٥٣) .

(٣) الحاكم (٢ / ٥٠٦) والبيهقي في الدلائل (٢ / ١٩٨) ومن أراد التوسع لمعرفة الأشخاص الذين بأعيانهم في النار فليرجع إلى كتاب (أهل النار) ليوسف الحاج أحمد ص (١٤٥ - ٢٦٩) .

المبحث الثالث



موانع إنفاذ الوعيد

تحدّث العلماء عن أسباب سقوط العذاب في الآخرة ، وذكروها في موانع إنفاذ الوعيد ، والتي منها :

أولاً- التوبة :

التوبة مانعٌ من إنفاذ وعيد جميع الذنوب ، ودليل ذلك الكتاب والسنة والإجماع .

أما الدليل من كتاب الله تعالى فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] أي لمن تاب^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٨] فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨-٣٩] .

أما الدليل من السنة فقد جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »^(٢) . وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ »^(٣) .

وأما الإجماع : فقد اتفق العلماء على أَنَّ التوبة من الكفر مقبولة ما لم يوقن

(١) تفسير الطبري (٢٤ / ١٧) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٨) .

(٢) مسلم (٢٧٥٩) .

(٣) الترمذي (٣٥٣٧) ابن ماجه (٤٢٥٣) .

الإنسان بالموت بالمعايينة ، ومن الزنا ، ومن فعل فعلة قوم لوط ، ومن شرب الخمر ، ومن كل معصية بين المرء وربّه تعالى ، ممّا لا يحتاجُ في التوبة إلى دفع مال ، ومما ليس مظلمة للإنسان^(١) . فالتوبة مانعٌ شاملٌ ، يمنعُ إنفاذَ وعيدِ جميع الذنوب ، كالكفر وما دونه ، وهذا الشمولُ مختصٌّ بهذا المانع^(٢) . فالتوبة تمحو جميع السيئات ، وليس شيءٌ يغفرُ جميع الذنوب إلا التوبة^(٣) .

ثانياً: الاستغفار :

دلّت النصوصُ الشرعيةُ على أنّ الاستغفارَ مانعٌ من إنفاذِ الوعيد ، ومن هذه النصوص :

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٣٥-١٣٦] وقاله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ إِن كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١] وقاله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : يَارَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا ، فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، فَاغْفِرْهُ .

ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصابَ ذنباً آخر ، وربما قال : ثم أذنبَ ذنباً آخر ،

(١) موانع إنفاذ الوعيد د . عيسى السعدي ص (٤١) .

(٢) المصدر نفسه ص (٤١) .

(٣) منهاج السنة (٣ / ١٨٠) .

فقال : ياربِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْباً آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي ، فقال رَبُّهُ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، فغفرله ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أَصَابَ ذَنْباً آخَرَ ، قال أَذْنَبْتُ ذَنْباً آخَرَ ، فقال : ياربِّ أَذْنَبْتُ ذَنْباً فَاغْفِرْهُ لِي ، فقال ربه : علم عبدي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ ، فقال رَبُّهُ : غفرتُ لعبدي ، فليعمل ما شاء ^(١) . وقال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » ^(٢) .

فدلَّت هذه النصوصُ الْمُحْكَمَةُ على أَنَّ الاستغفارَ مانعٌ من إنفاذِ الوعيدِ ^(٣) .

ثالثاً: الحسنات الماحية :

دلَّت نصوصٌ شرعيةٌ كثيرةٌ على أَنَّ الحسناتِ يمكنُ أن تمنعَ إنفاذَ وعيدِ السيئاتِ ، والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ منها : قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » ^(٤) .

وعن عبادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه ، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَدَقَ قَلْبُهُ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ » ^(٥) .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ » ^(٦) .

وقال رسولُ الله ﷺ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ

(١) البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) .

(٢) مسلم (٢٧٤٩) .

(٣) موانع إنفاذ الوعيد ص (٥٦) .

(٤) الترمذي (١٩٨٨) وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨) .

(٦) مسلم (٢٤٥) .

خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هل يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قالوا : لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قال :
فكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا » (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ
كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (٣) .

رابعاً - دعاء المؤمنين:

النصوصُ الشرعيةُ التي دَلَّتْ على مشروعية الدعاء للمؤمنين بالمغفرة
والرحمة تدلُّ قطعاً على انتفاع المدعو بدعاء إخوانه المؤمنين ، ومن أهم مظاهر
انتفاعه عدمُ إنفاذِ الله وعيده بسببِ دعاء المؤمنين واستغفارهم ، ولا شك أنَّ الدعاء
بالمغفرة والرحمة لا يمكنُ أن يمنعَ إنفاذَ وعيدِ المدعو له إذا لقي الله متلبساً بمكفرٍ ،
كالشرك الأكبر والنفاق الأكبر ، لأنَّ الله أخبرَ في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨] .

كما أنَّ النصوصَ الشرعيةَ دَلَّتْ على تحريم الاستغفار المطلق والمقيد بفعلٍ
معين كمن لقي الله كافراً ، فقد دَلَّ على تحريم الاستغفار المطلق قوله تعالى : ﴿ مَا
كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا
بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] والمقصودُ من هذا كله أنَّ تحريم
الاستغفار بمختلفِ صورهِ لَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ كَافِراً ، يدلُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَلَى أَنَّ طَلَبَ
المغفرة وما في معناها لا أثر له البتَّة في إسقاطِ وعيده ، كما أنَّ الدعاء من حيث هو
لا يترتبُ عليه أثره إلا إذا تحققت شروطه ، وانتفت موانعه ، ومن شروطه أن يكون
المطلوب جائز الطلب شرعاً ، ومن موانعه الاعتداء في الدعاء ، وحينئذٍ فطلب

(١) البخاري (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧) .

(٢) البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٥٩) .

(٣) البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠) .

المغفرة وما في معناها لمن لقي الله كافراً لا يمكن أن يترتب عليه أثره ، لتخلف شرطه ، ووجود مانعه^(١) .

وأما الأدلة الشرعية على مشروعية الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة فمنها: قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ٩١] وقوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] .

وقال رسول الله ﷺ: « قَدْ تُوْفِّي الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ فَهَلُمَّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ ، فيقومُ على جنازته أربعون رجلاً لا يُشْرِكُونَ بالله شيئاً إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ »^(٣) ، والشفاعة للميت - أي الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة - هي المقصود من هذه الصلاة أصالةً ، ولذلك أمر النبي ﷺ في صلاة الجنازة بإخلاص الدعاء للميت ، فقد قال رسول الله ﷺ: « إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَاخْلُصُوا لَهُ الدُّعَاءَ »^(٤) ، ومن دعاء النبي ﷺ في صلاة الجنازة ، قوله ﷺ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَأَعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ ، وَاعْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِزَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ »^(٥) .

وقال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَقَالَ : أَخْرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ »^(٦) .

(١) موانع إنفاذ الوعيد ص (١٠٠) .

(٢) البخاري (١٣٢٠) ومسلم (٩٥٢) .

(٣) مسلم (٩٤٨) .

(٤) أبو داود (٣١٩٩) .

(٥) مسلم (٩٦٣) .

(٦) مجمع الزوائد للهيتمي (٢١١ / ١٠) . رواه البزار ، إسناده جيد .

فلاستغفار للمؤمنين وما في معناه ، إنما يَمْنَعُ إنفاذ الوعيد ظناً لا قطعاً ، لأنه دعاء ، والدعاء : قد يستجاب وقد لا يُستجاب ، إما لتخلف شرط ، وإما لوجود مانع ، وإما لحكمة إلهية لا نعلمها ، ولكن جانب الإجابة أرجح لقوة دلالة النصوص ، والعمل بالراجح مطلوب شرعاً ، فينبغي الحرص على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة ، والاجتهاد في ذلك ، فقد يُعْتَقُ الله بدعائه كثيراً من أهل البلاء والمحنة في البرزخ أو في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴾ [النساء : ٨٥] ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً : « اشْفَعُوا تُوجَرُوا »^(١) والشفاعة الحسنة تشمل الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم ، والدعاء لهم بخيري الدنيا والآخرة وغير ذلك ، فَمَنْ شَفَعَ لِيَنْفَعْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْأَجْرِ ، وَمَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ أَمَّنَ الْمَلَكُ عَلَى دَعَائِهِ ، وقال : « ولك بمثل »^(٢) .

خامساً - إهداء القربات :

دلَّت النصوص الشرعية على أنَّ الجزاء ثواباً أو عقاباً إنما يترتب على عمل الإنسان ، وعلى ما هو من آثار عمله . قال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس : ١٢] أي نكتب أعمالهم التي باثروها بأنفسهم وآثارهم التي آثروها من بعدهم ، فنجزهم على ذلك ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عمله بها مِنْ بَعْدِهِ ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عمل بها ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ

(١) البخاري (١٤٣٢) ومسلم (٢٦٢٧) .

(٢) مسلم (٢٧٣٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٦٥) .

شيء»^(١) . وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً »^(٢) . وقال رسول الله ﷺ : « لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ »^(٣) ، وقال رسول الله ﷺ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »^(٤) .

وأما عمل الآخرين ، وما نشأ عنه من آثار ، فإن مقتضى دلالة هذه النصوص عدم مؤاخذه الإنسان إن كان شراً ، وعدم استحقاق ثوابه إن كان خيراً ، وقد نصَّ على هذا المعنى صراحةً قوله سبحانه : ﴿ لَا نُزِرُ وَزْرَهُ وَنُزِرُ آخَرَهُ ﴾^(٥) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى [النجم: ٣٨ - ٣٩] وهذه الآية الكريمة لا تعني أنَّ الإنسان لا ينتفع بعمل غيره ، وإنما تعني أنَّ الإنسان لا يستحقُّ عمل غيره^(٥) ، فظاهر الآية أنَّ الإنسان ليس له إلا سعيه ، وهذا حقٌّ ، فإنه لا يملك ولا يستحقُّ إلا سعي نفسه ، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقُّه ، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به ، كما أنَّه دائماً يرحم عباده بأسبابٍ خارجةٍ عن مقدورهم^(٦) .

وقد دلَّت النصوص الشرعية على مُطلق الانتفاع بعمل الآخرين ، ومن ذلك ما رواه البخاري^(٧) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه ، توفيت أمه ، وهو غائب عنها ، فقال : يا رسول الله ، إنَّ أُمِّي توفيت ، وأنا غائب عنها ، فهل ينفعها شيءٌ إنَّ تصدَّقتُ به عنها؟ قال «نعم» قال : «فإنني أشهدك أنَّ حائطي المخرف^(٨) صدقةٌ عليها» . ومعنى نفع الميت بالصدقة عنه ، تنزيله منزلة

(١) مسلم (١٠١٧) .

(٢) مسلم (٢٦٧٤) .

(٣) البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧) .

(٤) مسلم (١٦٣١) .

(٥) موانع إنفاذ الوعيد ص (١١٣) .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧ / ٤٩٩) .

(٧) البخاري (٢٧٦٢) .

(٨) المخرف : المكان المثمر : والحائط : البستان .

المتصدق ، بحيث تقع الصدقة نفسها عن الميت ، ويُكْتَبُ له ثوابها^(١) .

وهناك نصوصٌ شرعية تدلُّ على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاط هذه الحقوق إجمالاً وتفصيلاً .

أما الدليل الإجمالي فما رواه البخاري^(٢) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ امرأةً من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحْجَّ ، فلم تَحْجَّ حتَّى ماتت ، أفأحجُّ عنها ؟ قال : « نعم ، حُجِّي عنها ، أَرَأَيْتِ لو كان على أُمِّكَ دينٌ أَكُنْتَ قاضِيته ؟ أَفَضُّوا اللهَ فَاللهُ أَحقُّ بالوفاء » ، والحديث وإن وردَ على سبب خاص ، وهو الحجُّ إلا أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على المعتمد من أقوال أهل العلم ، ولذلك قال ابن حجر : ويلتحق بالحجِّ كلُّ حقٍّ ثبت في ذمته ، من كفارة أو نذر أو زكاة أو غير ذلك^(٣) .

وأما الأدلة التفصيلية فمنها ما روته عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ ماتَ وعليه صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ »^(٤) ، وعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : استفتى سعدُ بنُ عبادَةَ رسول الله ﷺ في نذرٍ كان على أُمِّه ، توفيت قبل أن تقضيه ، قال رسول الله ﷺ : « فاقضه عنها »^(٥) . وعن بُريدة رضي الله عنه ، قال : بينما أنا جالسٌ عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأةٌ فقالت : إِنِّي تصدقتُ على أُمِّي بـجارية ، وإنَّها ماتت ، قال : فقال : « وَجَبَ أَجْرُكَ ، ورَدَّها عليك الميراثُ » قالت : يا رسول الله ، إنه كان عليها صومٌ شهرٍ فأصومُ عنها ؟ قال : « صومي عنها » قالت : إنَّها لم تحجَّ قط ، أفأحجُّ عنها ؟ قال : « حُجِّي عنها »^(٦) .

أمَّا الحقوق التي للناس كالدين ، فقد دلَّ على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاطها النصُّ والإجماع . أمَّا النصُّ فما رواه البخاري^(٧) بسنده عن سلمة بن

(١) نهاية المحتاج للرملي (٩٢ / ٦) .

(٢) البخاري (١٨٥٢) .

(٣) فتح الباري (٦٦ / ٤) .

(٤) البخاري (١٩٥٢) ومسلم (١١٤٧) .

(٥) مسلم (١٢٦٠) .

(٦) مسلم (١١٤٩) .

(٧) البخاري (٢٢٩٥) .

الأكوع ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِجَنَازَةٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : « هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ ؟ » قالوا : لا ، فَصَلَّى عَلَيْهِ . ثُمَّ أَتَى بِجَنَازَةٍ أُخْرَى فَقَالَ : « هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ ؟ » قالوا : نعم ، قَالَ : « صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ » . قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : عَلَيَّ دِينُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ .

وأجمع المسلمون على أَنَّ قضاءَ الدَّيْنِ يسقطُهُ من ذمَّةِ المَيِّتِ ، ولو كان من أجنبي ، أو مِنْ غيرِ تركته . . . وأجمعوا على أَنَّ الحَيَّ إذا كان له في ذمَّةِ المَيِّتِ حَقٌّ من الحقوقِ ، فأحلَّه منه أَنَّهُ يَنْفَعُهُ وَيُبرِّأُ مِنْهُ ، كما يسقط من ذمَّةِ الحَيِّ ^(١) ، ومن كلِّ ما سبق يَتَبَيَّنُ أَنَّ النصوصَ الشرعيةَ دلَّتْ على جوازِ إهداءِ القُرْبَاتِ في الجملة ^(٢) ، وَأَنَّ المَيِّتَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَفَعَ بِكُلِّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ قُرْبَاتٍ عدا القُرْبَاتِ التي يَتَعَيَّنُ أَنْ يَفْعَلَهَا الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ ، كالإيمانِ والتوبةِ ^(٣) .

سادساً- الشفاعة في أهل الكبائر:

الشفاعةُ المقبولةُ يُمْكِنُ أَنْ تَمْنَعَ إِنْفَازَ وَعِيدِ الْمُعَيَّنِ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ ظَنًّا لَا قِطْعًا ، والشفاعةُ المقبولةُ هي التي انتظمت فيها شروطُ القَبُولِ ، وهي ثلاثة : إِذْنُ اللَّهِ فِي الشَّفَاعَةِ ، ودليله قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ورضاه عن الشافع ، ودليله قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] أي إِلَّا شَفَاعَةً مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ^(٤) ، ورضاه عن المشفوع له ، ودليله قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأهلُ رضا الله هم أهلُ التوحيدِ ، ولو كانوا أهلُ كبائر ^(٥) . وقد دلَّ على هذه الشروط مجتمعةً قوله تعالى : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] أي الشافع والمشفوع له ^(٦) .

(١) كتاب الروح لابن القيم ص ١٦٥ .

(٢) موانع إنفاذ الوعيد ص ١١٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٩ .

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٣٨٧) .

(٥) المصدر نفسه (٣ / ٤٠٦) .

(٦) تفسير السعدي (١٩١ / ٥) وقد تقدم الحديث عنها المبحث الثالث (الشفاعة) الفقرة

(رابعاً) ص (١٤٣) .

سابعاً- المصائب المكفرة :

المصائب اسمٌ جامعٌ للآلام التي تلحقُ الإنسانَ نفسيةً كانتْ أو عضويةً ، وهذه الآلام إما أن تكونَ قدريةً ، وإما أن تكونَ شرعيةً .

أمّا الآلامُ القدريةُ فتتقسّمُ باعتبارِ المكانِ الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: آلام دنيوية : كنقص الأموال والأَنْفُسِ والثمراتِ .

القسم الثاني: آلام برزخية ، وهي ما تكونُ في القبر من الفتنة والضغطة والروعة .

القسم الثالث: آلام أخروية ، وهي ما تكونُ في عَرَصاتِ القيامة من الأهوال والكُرْبَاتِ والشدائد^(١) .

وقد دلَّتِ النصوص الشرعية بعمومها على أنَّ هذه الآلام مما يكفرُ الله به الخطايا ، ومن هذه الأدلة : ما قاله رسولُ الله ﷺ : « ما مِنْ مصيبةٍ تصيبُ المسلمَ إلّا كَفَرَ اللهُ بها عنه ، حتّى الشوكة يُشاكُّها »^(٢) وقال رسول الله ﷺ : « ما يصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ^(٣) ، ولا وَصَبٍ^(٤) ، ولا هَمٍّ ، ولا حَزَنٍ ، ولا غَمٍّ ، حتّى الشوكة يشاكُّها إلّا كَفَرَ اللهُ بها من خطاياهُ »^(٥) وقال رسول الله ﷺ : « ما مِنْ مُسْلِمٍ يصيبُهُ أذىٌ ، مرضٌ فما سواه ، إلّا حَطَّ اللهُ به سيئاتِهِ كما تحطُّ الشجرةُ ورقها »^(٦) ، وقال رسول الله ﷺ : « لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولدِ فتمسه النارُ إلّا تحلَّه القَسَمُ »^(٧) .

وقد ذهبَ الجمهورُ من أهل العلم إلى أنَّ نفسَ المصائبِ مكفّراتٌ ومثباتٌ ،

(١) موانع إنفاذ الوعيد ص (١٦٠) .

(٢) البخاري رقم (٥٦٤٠) ومسلم رقم (٢٥٧٢) .

(٣) نصب : تعب .

(٤) وصب : هو المرض .

(٥) البخاري رقم (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ومسلم رقم (٢٥٧٣) .

(٦) البخاري رقم (٥٦٦٠) ومسلم رقم (٢٥٧١) .

(٧) البخاري رقم (١٢٥١) ومسلم رقم (٢٦٣٢) .

واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠] فرتب الله سبحانه الأجر على جملة أمور ، منها ما هو من المصائب ، كالنَّصَب ، فدل ذلك على أن الإنسان يؤجر على المصائب نفسها^(١) ، وقال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يشاك شوكاً فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ، ومُحِيت عنه بها خطيئة »^(٢) .

إن ما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الآلام التي هي عذاب ، فإن ذلك مما يكفر به خطاياها^(٣) .

وأما الآلام الشرعية فهي الحدود والتعزيرات ، لأنها زواجر وجوابر معاً .

أما إنها زواجر عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات ، فالأمر فيها ظاهر ، ولذا قال الله تعالى في الزانية والزاني : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢] وذلك للتغليظ في زجرهما عن المعادة ، ولزجر الناس عن فعلهما .

وأما إنها جوابر بمعنى أن مجرّد فعلها مكفر لذنب المعاقب دون حاجة إلى مكفر آخر ، فدليله ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في مجلس ، فقال : « تباعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فمن وقى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به ، فهو كفارة له ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه ، فأمره إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء

(١) موانع إنفاذ الوعيد ص (١٥٧) .

(٢) مسلم رقم (٢٥٧٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٧٥) .

عَذَّبَهُ»^(١) ، فدلَّ الحديثُ على أنَّ العقابَ مكفَّرٌ للذنبِ بمجرد فعله ، وهذا يعمُّ العقوباتَ الشرعيةَ المقدَّرة وهي الحدودُ ، وغير المقدَّرة وهي التعزيرات^(٢) .

ثامناً- العفو الإلهي:

دلَّت النصوصُ الشرعيةُ المتواترة دِلالةً قطعيةً على أنَّ الله تعالى عَفُوٌّ غَفُورٌ ، يتجاوزُ عما يستحقُّه المذنبون من العقاب ، منها قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣] ، وهذه النصوصُ ، وما في معناها تدلُّ قطعاً على أنَّ العفو الإلهي من موانع إنفاذ الوعيد^(٣) .

ولكن لا يمكنُ أن يمنعَ إنفاذُ وعيدِ الكفرِ قطعاً ، ودليلُ هذا الأصلُ القرآنُ والسنةُ :

فالقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] .

وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ: « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ »^(٤) . ولا خلاف بين المسلمين أنَّ المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة^(٥) .

والعفو الإلهي يمكنُ أن يمنعَ إنفاذَ وعيدِ أهل الكبائر ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) البخاري (٤٨٩٤) ومسلم (١٧٠٩) .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (١٦١) .

(٣) موانع إنفاذ الوعيد ص (١٧٥) .

(٤) البخاري رقم (١٢٣٨) ومسلم (٩٢) .

(٥) فتح القدير (١ / ٤٧٥) موانع إنفاذ الوعيد ص (١٧٦) .

لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨] أبانت هذه الآية أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ فِي مَشِئَةِ اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ ، مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَتُهُ شُرْكَاً بِاللَّهِ ^(١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُدْنِيُ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ » ^(٢) ، فيقرّره بذنوبه ، فيقول : هل تَعْرِفُ؟ فيقول : أَيْ رَبِّي أَعْرِفُ ، قال : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ » ^(٣) ، وعن أنس رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » ^(٤) .

* * *

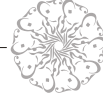
(١) تفسير الطبري (٥ / ١٢٦) .

(٢) كنفه: ستره .

(٣) البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨) .

(٤) جامع الترمذي (٣٥٤٠) إسناده حسن .

المبحث الرابع



الجنة

أولاً - الطريق إلى الجنة:

إنَّ بداية الطريق إلى الجنة هو أن نتذكَّر الغاية التي خلقنا الله تعالى لأجلها ، حيث قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿ [الذاريات : ٥٦ - ٥٧] . ومعنى الآية أَنَّهُ تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده ، لا شريك له ، فَمَنْ أطاعه جازاه أتمَّ الجزاء ، ومن عصاه عذَّبه أشدَّ العذاب ، وأخبر أَنَّهُ غَيْرُ محتاج إليهم ، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم ، وفي الحديث القدسي : « يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى ، وَأَسَدُّ فِقْرَكَ ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا ، وَلَمْ أَسَدِّ فِقْرَكَ » (١) . فالله عز وجل ما خلق العباد إلا لغاية واحدة ، وهي أن يعبدوه سبحانه ، وهذا يقتضي أن يحرص العبد أن تكون كل أعماله بل كل حياته عبادة لله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٦) لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣] .

والعبادة الشاملة المطلوبة هي ألا تتقدَّم بين يدي الله ورسوله ﷺ بقول أو فعل تفعله من عند نفسك ، قبل أن تعلم حكم الله وحكم الرسول ﷺ فيه ، قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١] فمن العبادة المتابعة التامة لكل ما جاء عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال ، مع

الإخلاص في ذلك لله رب العالمين^(١) . فالمتابعة التامة للنبي ﷺ هي الكفيلة بتحقيق منزلة العبودية التامة لله رب العالمين ، مع الوفاء بحاجتنا البشرية على أكمل وجه ممكن^(٢) .

ولابدّ لدخول الجنة من عملٍ ، فالعملُ ركنٌ من أركان الإيمان ، وقد نصَّ الله تعالى في مواضع كثيرة أنَّ العملَ سببٌ لدخول الجنان ، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَتُودُّوْنَ أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

والقرآن يذكر كثيراً أنَّ أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات ، فالإيمانُ هو ما في القلب ، والعملُ الصالحُ هو ما ظهرَ على الجوارح ، فهو جمعٌ بين العقيدة والشرعية ، أو الإيمان والإسلام ، أو عمل الباطن (القلب) وعمل الظاهر (الجوارح) ، فلا يكفي أحدهما عن الآخر ، فمن آمن ولم يعمل فهو كاذبٌ في إيمانه ، إذ لو آمنَ حقاً لظهر على جوارحه أثرُ الإيمان بالأعمال الصالحة ، ومن عمل الصالحات من غير إيمانٍ فإنها لا تنفعه ، إذ شرط قبول الأعمال تقدم الإيمان ، كما في حديث عائشة قالت : قلتُ يا رسول الله ابنُ جدعان كان في الجاهلية يصلُّ رحمه ، ويطعمُ المسكينَ ، فهل ذلك نافعُهُ ؟ قال : « لا ينفعُهُ ، إنَّه لم يقلِّ يوماً ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين »^(٣) ، وعن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يَعْطِيهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيَجْزِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمَلَ بِهِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يَجْزِي بِهَا »^(٤) .

إذن لابدّ للجنة من إيمانٍ وعملٍ صالح ، فمن كان عنده هذان الشرطان استحقَّ - بعدَ رحمة الله - الجنة^(٥) ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) موسوعة الدار الآخرة ، د . عبد الحميد هندواي ص (٤٩٤) .

(٢) المصدر السابق ص (٤٩٤) .

(٣) مسلم رقم (٢١٤) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٠٨) .

(٥) اليوم الآخر د . المطيري ص (٥٣٧) .

وقد فصل لنا الله تعالى بعض أنواع الأعمال الصالحة ، فمن ذلك :

٨ - إقام الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِم بِمَا صَبَرُوا فَيَعْمَىٰ الْعُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤] .

٩ - التوكل على الله: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[العنكبوت: ٥٨-٥٩] .

١٠ - قيام الليل: قال تعالى: ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: ١٦-١٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (١٩) ءَاخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا لَأَسْخَرُوا هُمْ بِسَعْفَرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿[الذاريات: ١٥-١٩] .

١١ - خوف الله: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿[النازعات: ٤٠-٤١] .

وهذه بعض الآيات التي جمعت الكثير من الأعمال الصالحة^(١) .

من سورة المؤمنون: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَن ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١-١٠] .

من سورة الفرقان: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ

(١) اليوم الآخر ، المطيري ص (٥٣٧ - ٥٤٠) .

وعموماً فكل طاعة لله ورسوله ﷺ هي من الأعمال الصالحة ، وهي سبب لدخول الجنة ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧] ، وهذا في القرآن كثير ، ومداره على ثلاث قواعد : إيمان ، وتقوى ، وعمل خالص لله على موافقة السنة ، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البُشرى دون من عداهم من سائر الخلق ، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة ، وجميعها تجتمع في أصليين : إخلاص في الطاعة ، وإحسان إلى الخلق .

وضدّها يجتمع في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦-٧] .

وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الربّ تبارك وتعالى في محابه ، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ .

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل ، فهي بضْع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، أدناها إمطة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشُعبتين سائر الشُعَب التي مرجعها تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر ، وطاعته في جميع ما أمر استحباباً وإيجاباً^(١) .

وأما الأعمال التي هي سبب لدخول الجنة الواردة في السنة ، فالأحاديث فيها أكثر من أن تحصر^(٢) .

ثانياً - هل الجنة ثمناً للعمل:

لاشكَّ أنَّ الأعمال سبب لدخول الجنة ، ولكنَّ الجنة أعظم من أعمالنا ، ولا يمكن لأعمالنا أن تدرك بذاتها الجنة ، لذلك فإنَّ الله برحمته يُدخل المؤمنين

(١) حادي الأرواح لابن القيم ص (٤٤٤) .

(٢) انظر : موجبات الجنة ، لمعمر عبد الوهاب الأصبهاني ، وتمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة ، للأدريسي .

الجَنَّةَ ، ويجعلها من نصيبهم ، مع تقصيرهم في العمل لها ، وكيف لهم أن يدركوا هذا الفضل وأصل هدايتهم إلى العمل الصالح من الله ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٣٤] .

ثم إن الله تعالى يكرمهم ويجازيهم على هذه الهداية ، التي أعطاهم إيّاها بجزاء عظيم جداً وهي الجنة ، فكيف يمكن لأعمالهم أن تدرك هذا الجزاء الذي الفضل فيه لله أولاً وآخر^(١)؟ وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمة من فضله»^(٢)، وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول ، قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله»^(٣)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»^(٤). وعن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، ولا يجيرُهُ من النار ، ولا أنا ؛ إلا برحمة من الله»^(٥) وهو حديث متواتر^(٦) .

وأما قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] فلا تعارض بينها وبين الحديث ، لأن الآية تدلُّ على أن العمل سببٌ ، والحديث يدلُّ على أن الأعمال ليست ثمناً للجنة ولا بدٌّ من رحمة الله تعالى حتى يبلغوا هذا العطاء العظيم^(٧) .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٤٢) .

(٢) البخاري رقم (٥٣٤٩) .

(٣) البخاري رقم (٦٤٦٤) و (٦٤٦٧) .

(٤) البخاري رقم (٢٨١٨) ومسلم (٢٨١٨) .

(٥) مسلم رقم (٢٨١٧) .

(٦) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص (٢٠١) .

(٧) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٤٣) .

ثالثاً - أول وآخر من يدخل الجنة :

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٦﴾﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٧﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٢] السابقون هم المبادرون إلى فعل الخيرات ، فالسابقون إليها في الحياة الدنيا هم السابقون إلى الجنة في الحياة الآخرة ، ثم يلي السابقين أصحاب اليمين الأبرار ، الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ، منزلتهم دون المقربين ، فهم أقل درجة في النعيم من السابقين^(١) ، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٣٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٣٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٤١﴾ وَفَكَهْفٍ عَنِينٍ ﴿٤٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٤٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً ﴿٤٥﴾ فَجَعَلْنَهُمْ أَجْنَارًا ﴿٤٦﴾ عُرِيًا أَتْرَابًا ﴿٤٧﴾ لَا صَحْبٍ لِّلْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٤٠] ولا شك أن رسولنا محمداً ﷺ أول السابقين ، وأنه أول من تُفْتَحُ له الجنة ، وتدخل أمته بعده ، وهي أول الأمم دخولا الجنة .

وقد دلَّ على ذلك أحاديث كثيرة منها^(٢) : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة »^(٣) . وقال رسول الله ﷺ : « آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ ، فيقولُ الخازنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فأقول : مُحَمَّدٌ ، فيقولُ : بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »^(٤) ، وقال رسول الله ﷺ : « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ »^(٥) .

وأما آخر من يدخل الجنة ، فقد ذكر رسول الله ﷺ حديثاً عن ذلك ، فقال : « إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولاً ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا ، فيقولُ اللهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فيأتيها فيُخَيَّلُ إليه أَنَّهَا مَلَأَتْ ، فيرجعُ فيقولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَتْ ، فيقولُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فيأتيها

(١) الحياة في القرآن الكريم (٢ / ٦٢٧) .

(٢) المصدر نفسه (٢ / ٦٢٧) .

(٣) مسلم رقم (٣٣١) .

(٤) مسلم رقم (٣٣٣) .

(٥) مسلم رقم (٥٥٥) .

فِيخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى ، فِيرْجُعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى ، فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي ، وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ « قال الراوي عبد الله بن مسعود : فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، وَكَانَ يُقَالُ : « ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً »^(١) .

رابعاً- الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

أَوَّلُ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجَنَّةَ هُمُ الْقَمَمُ الشَّامِخَةُ فِي الْإِيمَانِ وَالثَّقَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ صَفًّا وَاحِدًا ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ ، صَوَّرَهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ زَمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صَوَّرَهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ^(٢) ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، أَنْتَهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأُلُوَّةِ ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، يُرَى مَخٌّ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، يَسْبَحُونَ اللَّهَ بَكْرَةً وَعَشِيًّا »^(٣) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُعْطِيَتْ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَاسْتَزِدْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا »^(٤) .

وَقَدْ وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ السَّبْعِينَ أَلْفًا الْأَوَائِلَ وَبَيَّنَ عِلَامَاتِهِمْ ، فَقَالَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُؤًا مَعَهُ الْأُمَّةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤًا مَعَهُ النَّفَرُ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤًا مَعَهُ الْعَشْرَةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤًا مَعَهُ الْخَمْسَةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُؤًا وَحْدَهُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ . قَالَ : هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَّامَهُمْ ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ ، قُلْتُ : وَلَمْ ؟ قَالَ : كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَطْطِيرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ

(١) البخاري رقم (٦٥٧١) .

(٢) اليوم الآخر ، الجنة والنار للأشقر ص (١٢٣) .

(٣) البخاري (٣٢٥٤) ومسلم (٣٨٣٤) .

(٤) صحيح الجامع رقم (١٠٦٨) .

أن يجعلني منهم ، قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » ثم قام إليه رجل فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبقك بها عكاشة »^(١) .

خامساً: أسماء الجنة:

الجنة هي دار كرامة الله التي أعدها لعباده المتقين ، ولها أسماء كثيرة فمنها :

١ - الجنة: وهو الاسم المشهور لها ، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠] .

٢ - جنة الخلد: قال تعالى: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِيراً ﴾ [الفرقان: ١٥] وسميت بذلك لخلود أهلها فيها .

٣ - جنة النعيم: قال تعالى: ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء: ٨٥] وسميت بذلك لما فيها من النعيم المقيم الكريم .

٤ - جنة المأوى: قال تعالى: ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم: ١٥] وسميت بذلك لأنها مأوى المؤمنين .

٥ - جنات عدن: قال تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةٍ لَهُمْ فِيهَا الْأَنْبُوبُ ﴾ [ص: ٥٠] فهي درجة من درجات الجنة .

٦ - دار السلام: قال تعالى: ﴿ هُمْ فِيهَا دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٧] وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥] وسميت بذلك لأمر منها :

☆ - لأنها سالمة من كل المنغصات والمكدرات ، ومن كل بلية وآفة .

☆ - لأنها دار السلام ، ومن أسمائه «السلام» كما قال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣] فهي دار السلام ، يعني دار الله ، فهو سبحانه الذي سلمها ، وسلم أهلها .

☆ - لأن: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤] .

☆ - لأن أول ما يستقبلهم به خزانة الجنة هو السلام: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] والرب يسلم عليهم من فوقهم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَآ يَدْعُونَ ﴿٥٦﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٧-٥٨] .

☆ - لأن كلامهم فيها سلامٌ ، أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ، لا يقولونه ولا يسمعون ، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا﴾ [مريم: ٦٢] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ [النبا: ٣٥] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ [٢٥] إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا [الواقعة: ٢٥-٢٦] .

٧ - دار المتقين: قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] وسُميت بذلك لأنهم أهلها .

٨ - دار الآخرة: قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩] والغالب أن تذكر بلفظ التعريف للدار ، فيقال : الدار الآخرة ، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [التقصص: ٨٣] .

٩ - الحسنى: قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ^(١) وقال رسول الله ﷺ : « الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن » ^(٢) .

١٠ - دار المقامة: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥] دار المقامة يعني دار الإقامة ^(٣) .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٢٣ - ٥٢٦) .

(٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، للكتاني ص (٢٥٣) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٢٨) .

١١ - الفردوس: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون : ١٠ - ١١] .

ولو توسعنا في هذا لذكرنا أسماء كثيرة مثل :

١٢ - الْمُدْخِلِ الْكَرِيمِ، المأخوذ من قوله: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] .

١٣ - حُسْنِ الْمآبِ ، المأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (٤٩) جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ هُمُ الْأَبْوَابُ ﴿[ص: ٤٩ - ٥٠] (١) .

سادساً: صفة الجنة:

مهما كتب الكتاب والأدباء ، وتخيّل المتخيّلون ، وأبدع المبدعون وصفاً للجنة ، فلن نجد مثل وصف القرآن الكريم ونبىه الكريم ﷺ لحقيقتها ، فقد وصفها الله عز وجل بأمر منها :

١ - أبواب الجنة:

قال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (٤٩) جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ هُمُ الْأَبْوَابُ ﴿[ص: ٤٩ - ٥٠] وقال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿[الرعد: ٢٣ - ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] .

وقال رسول الله ﷺ: « في الجنة ثمانية أبواب ، فيها بابٌ يُسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ ، وَابْنُ أُمِّتِهِ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى

(١) المصدر نفسه ص (٥٢٨) .

(٢) البخاري (٣٢٥٧) .

مريم ، وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ ^(٢) فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ » ، قال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، ما على أحدٍ يُدعى من تلك من ضرورة ، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها ؟ قال رسول الله ﷺ : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم » ^(٣) .

٢ - قصور الجنة وخيامها:

لقد بنى الله سبحانه في الجنة مساكن طيبة للإقامة المطمئنة الخالدة ، وقد سمى الله عز وجل في مواضع من كتابه العزيز هذه المساكن بالغرفات ، وهي القصور التي من فوقها عُرفُ مبنية محكمة مزخرفة عالية ^(٤) ، كما أن الغرفة أكرم من البهو فيما اعتاد الناس في البيوت في هذه الحياة الدنيا عندما يستقبلون الضيوف ، وأن في الجنة خياماً عجيبة ، فهي من دُرّة مجوفة ، وفي ذلك يقول سبحانه في آيات كثيرة منها :

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبا: ٣٧] .

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ^(٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦] .

(١) مسلم رقم (٤٦) .

(٢) زوجان: كل شيء قرن لصاحبه فهو زوجان .

(٣) مسلم (١٠٢٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٦) .

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوَّارَهُمْ هُمْ عَرَفُوا مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّيْنَةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠] .

وقوله سبحانه في خيام الجنة : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] إشارة إلى معنى في غاية اللطف ، وهو أنَّ المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء ، وإنما الأشياء تتحرك إليه ، فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه ، ويضاف عليهم بما يشتهونه ، فالحور يكن في بيوت ، والعرب يمدحون النساء الملازمات للبيوت للدلالة على شدة الصيانة^(١) ، وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهم للارتحال إلى المؤمنين خيام ، وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور^(٢) .

وقد وصف رسولنا ﷺ قصور الجنة ، حين دلنا على صفات بعض قصور أصحابه ، فقال : أتى جبريل النبي ﷺ . فقال : « يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب^(٣) ، لا صخب^(٤) فيه ولا نصب^(٥) » .

وقال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصرأ ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخل ، فذكرت غيرتك » فبكى عمر وقال : أي رسول الله ، أو عليك يُعَارُ^(٦) .

وقد وصف النبي ﷺ خيام الجنة بأنها دُرَّةٌ مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً ، عن أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « الخيمة دُرَّةٌ مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون »^(٧) .

(١) تفسير المراغي (٩ / ١٢٩) .

(٢) التفسير الكبير (٢٩ / ١١٨) .

(٣) المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف .

(٤) الصخب : الصياح والمنازعة برفع الصوت والنصب : التعب .

(٥) البخاري رقم (٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٢) .

(٦) مسلم (٢٣٩٤) .

(٧) البخاري رقم (٣٢٤٣) .

٣- أشجار الجنة وثمارها :

وُصِفَتِ الْجَنَّةُ بأنها البستانُ المحفوفُ بالشجر ، المتكاثفُ بالأعنان والنخيل والرمان ، حيثُ الجمالُ الرائعُ ، والأشجارُ المتدانية القطوفُ ، الوفيرةُ الآثارُ ، وقد حفل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصنف من الخير والجمال ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ مَفَارِجَ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابَ ﴾ [النبا: ٣١-٣٢] .

والى جانب هذه الحدائق والأعنان هناك فاكهة كثيرة متنوعة ، منها ثمرُ النخيل والرمان ﴿ فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] كما أن من أشجار الجنة السِّدْرُ المخضوذ الذي لا شوك فيه ، بخلاف سدر الدنيا ، فإنه كثيرُ الأشواك ، قليلُ الثمرِ ، وفي الآخرة على العكس ، وإن من أشجار الجنة الطلح المنضود الذي يشبه طلح الدنيا ، لكن له ثمرٌ أحلى من العسل ، وأنه متراكمُ الثمر^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَصْحَبُ الِّيمِينِ مَا أَصْحَبُ الِّيمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَّدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٣] ^(٢) .

وفواكه الجنة لا تُحَجَّبُ عن مؤمن فضلاً عن كل معين يطلبه ، وإذا كان قد ذكر بعض أنواع الفواكه ، فإن ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها ، له أن يدعو ليجدَ بغيته أمامه ، قال تعالى : ﴿ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص: ٥١] وقال تعالى : ﴿ وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٢٠] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفُوكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣] .

وأشجارُ الجنة دائمةُ العطاء ، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقتٍ دون وقتٍ ، وفصلٍ دون فصلٍ ، بل هي دائمةُ الأثمار والظلال ، وهي نعمة تطمئن لها النفسُ وتستريح^(٣) ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَنْقَرُوا عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥] وقال سبحانه : ﴿ وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣] .

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٥٣) .

(٢) الطلح : الموز : واحدتها طلحة .

(٣) الحياة في القرآن الكريم (٢ / ٦٤٦) .

ووصف الله عز وجل أشجار الجنة بأنها ذات أغصان جميلة ، وأنها شديدة الخضرة ، وأن ثمارها قريبة دانية مذللة ، ينالها أهل الجنة يسر وسهولة^(١) قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ۖ فِيْهَا أَيْءُ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ ﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٤٨] وقال عز وجل: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فِيْمَا أَيْءُ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ مُدْهَامَتَانِ ۖ ﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٦٤] وقال سبحانه: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۖ ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٢ - ٢٣] .

ولقد وصف الرسول ﷺ بعض أشجار الجنة بأوصافٍ عجيبة منها^(٢) :

أ - الشجرة التي يسير الراكب فيها مئة عام : وهي الشجرة التي ذكرت في قوله سبحانه : ﴿ وَظِلٌّ مَّدُودٌ ﴾ [الواقعة: ٣٠] وقد فسره النبي ﷺ فقال : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا ، وَاقْرَءُوا إِنَّ شَتَمَ : ﴿ وَظِلٌّ مَّدُودٌ ﴾^(٣) » ، وعن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا »^(٤) .

ب - سدرة المنتهى : قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣ - ١٨] وقال تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَّدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٣٠] فذكر في هذه الآيات ثلاث أنواع من الأشجار ، منها : السِّدْرُ ، وفي قوله: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ مخضود أي منزوع الشوك^(٥) ، وورد عن ابن عباس وغيره أنه قال : هو الموقر بالثمر^(٦) ، أي المليء بالثمر ، والظاهر أن المراد هذا وهذا ، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفي الآخرة العكس من هذا ، الأشواك فيه قليلة ، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله^(٧) .

(١) المصدر نفسه (٢ / ٦٤٦) .

(٢) الحياة في القرآن (٢ / ٦٤٦) .

(٣) البخاري رقم (٣٢٥٢) .

(٤) مسلم رقم (٣٨٢٧) .

(٥) لسان العرب (٣ / ١٦٣) .

(٦) البعث والنشور للبيهقي ص (١٧٢) .

(٧) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٨٨) .

ج - شجرة طوبى: ومن أشجار الجنة شجرة تسمى « طوبى » وهي كما تبين من وصفها شجرة عظيمة تخرج منها ثياب أهل الجنة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّ رجلاً قال له : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك ، وآمن بك ، قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » ، وقال له رجل : وما طوبى ؟ قال : « شجرة في الجنة ، مسيرة مئة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » (١) .

وجميع أشجار الجنة لها ظلٌ ظليلٌ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧] والمؤمن يكثر حظُّه من أشجار الجنة بالإكثار من سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي ، فقال : يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أَنَّ الجنة ، طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعانٌ ، وَأَنَّ غرسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (٢) .

وسيقان أشجار الجنة من ذهب ، قال رسول الله ﷺ : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » (٣) .

فالجنة خالدة ، لا تفنى ولا تبعد ، وأنواع نعيمها دائمة ، لا تنقطع ولا تمتنع ، وأهلها فيها خالدون ، لا يرحلون عنها ولا يظعنون ، ولا يباعدون ولا يمتوتون (٤) . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْأَمْتَقِينَ

(١) الأكماء: جمع الكُم ، وهو القشر ، لكل شجرة مثمرة كُم وهو برعومته ، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (١٩٨٥) .

(٢) صحيح الجامع الصغير رقم (٥٠٢٨) .

(٣) الترمذي (٢٥٢٥) حديث حسن غريب .

(٤) الحياة في القرآن (٢ / ٦٤٨) .

فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِّدِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَكَهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَدْهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ [الدخان: ٥١-٥٧] .

٤ - درجات الجنة:

الجنة درجاتٌ متفاوتاتٌ تفاضلاً عظيماً ، وأولياءُ الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [طه: ٧٥] .

وقال تبارك وتعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نَّمُدُّهُنَّوَلَاءَ وَهُنَّوَلَاءَ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ [الإسراء: ١٨-٢١] فبيّن الله سبحانه وتعالى أنه يمدُّ من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطاءه ، وأنَّ عطاءه ما كان محظوراً من برٍّ ولا فاجر ، ثم قال: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ فبيّن الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا^(١) .

وتفاضلُ أنبيائه ﷺ كتفاضل سائر عبادِه المؤمنين ، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُورٍ يَاعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] .

وهذه الدرجات تختلف باختلاف العمل ، فكلما كان عملُ الإنسان أكثر ، وموافقاً للسنة ، كان أجره أكثر ، ودرجته في الجنة أعلى ، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٩] .

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم ، فقد ذكر الله أنه أعدّ للذين يخافون جنتين : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ [الرحمن: ٤٦] ووصفهما ثم قال : ﴿ وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٌ ﴾ [الرحمن: ٦٢] أي دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة ، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخرًا ، علم أنهما دون الأوليين في الفضل ، فالأوليان للمقربين ، والآخران لأصحاب اليمين ، قال القرطبي : لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما .

فقال في الأوليين : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٠] وقال في الآخرين : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَايْنِ ﴾ [الرحمن: ٦٦] أي فوارتان بالماء ، ولكنهما ليستا كالجارتين ، لأنّ النضخ دون الجري .

وقال في الأوليين : ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٢] معروفٌ وغريبٌ ، رطبٌ ويابسٌ ، فعمّ ولم يخصّ ، وفي الآخرين : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولم يقل من كل فاكهة زوجان .

وقال في الأوليين : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهو الديباج . وقال في الآخرين : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرٍ حَسَانٍ ﴾ [الرحمن: ٧٦] ، والعبقريّ الوشيّ ، ولا شك أنّ الديباج أعلى من الوشيّ ، والرّفرف كسرُ الخباء ، ولا شك أنّ الفرش المعدة للاتكاء فيها أفضل من الخباء .

وقال في الأوليين في صفة الحور العين : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] وفي الآخرين : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] وليس كلُّ حُسنٍ كحُسنِ الياقوت والمرجان .

وقال في الأوليين : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفي الآخرين : ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٤] أي خضروان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان .

ووصف الأوليين بكثرة الأغصان ، والآخرين بالخضرة وحدها^(١) .

وقد بين رسول الله ﷺ درجات الجنة ، فقال ﷺ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ

(١) التذكرة للقرطبي ص (٤٤٠) اليوم الآخر الجنة والنار الأشقر ص (١٥٩) .

المَغْرِبِ لتفاضل ما بينهم » ، قالوا : يا رسولَ الله ، تلك منازلُ الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى » ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »^(١) .

وأعلى درجات الجنة هي الفردوس الأعلى ، وقد ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾  الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [المؤمنون : ١٠ - ١١] وبين الرسول ﷺ منزلة هذه الدرجة ، فقال ﷺ : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ ، هاجر في سبيل الله ، أو جلس في أرضه التي وُلِدَ فيها » ، قالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشِّرُ الناس ؟ قال : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِثَّةُ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وفوقه عرشُ الرحمن ، ومنه تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ »^(٢) .

والمقصود بـ (وسط الجنة) أي عرضاً ، و (أعلى الجنة) أي طولاً ، فهذا يدلُّ على أَنَّ الفردوسَ على مثلِ الربوة أو القُبَّة ، ويدلُّ أَنَّ الجنة مقببة^(٣) . قال ابن كثير : ولا تكون هذه الصفة إلا في المقبب ، فإن أعلى القبة هو أوسطها ، فالجنة والله أعلم كذلك^(٤) .

وأعلى درجات الفردوس هي الوسيلة ، وهي منزلة لشخص واحد فقط هو نبينا محمد ﷺ ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقَالُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ »^(٥) .

٥ - أنهار الجنة:

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا

(١) البخاري رقم (٣٠٨٣) .

(٢) البخاري رقم (٧٤٢٣) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٥٣) .

(٤) صفة الجنة للحافظ ابن كثير ص (٣١) من كتاب البداية والنهاية .

(٥) مسلم رقم (٣٨٤) .

الْأَنْهَارُ ﴿البقرة: ٢٥﴾ وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الكهف: ٣١] .

وأَنْهَارُ الْجَنَّةِ ليست ماءً فحسب ، بل منها الماء ، ومنها اللبن ، ومنها الخمر ، ومنها العسل المصفى ، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] .

وذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحدٍ منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وأفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها ، وأفة العسل عدم التصفية^(١) ، وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضلُ أشربة الناس ، فهذا لشربهم وطهورهم : وهو الماء ، وهذا لقوتهم وغذائهم : وهو اللبن ، وهذا لذتهم وسرورهم : وهو الخمر ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم : وهو العسل^(٢) .

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «هو نهر في الجنة»^(٣) وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « رأيتُ نهرًا في الجنة حافتاه قبابُ اللؤلؤ ، قلتُ : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاكهُ الله »^(٤) .

٦- عيون الجنة :

في الجنة عيونٌ كثيرةٌ مختلفة الطعم واللذة ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥-٤٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [٥١-٥٢] في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [الدخان: ٥١-٥٢] .

وبعض هذه العيون يخرجُ ماؤها ، ثم يجري على أرض الجنة ، قال تعالى : ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢] .

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص (٢١٨) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢١٩) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً .

(٤) البخاري رقم (٤٦٨١) .

قال تعالى في وصف الجنّتين اللتين أعدّهما الله لمن خاف مقام ربه : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٠] وقال سبحانه في وصف الجنّتين اللتين دونهما : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضح فوراً الماء ، وهو أبلغ من النضح .

وقد ذكر الله تعالى لنا أسماء ثلاثة منها ، وهي :

أ - عين الكافور: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥ - ٦] فالأبرار يشربون ماءً ممزوجاً بالكافور ، بينما يشربه عبادة الله المقربون صرفاً لا خلط فيه ^(١) ، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاعة في الجنة ^(٢) .

ب - عين السلسيل: قال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨] أي ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا ﴾ - يعني الأبرار - أيضاً من هذه الأكواب ﴿ كَأْسًا ﴾ أي خمراً ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ فتارةً يمزج لهم الشراب بالكافور ، وهو بارد ، وتارةً بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ، ومن هذا تارة ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كلٍّ منها صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد ^(٣) .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أخبار اليهود ، فقال: السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعةً كاد يُصرع منها . فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله ، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي» ، فقال اليهودي: جئتُ أسألك ، فقال رسول الله ﷺ: «أينفعك شيءٌ إن حَدَّثْتُكَ؟» . قال: أسمع بأذني .

فنكت رسول الله ﷺ بعودٍ معه فقال: «سل» . فقال اليهودي: أين يكون

(١) اليوم الآخر في القرآن الكريم العظيم والسنة المطهرة ص (٥٥٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٥٤) .

(٣) تفسير ابن كثير .

الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر » ، قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : « فقراء المهاجرين » ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ ، قال : « زيادة كبد الثؤن » ، قال : فما غذاؤهم على إثرها .

قال : « يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها » ، قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلاً » قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : ينفعك إن حدثتك ؟ ، قال : أسمع بأذني ، قال : جئت أسألك عن الولد ، قال : « ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلاً مني الرجل مني المرأة أذكر إياذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنا بإذن الله » .

قال اليهودي : لقد صدقت وإني لنبى ، ثم انصرف فذهب ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به » (١) .

ج - عين التسنيم : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (٢٦) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ﴿ ٢٧ ﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿ ٢٨ ﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْكُومٍ ﴿ ٢٩ ﴾ خِتَمُهُمْ مِنْهُ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿ ٣١ ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿ ٣٢ ﴾ [المطففين : ٢٢ - ٣٨] قال ابن عباس : (تسنيم) أشرف شراب أهل الجنة ، وهو صِرْف للمقربين ، ويُمرَّج لأصحاب اليمين (٢) .

٧- نور الجنة:

والجنة لها نور ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ٦٢] في قوله ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ : أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات ، لا أن هناك ليلاً ونهاراً ، ولكنهم في أوقات تتعاقب ، يعرف مضيها بأضواء وأنوار (٣) .

(١) مسلم رقم (٣١٥) .

(٢) البدور السافرة إلى أحوال الآخرة ص (٥٤٤) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ١٢٩) .

وقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]
والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار ، لكن البكرة والعشية تعرفان
بنور يظهر من قِبَل العرش^(١) . وقال القرطبي : قال العلماء : ليس في الجنة ليل
ونهار ، وإنما هم في نور دائم ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق
الأبواب ، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي^(٢) .

٨- ریح الجنة:

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها ، وهذه الرائحة يجدها المؤمن من
مسافات شاسعة^(٣) ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدِّمَةِ لَمْ يَجِدْ
رِيحَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا »^(٤) .

٩- تربة الجنة:

تربة الجنة بيضاء كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث ، فعن أبي سعيد
الخدري أنّ النبي ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال : دَرَمَكَةُ بِيضَاءُ ، مِسْكٌ
خَالِصٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « صَدَقَ »^(٥) . دَرَمَكَةُ بِيضَاءُ : هي الدقيق
الأيض^(٦) .

عن أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله ، مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ ؟ قال : « مِنْ
مَاءٍ » ، قلنا : الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لَبَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبَنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَلَأُهَا
الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ ، وَحَصَبَاؤُهَا الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ ، وَتَرْتُبُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ
وَلَا يَبْأَسُ ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ »^(٧) .

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣١٢) .

(٢) الجنة والنار للأشقر ص (١٧٤) .

(٣) اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر ص (١٧٥) .

(٤) صحيح الجامع رقم (٦٣٣٣) .

(٥) مسلم رقم (٢٩٢٨) .

(٦) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٦٢) .

(٧) أحمد (٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥) والترمذي (٢٥٢٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنادل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » (١) .

١٠ - دواب الجنة وطيوورها : في الجنة دواب وطيور كثيرة ، يركبها أهل الجنة ، ويأكلون منها ، ويتمتعون بالنظر إليها ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة (٢) .

وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو - وله حكم الرفع - أن في الجنة إبلاً وخيلاً ، حيث قال : في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب ، ويركبها أهلها (٣) .

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : « لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقة كلها مخطومة » (٤) ، وهذه الرواية لم تنص أنها في الجنة ، ولكن جاءت رواية أخرى لهذا الحديث عند الحاكم بزيادة « في الجنة » حيث قال ﷺ : « لك بها سبعمئة ناقة مخطومة في الجنة » (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَحِمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة : ٢١] أي يأكلون من لحم طير يشتهونه ، وعن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ : ما الكوثر؟ قال : « ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيها طير أعناقها كأعناق الجُرر » ، قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ : « أكلتها أحسن منها » (٦) .

(١) البخاري (١ / ٤٥٨ - ٤٥٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ١٣٧) بتصرف .

(٣) صفة الجنة لابن كثير ص ٢٠٥ قال المحقق : رجاله ثقات .

(٤) مسلم رقم (١٨٩٢) .

(٥) السلسلة الصحيحة للألباني (٢ / ٢٢٧) .

(٦) الترمذي رقم (٢٥٤٢) حسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠ / ٤٦٧) .

١١ - الجنة لا مثل لها ، وإنها فوق ما يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال:

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] قال رسول الله ﷺ: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، وأذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرأوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾»^(١) ، ولمن دخل الجنة ما يشاء من النعيم ، وله كل ما يمتنى ويطلب ، بل له فوق هذا بكثير ، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠ - ٣١] تجرى من تحتهما الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين ﴿ [النحل: ٣٠ - ٣١] وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥] .

وما الظنُّ بمكانٍ موضع السوط أو القوس فيه خيرٌ من الدنيا وما فيها ، فعن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « موضع السوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها »^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ : « لقاب قوس في الجنة خيرٌ ممَّا تطلع عليه الشمس وتغرب » ، وقال : « لغدوة أو روحه في سبيل الله خيرٌ ممَّا تطلع عليه الشمس وتغرب »^(٣) .

وما الظنُّ بمكان الغمسة الواحدة فيه تُنسي المعذب كلَّ عذابه وشقائه في الدنيا ، فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصْبَغُ في النارِ صَبْغَةً ، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ، هل مرَّ بك نعيمٌ قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويؤتى بأشدَّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصْبَغُ صَبْغَةً في الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ، هل مرَّ بك شدةٌ قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ما مرَّ بي بؤس قط ، ولا رأيت شدةً قط »^(٤) .

(١) البخاري رقم (٣٠٧٢) .

(٢) البخاري رقم (٣٠٧٨) .

(٣) البخاري رقم (٢٦٤٠) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٠٧) .

سابعاً - أصحاب الجنة :

أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون الذين يعملون الصالحات مع إخلاصٍ عظيمٍ لله عزَّ وجلَّ ، واستقامةٍ على شريعته ، ووفاءٍ بعهودهم ، وعدم نقضهم لها ، ووصلهم ما أمر الله بوصله ، وخشيتهم لله ، وخوفهم من سوء العذاب ، وصبرهم لله ، وإقام الصلاة ، والانفاق سرّاً وعلانية ، ودرئهم بالحسنة السيئة ، قال تعالى :

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَكُلُوا الْآلْبَنَ ۖ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ لَا يَتَّقُونَ أَلَيْسَتْ أَلَمِيَّتُهُ ۖ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۖ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۖ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۖ ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٤] (١) .

والجنة درجة عالية ، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير ، وطريق الجنة فيه مخالفة لأهواء النفوس ومحبوباتها ، وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية ، وإرادة قوية ، قال رسول الله ﷺ : « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ » (٢) وهذا من بديع الكلام وفصيحته والجوامع التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن ، ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره ، ولا إلى النار إلا بارتكاب الشهوات ، وكذلك هما محجوبتان بهما ، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب ، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره ، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات ، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة ، والمواظبة عليها ، والصبر على مشاقها ، وكظم الغيظ ، والعفو ، والحلم ، والصدقة والإحسان إلى المسيء ، والصبر على الشهوات ، ونحو ذلك (٣) .

١ - معرفة أهل الجنة لمساكنهم :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) الجنة والنار للأشقر ص ١٨٨ .

(٢) البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٢) .

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧ / ١٦٥) .

أَصْلَحَتْ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿[محمد: ١ - ٢] أي إذا دخلوها يقال لهم : تفرّقوا إلىٰ منازلكم ، فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلىٰ منازلهم ^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : «يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار ، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتّىٰ إذا هذبوا ونُقوا اذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدّهم أهديٰ بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» ^(٢) .

٢ - هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء ، ففي (صحيح مسلم) ^(٣) عن ابن سيرين قال : اختصم الرجال والنساء : أيّهم أكثر في الجنة ؟ وفي رواية : إمّا تفاخروا ، وإمّا تذاكروا : الرجال في الجنة أكثر أم النساء ؟ فسألوا أبا هريرة ، فاحتجّ أبو هريرة علىٰ أنّ النساء في الجنة أكثر بقول الرسول ﷺ : « إنّ أوّل زمرة تدخل الجنة علىٰ صور القمر ليلة البدر ، والتي تليها علىٰ أضواء كوكب دُرّي في السماء ، لكلّ امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يرىٰ مخّ سوقهما من وراء اللحم ، ما في الجنة أعزّب » والحديث واضح الدلالة علىٰ أنّ النساء في الجنة أكثر من الرجال .

وقد احتجّ بعضهم علىٰ أنّ الرجال أكثر بحديث : « رأيتكّن أكثر أهل النار » والجواب لا يلزم من كونهنّ أكثر أهل النار أن يكنّ أقلّ ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني ^(٤) ، فيكون الجمع بين الحديثين أنّ النساء أكثر أهل النار ، وأكثر أهل الجنة ، وبذلك يكنّ أكثر من الرجال وجوداً في الخلق ^(٥) .

٣ - أطفال المؤمنين:

قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَآلَبَعَثَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَإَيُّنَ الْحَقَّاءَ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِّنْ

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ١٥٣) .

(٢) البخاري رقم (٦٥٣٥) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٣٤) .

(٤) فتح الباري (٦ / ٣٢٥) .

(٥) الجنة والنار للأشقر ص (١٩٥) .

عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ [الطور: ٢١] فهذه الآية تدلُّ بعمومها على أنَّ ذرية المؤمنين معهم في الجنة ، لأنَّ الطفل يولد على الفطرة ، وهي الإسلام ، فإذا مات فهو ميتٌ على الإيمان ، فيكون مع والديه في الجنان ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٣٩] قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه : هم أطفال المسلمين ، لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم ^(١) .

ودخول أطفال المسلمين الجنة ثابتٌ في السنة ، وذكر الكتَّاني أنَّها بلغت حدَّ التواتر ^(٢) ، فعن أبي حسان قال : قلتُ لأبي هريرة : إنَّه ماتَ لي ابنانِ فما أنتُ محدِّثني عن رسولِ الله ﷺ بحديثٍ تطيبُ به أنفسنا عن موتانا ، قال ، قال : نعم : « صغارُهم دَعَامِيصُ » ^(٣) ، الجنة ، يلتقي أحدهم أباه ، أو قال أبويه ، فيأخذه بثوبه ، أو قال بيده ، كما أخذُ أنا بصفنة ثوبك هذا ، فلا يتناهى . - أو قال فلا ينتهي - حتَّى يدخله وأباه الجنة ^(٤) وعن البراء رضي الله عنه قال : لمَّا توفي إبراهيمُ ابنُ الرسولِ ﷺ قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ لَهُ مَرْضِعاً فِي الْجَنَّةِ » ^(٥) .

وقال رسولُ الله ﷺ : « ما مِنْ مسلمٍ يموتُ له ثلاثةٌ مِنَ الولدِ لم يبلغوا الحنثَ إِلَّا تَلْقَوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيُّهَا شَاءَ دَخَلَ » ^(٦) . وقال رسولُ الله ﷺ : « ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيمُ عليه السلام » ^(٧) وقال رسولُ الله ﷺ : « أطفال المسلمين في جبلٍ في الجنة يكفلهم إبراهيمُ وسارةٌ حتَّى يدفعونهم إلى آبائهم يوم القيامة » ^(٨) .

٤ - اجتماع أهل الجنة وحديثهم :

من أحاديثهم ما قاله سبحانه : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا

(١) التذكرة للقرطبي (٢ / ٣١٧) اليوم الآخر للمطيري ص ٥٧٣ .

(٢) نظم المتواتر ص ١٢٧ .

(٣) دعاميص : جمع دعموص ، أي صغار أهلها .

(٤) مسلم رقم (٢٦٣٥) .

(٥) البخاري رقم (١٣١٦) .

(٦) ابن ماجه رقم (١٦٠٤) سنده حسن .

(٧) السلسلة الصحيحة رقم (٦٠٣) .

(٨) السلسلة الصحيحة رقم (١٤٦٧) .

قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّوْمِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ [الطور: ٢٥-٢٨] .

ومن أحاديثهم تذكّرهم أهل الكفر الذين كانوا يشككونهم بالله واليوم الآخر ، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أِهَذَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهَذَا لِمَدْيُونٌ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَاعَ فِرْعَانُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتَرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ لَا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَتِّينٌ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ [الصافات: ٣٩-٦١] .

تأمل ما في هذه الآيات من النعيم والكرامة ، فقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم يجتمعون يوم القيامة ، ويعطون من الفواكه وهم على السرر متقابلين ، يتجاذبون أطراف الحديث ، وفي أثناء حديثهم يُخَدِّمُونَ كالمملوك ، فعندهم الفواكه ، ويُطَافُ عليهم بالخمير اللذيذة ، وعندهم النساء الحور العين ، ثم يبدأ الحوار ، فيتذكر أحدهم صاحباً له كان يأمره بالمعاصي ، وينكر البعث ، فينادي منادٍ : هل تريد أن تعرف حاله ؟ فيأخذ هذا الرجل ليريته ذلك الصاحب وقد استقرَّ في قلب الجحيم ، يتقلب على الجمر ، لا يموت ولا يحيا ، فيخاطبه سائلاً سؤال توبيخ واستنكارٍ : هل نحن لا نموت إلا موتتنا الأولى ، ولن نبعث ، ولن نعذب ؟ ثم ينظر لحاله والنعيم الذي هو فيه ، وينظر إلى حال هذا الذي أصبح من حطب جهنم ، ويقارن بين الحالين ، فيرى البؤس الشاسع والفرق الواسع ، فيقول لنفسه وقد امتلاً سروراً وفاض غبطة : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ [الصافات: ٦٠-٦١] .

٥ - أعلى أهل الجنة :

الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿[النساء: ٦٩]﴾ أي معهم في الجنة ، وإن لم يكونوا معهم في الدرجة^(١) .

وعن المغيرة بن شعبة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال : « سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجلٌ يجيءُ بعدما أُدْخِلَ أهل الجنة الجنة ، فيقالُ له : ادْخُلِ الجنة ، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترى أن يكون لك مثل مُلْكٍ مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضىتُ ربَّ ، فيقول : لك ذلك ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال في الخامسة : رضىتُ ربَّ ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتئتُ نَفْسُكَ ، ولذتُ عينكَ ، فيقول : رضىتُ ربَّ .

قال : ربَّ ، فأعلاهم منزلة ؟

قال : أولئك الذين أردتُ ، غرستُ كرامتهم بيدي ، وختمتُ عليها ، فلم تر عينٌ ، ولم تسمع أذنٌ ، ولم يخطر على قلب بشرٍ ، قال : ومصادقه في كتاب الله عز وجل ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]^(٢) .

٦ - أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتْلُوا جَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢] وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الزخرف: ١٠ - ١١] وقال رسول الله ﷺ: « ما مِنْكُمْ من أحدٍ إلَّا له منزلان: منزلٌ في الجنة ، ومنزلٌ في النار ، فإذا مات فدخل النار ، ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ »^(٣) .

(١) المصدر نفسه ص (٥٧٢) .

(٢) مسلم رقم (١٨٩) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٨٤) .

٧- زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها المؤمن في الجنة:

قال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] وهم في الجنات منعمون من الأزواج ، يتكثون في ظلال الجنة ، مسرورين فرحين ، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْشِ مُتْكِنُونَ﴾ [يس: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠] ^(١).

٨- مؤمنو الجن يدخلون الجنة:

مؤمنو الجن يثابون على الطاعة ، ويدخلون الجنة ، فبعد أن تكلم الله عز وجل عن الإنس والجن في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] يعود على الإنس والجن ، فدلَّ على أنَّ لهم درجات في الجنة بحسب عملهم ^(٢) ، وقوله تعالى في الحور العين: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] فدلَّ على أنَّ الجنَّ يدخلون الجنة ، ويتمتعون بالهور العين كما يحصل للإنس ^(٣).

٩- ضحك أهل الجنة من أهل النار:

كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين ، ويسخرون منهم ، ويهزؤون بهم ، فإذا جاء يوم القيامة انقلب الحال ، وتبدلت الأُل ، فإذا بالمؤمنين ، وهم في النعيم المقيم ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم ، ويسخرون بهم ^(٤) ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ^(٢٢) عَلَى الْأَرْشِ يَنْظُرُونَ ^(٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ^(٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ^(٢٥) خَتَمَهُ مِسْكَ ^(٢٦) وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ^(٢٦) وَمِنْ أَمْرِهِمْ مَنْ

(١) المصدر نفسه ص (٥٨٢) .

(٢) المصدر نفسه ص (٥٩٠) .

(٣) المصدر نفسه ص (٥٩٠) .

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٨٢) .

تَسْلِمِ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفَظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يُنْظَرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ [المطففين: ٢٢ - ٣٦] (١).

ثامناً: سادة أهل الجنة:

١ - الأنبياء والرسل:

سيدُّ أهل الجنة هو محمد رسول الله ﷺ ، ثم إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴾ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخَصَّضْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾ [ص: ٤٥ - ٥٠] وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٣﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٨٢ - ٩٠] .

فوصفهم الله بالهداية والصلاح والاجتباء والإحسان وبيّن في آيات كثيرة أنَّ المحسن جزاؤه الجنة ﴿ وَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذُلٌّ ﴾ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٨﴾ [يونس: ٢٦] وهذا معلوم من الدين بالضرورة ، بل العقل يدلُّ على ذلك ، فإنَّ الله تعالى لا يرسل مبلِّغاً عنه إلا وهو في الغاية

القصوى من الكمال البشري خلقاً وخلقاً ، وديناً وصلاًحاً ، وما كان الله ليعذب مَنْ دَلَّ الناسَ عليه^(١) .

٢- سادات الصحابة:

الجنة درجاتٌ ومراتبٌ ، وأهلها متفاوتون في درجاتهم ، وأعلى الدرجات فيها سادةُ أهل الجنة ، فسيدُ كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لقوله ﷺ: «أبو بكرٍ وعمرٌ سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين»^(٢) وسيدا شباب أهل الجنة الحسنُ والحسينُ ، لقوله ﷺ: «الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهل الجنة»^(٣) ، ونصَّ الرسول ﷺ على أنَّ عشرةً من أصحابه في الجنة ، فقد قال: «أبو بكر في الجنة ، وعمرُ في الجنة ، وعثمانُ في الجنة ، وعليُّ في الجنة ، وطلحةُ في الجنة ، والزبيرُ في الجنة ، وعبدُ الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعدُ بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيدُ بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»^(٤) وإسناده صحيح .

وقد نصَّ الرسول ﷺ على مجموعةٍ أخرى من الصحابة في الجنة منهم :

جعفر بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب : قال رسول الله ﷺ : «دخلتُ الجنةَ البارحة ، فنظرتُ فيها ، فإذا جعفرُ يطيرُ مع الملائكة ، وإذا حمزةٌ متكئٌ على سريرٍ»^(٥) ، وقد صحَّ أنَّ الرسول ﷺ قال : «سيدُ الشهداء حمزةُ بنُ عبدِ المطلب»^(٦) .

عبد الله بن سلام : قال رسول الله ﷺ : «عبدُ الله بن سلامٍ عاشِرُ عشرةٍ في الجنة»^(٧) .

زيد بن حارثة : قال رسول الله ﷺ : «دخلتُ الجنةَ ، فاستقبلتني جاريةٌ شابةٌ ، فقلتُ : لِمَنْ أنتِ ؟ قالت : لزيد بن حارثة»^(٨) .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٨٥) .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٨٢٤) .

(٣) المصدر نفسه رقم (٧٩٧) .

(٤) صحيح الجامع الصغير رقم (٥٠) .

(٥) صحيح الجامع الصغير رقم (٣٣٥٨) .

(٦) صحيح الجامع رقم (٣٥٦٩) .

(٧) المصدر نفسه رقم (٣٨٧٠) .

(٨) المصدر نفسه رقم (٣٣٦٢) .

زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ: قال رسولُ الله ﷺ: « دخلتُ الجنةَ فرأيتُ لزيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ درجتين » .

حارثة بن النعمان: قال رسولُ الله ﷺ: « دخلتُ الجنةَ ، فسمعتُ فيها قراءةً ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النعمان ، كذلكُ البرُّ ، كذلكُ البرُّ »^(١) .

بلال بن أبي رباح: قال رسولُ الله ﷺ: « دخلتُ الجنةَ ، فسمعتُ خشفةً بين يدي ، قلتُ : ما هذه الخشفةُ ؟ فقيل : هذا بلالٌ يمشي أمامك »^(٢) .

٣- سيدات نساء أهل الجنة:

مريم بنتُ عمران هي سيدةُ النساءِ الأولى ، وأفضلُ النساءِ على الإطلاق ، فقد روى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ على شرطِ مسلمٍ عن جابرٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ: « سيداتُ نساءِ أهلِ الجنةِ بعدَ مريمَ ابنةِ عمران ، فاطمة ، وخديجةُ ، وآسيةُ امرأةُ فرعون »^(٣) ، فهؤلاء الأربعةُ نماذجُ رائعةٌ للنساءِ الكاملاتِ الصالحاتِ .

فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربُّها في قوله: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ ﴾ [التحریم: ١٢] وكونُها أفضلُ النساءِ على الإطلاق صرَّح به القرآن: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢] .

وخديجةُ التي آمنت بالرسول ﷺ من غير تردُّد ، وثبتته ، وآسته بنفسه وماله ، قد بشرها ربُّها في حياتها بقصْرِ في الجنةِ مِنْ قَصَبٍ ، لا صَخَبٍ فيه ولا نَصَبٍ^(٤) ، فقد روى البخاريُّ في (صحيحه)^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: « يا رسولَ الله ، هذه خديجةٌ قد أتت معَها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو

(١) صحيح الجامع الصغير رقم (٣٣٦٦) .

(٢) المصدر نفسه (١٤٢ / ٣) رقم (٣٣٦٤) .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤١٠ / ٣) رقم (١٤٢٤) .

(٤) الجنة والنار للأشقر ص (٢١١) .

(٥) البخاري (٣٨٢٠) .

شرابٌ ، فإذا هي أتنك فاقراً عليها السلام من ربّها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

وآسية امرأة فرعون ، هان عليها ملك الدنيا ونعيمها ، فكفرت بفرعون وألوهيته ، فعذبها زوجها ، فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحریم : ١١] .

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة ، وتربية معلم البشرية (١) .

وأمهات المؤمنين أيضاً من سيّدات الجنة ، لأنهنّ مع النبي ﷺ في الجنة ، قال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [٢٨] وَلَئِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ - ٢٩] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي ، فقال : «إني ذاكرك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك» قالت : قد علم أنّ أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت : ثم قال : إن الله عز وجل قال : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [٢٨] وَلَئِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ - ٢٩] قالت : فقلت : في أيّ هذا أستأمر أبوي ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، قالت : ثم فعل أزواج رسول الله مثل ما فعلت (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « المرأة لآخر أزواجه في الآخرة » . وفي رواية : « جمع بينهما في الجنة » (٣) ، وعليه فتكون زوجاته عليه الصلاة والسلام معه في

(١) الجنة والنار للأشقر ص (٢١٢) .

(٢) البخاري رقم (٤٥٠٨) .

(٣) السلسلة الصحيحة للألباني (٣ / ٢٧٥) .

الجنة ، ولا يلزمُ مِنْ هذا أن يكرَّ معه في نفس الدرجة ، لأنَّه قد ثبت أنَّ النبي ﷺ في منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلاَّ لرجلٍ واحدٍ ، ولكنهنَّ قريباتُ منه ﷺ ، ولا يلزم من هذا أيضاً أن تكون أمهات المؤمنين خيرٌ من كلِّ أصحابِ رسولِ الله ﷺ بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وقد تواترت الأحاديثُ على أفضلية أبي بكر على جميع الصحابة بما فيهم أمهات المؤمنين^(١) ، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما^(٢) .

تاسعاً: فضلُ نعيمِ الجنةِ على متاعِ الدنيا:

قارن المولى عزَّ وجلَّ بين متاع الدنيا ونعيم الجنة ، وبين أنَّ نعيم الجنة خيرٌ من الدنيا وأفضل ، وأطال في ذمِّ الدنيا وبيان الآخرة ، وما ذلك إلاَّ ليجتهد العبادُ في طلب الآخرة ، ونيل نعيمها ، ونجدُ ذمِّ الدنيا ومدح نعيم الآخرة ، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع^(٣) ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٣١] . وقال في موضع ثانٍ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ ﴿١٤﴾ ، قلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِزْقٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ [آل عمران: ١٤-١٥] .

وسرُّ أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا من وجوه منها :

١ - متاع الدنيا قليل:

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتابي ص (٢٠٢) .

(٢) المصدر نفسه ص (٢٠٣) .

(٣) الجنة والنار للأشقر ص (٢٢٣) .

أَفَنَالَ لَوْلَا أَخَرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أُتِيَ وَلَا تُظْلَمُونَ فَيَبِلًا ﴿النساء: ٧٧﴾ .

وقد صور لنا الرسول ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثالٍ ضرب به فقال : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليمِّ . فليَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ » ^(١) . مالمذي تأخذه الأصبع إذا غُمِسَتْ في البحرِ الحِضَمِّ ، إنها لا تأخذ منه قطرة ، هذه هي نسبة الدنيا إلى الآخرة .

ولما كان متاع الدنيا قليل ، فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة ، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْذَنُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨] .

٢ - هو أفضل من حيث النوع: قال تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى: ١٧] ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٣١] فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠] بل لا وجه للمقارنة ، فإن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» ^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» ^(٣) .

وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا ، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ : « لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت

(١) مسلم رقم (٢٨٥٨) .

(٢) البخاري رقم (٣٠٧٨) .

(٣) البخاري رقم (٢٦٤٠) .

ما بينهما ، ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها « (١) .

وقال تعالى: ﴿ اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠]: أي تفرحون ، والفرح في القلب (٢) .

٣ - الجنَّةُ خاليةٌ من شوائبِ الدنيا وكدرها:

قطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول والروائح الكريهة ، وإذا شرب المرءُ خمر الدنيا فقد عقله ، ونساء الدنيا يحضن ويلدن ، والحيض أذى ، والجنَّةُ خاليةٌ من ذلك كله ، فأهلها لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ، ولا يتفلون ، وخمرُ الجنة كما وصفها خالفها : ﴿ بَيْضَاءٌ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ﴾ [الصفات: ٤٦] وماءُ الجنة لا يأسن ، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿ مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

وقلوبُ أهل الجنة صافيةٌ ، وأقوالهم طيبةٌ ، وأعمالهم صالحةٌ ، فلا تسمعُ في الجنة كلمةً نابيةً تكدرُ خاطرَ ، وتعكرُ المزاجَ ، وتستثيرُ الأعصابَ ، فالجنةُ خاليةٌ من باطلِ الأقوالِ والأعمالِ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ﴾ [الحجر: ٤٧] .

ولا تطرقُ المسامعُ إلا الكلمةُ الصادقةُ الطيبةُ السالمةُ من عيوبِ كلامِ أهل الدنيا ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴾ [النبا: ٣٥] ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مریم: ٦٢] وقال تعالى: ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴾ [الغاشية: ١١] إنها دارُ الطُّهْرِ والنِّقَاءِ والصفاءِ الخالية من الأوشاب والأكدار ، إنها دارُ السَّلامِ والتسليمِ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦] فأهلُ الجنة - عند دخول الجنة - لا اختلافَ بينهم ولا تباغضَ ، قلوبُهم على قلبٍ واحدٍ ، يسبحون الله

(١) البخاري رقم (٢٦٤٣) .

(٢) اليوم الآخر ، في القرآن العظيم ص (٥٩٣) .

بكرة وعشياً^(١) ، وَصَدَقَ اللَّهُ إِذْ يَقُولُ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] .

٤ - نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق:

قال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمُ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ولذلك سَمَّى الحقُّ تبارك وتعالى ما رُئِيَ للناس من زهرة الدنيا متاعاً ، لَّأنَّه يَتَمَتَّعُ به ، ثم يزول . وأما نعيم الآخرة فهو باقٍ ليس له نفاذٌ ، قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤] وقال: ﴿ أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥] ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] .

وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ﴾ [٤٥] الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٥ - ٤٦] فقد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء ، الذي يخالط نبات الأرض ، فيخضر ويزهو ويشمر ، وما هي إلا فترةٌ وجيزةٌ حتَّى تزول بهجته ، فيذوب ويصفى ، ثم تعصفُ به الرياح في كلِّ مكانٍ ، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والبناء والحرث والزرع كلها تتلاشى وتنتضي ، فالشباب يذوب ويذهب ، والصحة والعافية تبدلُ هراً ومرضاً ، والأموال والأولاد قد تذهب ، وأما الآخرة فلا رحيل ولا فناء ولا زوال ، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٢٠] جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠ - ٣١] .

٥ - العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة:

العمل للدنيا تعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران ، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ

أَلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١﴾ [آل عمران: ١٨٥] وأما العمل للآخرة فلا يعقبه إلا الفوز بها^(١).

ومن تكريم الله لهم أَنَّ الْجَنَّةَ تَقَرَّبُ لَهُمْ ، لا يقربون هم إلى الجنة قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٣١] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير: ١٣] أي: قربت^(٢).

عاشراً: نعيم أهل الجنة:

١ - طعام أهل الجنة: الجنة لا جوع فيها ولا عطش ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ [١١٨] وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿ طه: ١١٨-١١٩] .

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَتَفَلُّونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ» ، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ ، كما يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(٣).

وقد ذكر الله تعالى أنواعاً كثيرة من طعامهم منها :

الفاكهة بجميع أنواعها: قال تعالى: ﴿ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَخَيَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٢٠] ومن هذه الفاكهة العنب ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [النبا: ٣١-٣٢] وهذه الفاكهة ليست بقليلة ، بل هي كثيرة ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٣] .

ولا يتعب المؤمن نفسه في إحضارها وجنيها ، بل يطلب ذلك ، ويحضرها الخدم له ﴿ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص: ٥١] .

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهي حتى تكمل اللذة ، فلا يأتونه بشيء لم يختره ولا يشتهي ﴿ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَخَيَّرُونَ ﴾ [٢١] وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ [الواقعة: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣] .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٥٩٥) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) مسلم رقم (٢٨٣٥) .

وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات كما يحصل في فواكه الدنيا ، بل هي متوفرة دائماً ، ولا تُمنع عن أصحاب الجنة أبداً ﴿ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴾ [٣٦] وَفَكَهَتْ كَثِيرَةً ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣١-٣٣] وإذا اشتهى أن يقطف الفاكهة بنفسه فإنها لا تعسر عليه ، بل تذلل له الأغصان ، وتنزل حتى يأخذ منها ما شاء ، بلا تعب ولا عناء ﴿ وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٤] وقال : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] .

لحم الطير: قال تعالى: ﴿ وَفَكَهَتْ مِمَّا يَخَيْرُوتَ ﴾ [٢٠] وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١] وعن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله- يعني في الجنة - أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيها طير أعناقها كأعناق الجُرِّ» قال عمر: إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أحسن منها»^(١) . وليس هذا فقط طعامهم ، بل لهم كل ما اشتته أنفسهم ولذته أعينهم ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١] .

٢- شراب أهل الجنة:

وأما شرابهم فإنه شراب طهور طيب ، لا كما يفعل بعض الضالين الذين يشربون النجاسة ، فتجددهم يشربون الخمر ، وبعضهم يشرب الدم المسفوح ، وبعضهم يشرب العرق وغير ذلك من النجاسات والقاذورات .

وأما أهل الجنة فشربهم طاهر طهور طيب قال تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١] .

ومن هذه الأشربة:

العسل واللبن والماء: قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ [محمد: ٥١] .

الكافور: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۚ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ - ٦] .

الزنجبيل: قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۚ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨] أخبر سبحانه عن مزج شرابهم بشيئين : بالكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ، ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر ، وما ألطف موضع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها ، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور ، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعده ، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب ، أحدهما مزج بكافور ، والثاني مزج بزنجبيل^(١) .

التسنيم: قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ۚ خِتْمُهُ مِسْكَ ۚ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۚ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۚ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٥ - ٢٨] قال ابن عباس: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة ، وهو صرف للمقربين ، ويمزج لأصحاب اليمين^(٢) .

الخمير: تكلم الله تعالى عن خمير الجنة في غير ما آية ، ونفى عنه جميع آفات خمير الدنيا ، قال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۚ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [الواقعة: ١٨ - ١٩] وقال: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۚ يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ [الطور: ٢٢ - ٢٣] وقال: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ حَرٍّ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥] فخمير الدنيا^(٣) ، طعمها غير لذيذ ، ويحدث لمن شربها صداع ، وتذهب بعقله ، ويكثر عندها اللغو واللغط ، بل لا تحلو إلا بكثرة اللغو ، وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة ، وارتكاب للمحظورات ، فلا يمتنع عن شيء منها ، وكيف يمتنع وهو لا عقل له ؟ فهذه خمسة منغصات لخمير الدنيا نفاها الله عن خمير

(١) حادي الأرواح ص (٢٢٤) لابن القيم .

(٢) البدور السافرة في أحوال الآخرة .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٠٣) .

الآخرة ، فالطعمُ لذة للشاربين ، وهم ﴿ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴾ أي لا تذهب عقولهم ، ولا لغو عندها ، ولا إثم فيها^(١) . وقال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴾ يَصْأَلُ لَذَّةَ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴾ [الصفات : ٤٥ - ٤٧] .

وهذه الكأس من خمر الجنة ، (والمعين) الجاري الكثير ، ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر ، وهي (لذة) ، والغول صداع في الرأس ، وقيل وجع في البطن ، وهي ليس فيها هذا ولا هذا ﴿ يُزْفُونَ ﴾ أي لا يسكرون منها^(٢) ، فلا تذهب عقولهم ، وتبقى لذتها ، والخمر هي المقصودة بقوله تعالى : ﴿ رَحِيقٌ مَّخْتُومٌ ﴾ قال تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَافٍ لِّلْمُنَافِسِينَ ﴿٢٦﴾ وَمَرَاغِبٍ مِّنْ تَسْنِيمٍ ﴾ [المطففين : ٢٥ - ٢٧] والرحيق هي الخمر الصافية ، ومن لذة الخمر أنها تُخْتَمُ بالمسك^(٣) ، ولعل أعظم منغصات خمر الدنيا أن مَنْ شربها في الدنيا لم يشربها في الآخرة ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَرِبَهَا فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرِبْهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ »^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ »^(٥) .

٣- آنية طعامهم وشرابهم:

آنية طعام أهل الجنة من ذهب وفضة ، قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَكْدُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف : ٧١]^(٦) ، (الصِّحَاف) جمع صحيفة وهي القصعة وزناً ومعنى ، وهي من ذهب كما

(١) المصدر نفسه ص (٦٠٤) .

(٢) التسهيل لابن جزي (٢ / ٢٣٥) المصدر نفسه ص (٦٠٤) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٠٤) .

(٤) البخاري رقم (٥٥٧٥) .

(٥) أبو داود رقم (١٦٨٢) سنده حسن .

(٦) أكواب : أي من ذهب .

هو صريح الآية ، والأكواب جمع كوب وهو الكوز المستدير الرأس الذي لا عروة له ولا خرطوم^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « أَوَّلُ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّذِينَ عَلَى أَثَرِهِمْ كَأَشَدُّ كُوبٍ إِضَاءَةً ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، كُلٌّ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءَ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، لَا يَسْقُمُونَ ، وَلَا يَمْتَحَطُونَ ، وَلَا يَبْصُقُونَ ، أَنْتَهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الْأَلْوَةُ - يَعْنِي الْعُودَ - وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ »^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ يَا كُوبُ وَابَارِيقُ وَكَأْسٌ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٨ - ١٩] أباريق جمع إبريق ، والأكواب الكبيرة ذات العري والخراطيم^(٣) ، والكأس هو الكوب إذا كان فيه شراب^(٤) ، وهذا الكأس مليء بالشراب ، كما قال تعالى: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ [النبا: ٣٤] أي مليئة مترعة متتابعة ، وهذا من كمال النعيم ، فلا ينقصهم شيء حتى الكؤوس مليئة ، وقال تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نُقْدِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦] القوارير الزجاج ، أي هي في صفاء الزجاج ، وهي من فضة ، وهذا ما لا نظير له في الدنيا^(٥) .

وهي معدة على قدر كفاية ولي الله في شربة لا تنقص عن كفايته شيء ولا تزيد ، فقد قدروها تقديرًا ، وهذا أبلغ في لذة الشارب ، فلو نقص عن ربه لنقص التذاده ، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامة من الباقي ، وهذا يدل على الاعتناء والشرف^(٦) . وقال رسول الله ﷺ : « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَابَجَ ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا ، فَإِنَّهَا

(١) لسان العرب (١ / ٧٢٩) .

(٢) البخاري رقم (٣٠٧٣) .

(٣) صفة الجنة لابن كثير ص (١١٣) .

(٤) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (٧٢٩) .

(٥) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٠٩) .

(٦) صفة الجنة لابن كثير ص (١٠٣) بتصرف .

لهم في الدنيا ، ولنا في الآخرة»^(١) . وقال رسول الله ﷺ : « جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »^(٢) .

٤ - لباس أهل الجنة وحليهم:

لا عُزِيَ في الجنة قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ (١١٧) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿ طه : ١١٨ - ١١٩ ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبَاسُ ، لَا تَبَلُّ ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ »^(٣) .

ولهم أفضل أنواع اللباس فمن ذلك :

الحرير : بأنواعه الرقيق منه والغليظ قال تعالى ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢] وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٣١] وقال سبحانه : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الدخان : ٥٣] .

والسندس مارق من الديباج والحرير ، والاستبرق ما غلظ منه ، وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس ، والتلذذ به^(٤) . وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] تأمل ما دلّت عليه لفظة ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يُجَمَلُ ظاهراً ، ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال^(٥) .

(١) البخاري رقم (٥١١٠) مسلم (٢٠٦٧) .

(٢) البخاري رقم (٤٥٩٧) مسلم رقم (١٨٠) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٣٦) .

(٤) حادي الأرواح ص (٢٣٧) .

(٥) المصدر نفسه ص (٢٣٨) .

وأما حلبيهم وأساورهم فهي كالتالي :

الذهب : قال تعالى: ﴿يُكَلِّفُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الحج: ٢٣] .

الفضة : ﴿وَحُلُوءَ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] .

اللؤلؤ: قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣] فأساورُ أهل الجنة بعضها من الفضة ، وبعضها من ذهب ، وبعضها من لؤلؤ ، قال تعالى: ﴿يُكَلِّفُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] ^(١) .

٥ - فرش أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] ففرشُ أهل الجنة باطنها من حرير ، فإذا كان هذا باطنها ، فكيف هو ظاهرها؟ وهذه الفرش عالية لها سُمْكٌ وحشو بين البطانة والظاهرة ، كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣٤] .

٦ - بسط أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦] والزرابي جمع زريبة وهي البسط ^(٢) ، وهو مبثوثة على شكل متسقٍ ومتكاملٍ ، وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] العبقري: البسط الجياد ، والرُفْرُف: رياض الجنة ^(٣) .

٧ - الوسائد:

قال تعالى: ﴿وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ ^(١٥) وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ [الغاشية: ١٥-١٦] النمارق: جمع نمرة وهي الوسادة ، وهي التي توضع تحت الرأس ، وقيل المساند ، وهي التي توضع خلف الظهر أو على الجنب . وقد يعمهما اللفظ ^(٤) . وهذه المخاد

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦١١) .

(٢) لسان العرب (١ / ٤٤٧) .

(٣) البعث والنشور للبيهقي ص (١٨٣) .

(٤) صفة الجنة لابن كثير ص (١٢٣) .

والوسائد مصفوفة ومعدة للاستناد إليها دائماً ، وترتيب الوسائد وصفها أجمل للناظر من المبعثرة ، وهكذا وسائد أهل الجنة ، فينعمون حتى بالنظر^(١) .

٨- سرر وأرائك أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] السرر: جمع سرير وهو الذي يجلس عليه^(٢) .

وذكر الله تعالى لهذه السرر ثلاث صفات:

قال تعالى: ﴿سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ، وليس بعضها خلف بعض ، ولا بعيد عن بعض .

وقال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [١٥ - ١٦] موضونة: أي مرصعة ، ومتقاربة ، ومنسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدُر والياقوت والزبرجد^(٣) .

وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]^(٤) .

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١] وقال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١] وقال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣] وقال تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [٢٣ - ٢٤] تعرف في وجوههم نضرة النعيم [المطففين: ٢٣ - ٢٤] وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [٣٤ - ٣٥] الأرائك جمع أريكة ، قال ابن عباس : لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة^(٥) ، وقال مجاهد هي الأسرة في الحجال^(٦) ، والحجال: القبة من

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦١٣) .

(٢) لسان (٣٦١ / ٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦١٤) .

(٣) المصدر نفسه ص (٦١٤) .

(٤) المصدر نفسه ص (٦١٤) .

(٥) البعث والنشور للبيهقي ص (١٨٢) .

(٦) المصدر نفسه ص (١٨٢) .

القماش تكونُ على السريرِ مثلما يُصنَع للعروسِ على سريرها من ضربِ الستور والأقمشة على شكل القبة وتعلّق فوق السرير^(١) ، فالأريكةُ سريرٌ عليه الستور ، يخلو به المؤمنُ بحبّه^(٢) .

٩ - خدم أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٨] وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩] يطوفُ عليّ أهل الجنة للخدمة وِلْدَانٌ من ولدانِ أهل الجنة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي على حالة واحدة مخلدون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩] أي إذا ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾ في انتشارهم في قضاء حوائج السادة ، وكثرتهم ، وصباحة وجوههم ، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن^(٣) .

١٠ - سوق أهل الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا ، يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُوا فِي وَجْهِهِمْ وَثِيَابَهُمْ ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ أَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُونَ : أَنْتُمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»^(٤) .

والمراد بالسوقِ مجمّع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق ، ومعنى يأتونها كلّ جمعة ، أي مقدار كل جمعة ، أي أسبوع ، وليس هناك حقيقةً أسبوعٌ ، لفقد الشمس والليل والنهار^(٥) .

(١) لسان العرب (١١ / ١٤٤) .

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦١٥) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٥٦) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٣٣) .

(٥) النووي على مسلم (١٧ / ١٧٠) .

١١ - سماع أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] وقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠] .

قال يحيى بن أبي كثير: الحَبْرَةُ: اللذة وسماع الغناء^(١) ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال ابن عباس رضي الله عنه : شُغْلُهُمْ بسماع الأوتار^(٢) . وقوله ﴿فَاكِهُونَ﴾ الفكاهة المزاح والكلام الطيب والمتفكه المتنعم^(٣) . وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِمَجْتَمَعًا لِلْحَوْرِ الْعَيْنِ ، يرفعن أصواتاً لم يَسْمَعِ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا ، قال يقلن : نحنُ الْخَالِدَاتُ فلا نبئدُ ، ونحنُ الناعماتُ فلا نَبْؤُسُ ، ونحنُ الراضياتُ فلا نَسْخَطُ ، طوبى لمن كان لنا وَكُنَّ لَهُ »^(٤) وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَغْنَيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ ، ما سمعها أحدٌ قطُ ، وَإِنَّ مِمَّا يَغْنَيْنَ : نحنُ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كَرَامٍ ، ينظرنَ بقرّةِ أعيانٍ ، وَإِنَّ مِمَّا يَغْنَيْنَ بِهِ : نحنُ الْخَالِدَاتُ فلا يَمُتُّنَّ ، نحنُ الْآمَنَاتُ فلا يخفنَّ ، نحنُ الْمُقِيمَاتُ فلا يظعننَّ »^(٥) . وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْحَوْرَ الْعَيْنَ لَيَغْنَيْنَ فِي الْجَنَّةِ ، يقلنَ : نحنُ الْحَوْرُ الْحَسَنَاتُ ، جئنا لأزْوَاجٍ كَرَامٍ »^(٦) .

١٢ - لهم ما اشتتهت نفوسهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢] وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧] وقال جل ذكره: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَأَنَّ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٦] وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤] وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ

(١) البعث والنشور للبيهقي ص (٢١١) حادي الأرواح ص (٢٩١) .

(٢) تفسير ابن كير (٣ / ٥٧٥) .

(٣) تفسير القرطبي (١٥ / ٣١) .

(٤) صفة الجنة لابن كثير ص (١٣٧) سنده صحيح بشواهد .

(٥) صحيح الجامع الصغير للألباني رقم (١٥٥٧) .

(٦) البعث والنشور للبيهقي ص (٢١١) .

بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾
[الزخرف: ٧١] .

١٣ - الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الجنة:

الدُّنْيَا تُذَمُّ إِذَا كَانَتْ شَاغِلًا عَنِ الْآخِرَةِ ، أَمَّا إِذَا جَعَلَهَا الْعَبْدُ مَعْبَرًا وَمَدْخَلًا لِّلنَّيْلِ الْآخِرَةِ ، فَالْأَمْرُ لَيْسَ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَى الصَّالِحِينَ مِنْ قَوْمِ قَارُونَ عِنْدَمَا أُنْسَتْهُ أَمْوَالُهُ الْآخِرَةَ قَالُوا لَهُ : ﴿ وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِكْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧] فلم يأمره بترك الدنيا كلها ، بل قالوا له : ﴿ وَلَا تَنْسِكْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وأقرهم ربُّ العزة على هذه الكلمة ، وسطرها في كتابه عنواناً لمنهج رباني^(١) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

الحادي عشر: الحور العين:

١ - جمال وحسن الحور العين:

شبه الله تعالى الحور العين بثلاث تشبيهات :

١ - قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرَفِ عَيْنٌ ﴾ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ [الصفات: ٤٨ - ٤٩] قيل إنه بَيْضُ النِّعَامِ المكنون في الرمل ، وهو عند العرب أحسن ألوانِ البياض ، وقيل : المراد بها اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفة^(٢) .

٢ - وقال تعالى : ﴿ وَحُورٌ عَيْنٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٢﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣] : المكنون: أي المحبأ ، الذي لم يغيّر صفاء لونه ضوء الشمس ولا عبث الأيدي ، ولم تؤثر على لونه ، فاللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صدفة^(٣) ، وهو في هذه الحال في غاية ما يكون من الحسن والجمال ، فشبهه الله

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٢٦) .

(٢) صفة الجنة لابن كثير ص (١٢٧) .

(٣) التسهيل لابن جزي (٢ / ٣٧٧) .

تعالى الحور العين باللؤلؤ المكنون لحسنهن وبهائهن ، ونظافتهن ، وحسن منظرهن ، وملبسهن ، وبياض الحور العين غاية في البياض ، حتى إن إحداهن لو خرجت إلى الدنيا لملاً نورها أرجاء المعمورة^(١) ، قال رسول الله ﷺ : « ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحاً ، ولكنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها^(٢) . والنصيف هو الخمار ، فإذا كان الخمار خيراً من الدنيا وما فيها فما بالك بالتي تلبس الخمار »^(٣) .

٣ - وقال تعالى: ﴿ كَانَتْ أَزْوَاجُ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُرْجَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٨] الياقوت والمرجان حجران كريمان جميلان ، ولهما منظر حسن بديع ، فشبهن في صفاء الياقوت وبياض المرجان^(٤) .

٢ - صفاتهن الخلقية:

قاصرات الطرف: قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْهُنَّ ذُكُورٌ مُبِينٌ وَلَا جُنَّ ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾^(٥) كانهن بيض مكنون^(٦) [الصافات: ٤٨ - ٤٩] ، وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَنْزَابٌ ﴾ [ص: ٥٢] والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يطمحن إلى غيرهم ، قال مجاهد : قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم . وقيل : قصرن طرف أزواجهن عليهن ، فلا يدعهن حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن^(٧) .

متحبات: قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴾^(٨) فجعلنهن أبكاراً^(٩) عرباً أنزَاباً^(١٠) [الواقعة: ٣٥ - ٣٧] عُرُب : جمع عروبة^(١١) أو عربة أو عروب ، وهي المرأة الحسنة المتوددة المتحبة لزوجها ، العاشقة له^(١٢) .

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة ص (٦٢٧) .

(٢) البخاري رقم (٢٦٤٣) .

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٢٨) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢٧٨ / ٤) .

(٥) حادي الأرواح لابن القيم ص (٢٦١) .

(٦) مفردات القرآن ، للراغب ص (٥٥٧) .

(٧) لسان العرب (٥٩١ / ١) .

جميع الأخلاق الحسنة الطاهرة : قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] طهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبذاء ، وطهر طرفها من أن تطمع لغير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ ^(١) .

٣ - صفاتهن الخلقية:

أ - مطهرات من الأنجاس :

قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] أي من الحيض ، والنفاس ، والبول ، والغائط ، والبصاق ، والمخاط ، والنخامة ، والمني ، والمذي ، والحدث ، وكل قدر وأذى يكون في نساء الدنيا ^(٢) ، بل حتى إذا وطئها زوجها رجعت بعد نزعه طاهرة مطهرة ، وقال رسول الله ﷺ أنه سئل : أنطأ في الجنة ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة » ^(٣) .

ب - حور عين : قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ رَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: ٥٤] . الحور جمع حوراء ، وهي المرأة الشابة الحسنة الجميلة ، نقية اللون والجلد لبياضها ^(٤) . وهذا اللفظ مشتق من الحور ، والحور أن يشتد بياض العين ، ويشدد سواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها مع شدة بياض الجسد ، ولا تكون السمراء حوراء ، قال الأزهري : لا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينها بياض لون الجسد ^(٥) ، وقيل : إن لفظ الحوراء مشتق من الحيرة ، لأن الناظر إليها يحار

(١) حادي الأرواح لابن القيم ص (٢٥٨) .

(٢) البدور السافرة ص (٥٥٤) حادي الأرواح ص (٢٥٨) .

(٣) ابن حبان وسنده حسن ، انظر تحقيق صفة الجنة ص (١٤٣) .

(٤) حادي الأرواح ص (٢٥٨) .

(٥) لسان العرب (٢١٩ / ٤) .

من شدة جمالها ، قال مجاهد: الحور التي يحارُّ الطرف فيها^(١) ، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الطَّرَفِ عَيْنٌ﴾ [الصفات: ٤٨] وعَيْنٌ: جمع عيناء ، وهي الواسعة العَيْن^(٢) ، وجمعت أعينهنَّ مع السعة صفات الحسن والملاحة^(٣) .

ج - أتراب في السن: قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الطَّرَفِ أَرَابٌ﴾ [ص: ٥٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً﴾ ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَجْبَارًا﴾ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧] أترابٌ: أي أقران ، أسنانهن واحدة ، مستويات على سن واحدة ، وميلاد واحد من الشباب والحسن ، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهنَّ أنهنَّ ليس فيهن عجائز قد فات حسنهنَّ ، ولا ولائد لا يطقن الوطء^(٤) .

د- أبكار: كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً﴾ ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَجْبَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦] والبكر أفضل من الثيب ، فالأرض التي لم يُرْعَ فيها خيرٌ من أرضٍ قد رُعيَ فيها ، وهذه البكارة تعودُ كلما قام عنها زوجها ، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً ، فإذا قام عنها رجعت مطهرةً بكرًا»^(٥) .

هـ - كواعب: قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبُ أَتْرَابًا﴾ [النبا: ٣٣] كواعبٌ: جمع كاعب ، الكاعبُ هي المرأة التي تكعب ثديها ، أي نهد واستدار^(٦) ، والمراد أنَّ ثديهنَّ نواهد كالرمان ، ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمين : نواهد وكواعب^(٧) .

وحسبك شهادة لجمالهنَّ الباهر ، وأنَّه بلغ الغاية في الحسن ، والمنتهى في الجمال ؛ إنَّ الله تعالى شهد بهذا فقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنًا﴾ [الرحمن: ٧٠] وحسَنٌ جمع حسناء^(٨) .

(١) البعث والنشور ص (٢٠٣) .

(٢) لسان العرب (٣٠٢ / ١٣) .

(٣) حادي الأرواح ص (٢٥٩) .

(٤) حادي الأرواح لابن القيم ص (٢٦١) .

(٥) ابن حبان وسنده حسن ، تحقيق صفة الجنة لابن كثير ص (١٤٣) .

(٦) لسان العرب (٧١٩ / ١) المفردات للراغب ص (٧١٣) .

(٧) حادي الأرواح لابن القيم ص (٢٦٧) .

(٨) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٣٢) .

٤ - غيرة الحور العين:

قال رسول الله ﷺ: « لا تُؤذي امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحُورِ العِينِ: لا تؤذيهِ قاتلك اللهُ ، فإنما هو دخیلٌ عندك ، يوشكُ أن يفارقكِ إلينا»^(١).

٥ - يُعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل:

عن زيد بن أرقم قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ من اليهود فقال: يا أبا القاسم ؛ ألسنتُ تزعمُ أنَّ أهلَ الجنة يأكلونَ فيها ويشربونَ - وقال لأصحابه: إن أقر لي بهذه خصمته - قال: فقال رسول الله ﷺ: « بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليُعطى قوة مئة رجلٍ في المَطْعَمِ والمَشْرَبِ والشَّهْوَةِ والجَمَاعِ » .

وقال: فقال له: اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة .

قال: فقال رسول الله ﷺ: « حاجة أحدهم عرقٌ يفيضُ من جلودِهِم مثل ريح المسكِ فإذا البطنُ قد ضَمَرَ »^(٢).

والتمتع بالحور العين يكون بالملامسة ، والحديثُ معهنَّ وسماعُ غنائهن ، والتلذذُ بجمالهن ، والتمتع بشم رائحتهن الزكية .

فالملامسة: وما يصاحبها من مقدماتٍ وضمٍّ وتقبيل ، وهذا لازمُ الملامسة قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٦] ، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم: شُغْلُهُم افتضاضُ الأَبْكَارِ^(٣) .

الحديث معهن: ومن معاني قوله تعالى: ﴿ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ أي مشغولٌ بمحادثتها ، وكلامها ، ومسامرتها ، وممازحتها ، ومذهول من طيب كلامها ،

(١) صحيح الجامع الصغير رقم (٧٠٦٩) .

(٢) أحمد رقم (١٩١٦٥) سنده صحيح .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥ / ٣٠) .

ومشغول بها عن الالتفات لغيرها^(١) ، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ : قوله : ﴿ فَكَيْهُونَ ﴾ : الفاكهة المزاج والكلام الطيب ، والمتفكه : المتنعم^(٢) .

سماع غنائهن : قال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠] الحبرة اللذة وسماع الغناء^(٣) .

التلذذ بجمالهن : إِنَّ من صفاتِ الحور العينَ أَنَّهُنَّ ﴿ قَصُرَتْ الطَّرْفُ عَيْنٌ ﴾ [الصفات: ٤٨] ومن معانيه أَنَّهُنَّ قُصِرَتْ أَعْيُنُ أَزْوَاجِهِنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ شِدَّةِ جَمَالِهِنَّ ، فلا يطمعُ بغيرِها ، ولا يلتفتُ عنها ، ولا يبتغي سواها ، قد شغفتُهُ حُبًّا ، وامتلأ قلبه من حُبِّها ، واكتنزَ وفاضَ حتى غمر جوارحه ، فلا ينظر لسواها ، وهذا من النعيم الكامل ، واللذة التامة ، حتى العين لها نصيبٌ وافر من النعيم واللذة^(٤) ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١] .

التمتع بشم رائحتهن الزكية : لاشكَّ أَنَّ الرائحةَ الطيبةَ في المرأةِ يزيدُها حبًّا لزوجها ، وهو من كمالِ اللذة ، والاستمتاعِ بهنَّ ، والحورُ العينُ لهنَّ من ذلك أوفرُ نصيبٍ ، حيثُ إِنَّ عبقَ طيبِها لو خرجَ إلى الأرضِ لملاها مسكاً^(٥) ، قال رسولُ الله ﷺ : « لروحةٌ في سبيلِ اللهِ أو غدوةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولقابُ قوسٍ أحدكم من الجنةِ أو موضعٌ قيد - يعني سوطه - خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو أَنَّ امرأةً من أهلِ الجنةِ اطلعتْ إلى أهلِ الأرضِ لأضاءتْ ما بينها ولملأته ريحاً ، ولنصيفُها على رأسِها خيرٌ من الدنيا وما فيها »^(٦) .

إذن يكونُ التمتعُ بهنَّ بالحواسِّ الخمسِ جميعاً ، وهذا من أعظمِ النعيمِ ، حيثُ يفيضُ التمتعُ على جميعِ أجزاءِ جسدهِ ، ويغمرُ كلَّ ذرَّةٍ في جسمه^(٧) .

(١) اليوم الآخر المطيري ص (٦٣٤) .

(٢) تفسير القرطبي (٣١ / ٥١) .

(٣) البعث والنشور للبيهقي ص (٢١١) .

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٣٦) .

(٥) المصدر نفسه ص (٦٣٦) .

(٦) البخاري رقم (٢٦٤٣) .

(٧) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٣٧) .

الثاني عشر - أفضل ما يعطاه أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم:

إنَّ مسألة رؤية المؤمنين لربهم عز وجل بالأبصار في الدار الآخرة من أشرف المسائل وأجلها ، إذ هي الغاية القصوى ، والنهاية العظمى ، وأعلى الكرامات ، وأفضل الأعطيات التي شمر إليها السابقون ، وتنافس فيها المتنافسون ، واجتهدوا في نيلها العابدون ، وقد تضافرت النصوص من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة ، على أن المؤمنين يرون الله عز وجل بأبصارهم ، كما يرون القمر ليلة البدر^(١) .

والآيات التي تدل على رؤية الله تعالى كثيرة ، وهي أنواع منها:

١ - آيات المزيد:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] وقال رسول الله ﷺ: « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » ، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ: « الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن » وهذا الحديث متواتر يقطع بصحته^(٣) .

وقال تعالى: ﴿لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وعن عليٍّ وأنس رضي الله عنهما أن تفسير هذه الآية النظر إلى وجه الرحمن^(٤) . قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ كقوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥) .

(١) أقوال التابعين ، عبد العزيز عبد الله (١٠٦٦ / ٣) .

(٢) مسلم رقم (١٨١) .

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص (٢٥٣) .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكاني (٥١٩ / ٣) .

(٥) تفسير ابن كثير (٢٢٨ / ٤) .

٢ - الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] الناصرة: الحسنة ، حسنها الله بالنظر إلى ربها عز وجل ، وحق لها أن تنصّر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله^(١) ، وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ هذا من النظر ؛ أي: إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة ، أي تنظر إليه ، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر^(٢) .

٣ - آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه:

بين سبحانه في بعض الآيات أنه يحرم الكفار من النظر إليه عقوبة لهم على كفرهم ، وهذا يدل بمفهومه على أن المؤمنين يرونه سبحانه ، إذ لو كان المؤمنون لا يرونه أيضاً ، لما كان لتخصيص الكفار بالحرمان فائدة ، بل أصبح هذا الكلام من العبث الذي ينزه عنه الشارع .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَيَأْمَنُ بِهِمْ ثُمَّ قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ أَلْقَيْكُمُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وفي هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة ، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة ، ولا حسنت منزلة الكفار بأنهم يحجبون ، وقال مالك بن أنس في هذه الآية : لما حجب أعداءه فلم يروه ، تجلّى لأوليائه حتى رأوه .

وقال الشافعي : لما حجب قوماً بالسخط ، دلّ على أن قوماً يرونه بالرضا ، ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربّه في المعاد لما عبده في الدنيا^(٣) .

(١) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (١٠٧٤ / ٣) .

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣٣٦ / ٥) . وسيأتي الحديث بلفظه في الفقرة (٦) التالية ص (٣٠٩) .

(٣) تفسير القرطبي (١٧١ / ١٩) بتصرف .

وعن أشهب قال : سأل رجلٌ مالكا : هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ؟ فقال مالك : لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب ، فقرأ : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ فقيل له : يا أبا عبد الله فإن قوماً يزعمون أن الله لا يرى ، فقال مالك : السيف السيف^(١) .

٤ - آيات العندية:

عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال : أما إننا قد سألناه عن ذلك . - يعني رسول الله ﷺ - فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا فقالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا »^(٢) .

٥ - آيات الملاقة :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وقال تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وقال تعالى : ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا اسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنِ اجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبِّهِمْ وَلَكَئِيْزِكُمْ قَوْمًا جَهْلُونَ ﴾ [هود: ٢٩] وقال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقَوُاْ اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال ابن مسعود: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يخبر أحداً^(٣) وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقَوُاْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥١٨ / ٣) للألكاني .

(٢) مسلم رقم (١٨٨٧) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص (٦٤٤) .

(٣) حادي الأرواح ص (٣٧٢) .

رَجِعُونَ» [البقرة: ٤٦] قال ابن القيم: وأجمع أهل اللسان على أَنَّ اللقاء متى نُسِبَ إلى الحيِّ السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية^(١).

٦- الأحاديث النبوية في الرؤية:

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عزَّ وجلَّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكنُ دفعُها ولا منعُها^(٢)، وذكر في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» أَنَّ أحاديث الرؤية وردت مرفوعةً من طريق ثمانية وعشرين صحابياً، ثم سرد أسماءهم^(٣).

وقال ابنُ أبي العزِّ الحنفي: وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفةً يقطعُ بأنَّ الرسول ﷺ قالها^(٤)، ومن هذه الأحاديث:

☆ ما رواه أبو سعيد رضي الله عنه أَنَّ أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنَا يومَ القيامةِ؟ قال النبي ﷺ: «نعم، هل تضارَّونَ في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوءٌ ليس فيها سحابٌ؟»، قالوا: لا، قال: «هل تضارَّونَ في رؤية القمر ليلةَ البدر، ضوءٌ ليس فيها سحابٌ؟»، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تضارَّونَ من رؤية الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ إلَّا كما تضارَّونَ في رؤية أحدهما»^(٥).

☆ عن أبي هريرة أَنَّ ناساً قالوا لرسولِ الله ﷺ: يا رسولَ الله هل نرى ربَّنَا يومَ القيامةِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «هل تضارَّونَ في رؤية القمر ليلةَ البدر؟»، قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: «هل تضارَّونَ في الشمس ليس دونها سحابٌ؟»، قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: «فإنَّكم ترونه كذلك»^(٦).

☆ وعن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «إنَّكم سترون ربَّكم عياناً»^(٧).

(١) حادي الأرواح ص (٣٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٠ / ٤).

(٣) نظم المتناثر للكتاني ص ٢٥٠ حادي الرواح ص (٣٣٧).

(٤) شرح الطحاوية (٢١٧ / ١).

(٥) البخاري رقم ٤٥٨١.

(٦) البخاري رقم (٦٥٧٣)، مسلم رقم (١٨٢).

(٧) البخاري رقم (٦٩٩٨).

٧ - رضوان الله أكبر :

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم وأكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فيقول: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً»^(١).

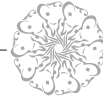
الثالث عشر - آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين:

بعد انقضاء الحساب تحمّد الملائكة ربّها: قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] .

وأما المؤمنون بعد دخولهم الجنة فيقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الزمر: ٢٤-٣٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] وآخر دعواهم في جنّات النعيم: الحمد لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] .

* * *

الخاتمة



وبعد: فهذا ما يسره الله لي من حديث عن اليوم الآخر ، مما تضمنه هذا الكتاب ، وقد سميتُهُ «الإيمان باليوم الآخر» . فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ ، فله الحمد والمِنَّة ، وما كان فيه من خطأ ، فأستغفرُ الله تعالى وأتوبُ إليه ، واللهُ ورسولُه بريئان منه ، وحسبي أني كنتُ حريصاً ألا أقع في الخطأ ، وعسى ألا أُحرمَ من الأجر . وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان ، وأن يذكرني مَنْ يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه ، فإنَّ دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى ، وأختمُ هذا الكتابَ بقول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] .

وبقول الشاعر^(١) :

بيني وبينك حرمةُ القرآنِ
واعصم به قلبي من الشَّيْطانِ
وأجر به جَسَدِي مِنَ الثَّيَرَانِ
واشدُّ به أزرِي وأصلح شَانِي
وأربح به بَيْعِي بِلا خُسْرَانِ
أجمل به ذِكْرِي وأعل مَكَانِي
كثر به وَرَعِي وأحي جَنَانِي
أسبل بفيض دُمُوعِهَا أَجْفَانِي
واغسل به قلبي مِنَ الأضْغَانِ
وهديتني لشرائع الإِيمَانِ

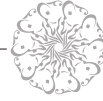
يا مُنْزِلَ الآياتِ والفُرْقَانِ
اشرخ به صدرًا لمعرفة الهدى
يسر به أُمْرِي واقض مَارَبِي
واحطط به وَزْرِي وأخلص نِيَّتِي
واكشف به ضُرِّي وحقَّق تَوْبَتِي
طهر به قلبي وصف سريرتِي
واقطع به طَمَعِي وشرف همَّتِي
أسهر به لَيْلِي وأظلم جَوَارِحِي
أمزجه يا ربِّ بلحمي مع دَمِي
أنت الذي صوّرتني وخلقْتَنِي

وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ
 مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ يَدٍ وَلَا دُكَّانٍ
 وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخُذْلَانِ
 وَالْعُطْفِ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
 وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي
 حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي
 لِأَبِي السَّلَامِ عَلِيٍّ مَنْ يَلْقَانِي
 وَلُبُّوتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهِوَانٍ
 وَحَلِمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي
 بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي
 مَالِي بِشُكْرِ أَقْلَهُنَّ يَدَانٍ
 حَتَّى شَدَدْتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي
 حَتَّى يَقْوَى أَيْدُهَا إِيْمَانِي
 وَلِتَّخِذِمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي
 وَلَا شُكْرَنَّكَ سَائِرَ الْأَحْيَانِ
 وَلَا شُكُونََ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي
 مِنْ دُونَ قَصْدِ فَلَانَةٍ وَفُلَانٍ
 بِحُسَامِ يَأْسٍ لَمْ تَشْبُهُ بَنَانِي
 وَلَا ضَرْبَنَ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي
 وَلَا قُبُضَنَ عَنِ الْفُجُورِ عَنَانِي
 وَلَا جَعَلَنَ الرُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي
 وَلَا حَرِقَنَ بِنُورِهِ شَيْطَانِي

أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحَّمْتَنِي
 أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي
 وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي
 أَنْتَ الَّذِي أَوْيَيْتَنِي وَحَبَّوْتَنِي
 وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً
 وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا
 وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَةِ شَائِعًا
 وَاللَّهُ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي
 وَلَا عَرَضُوا عَنِّي وَمَلَّوْا صُحْبَتِي
 لَكُنْ سَتَرْتَ مَعَايِي وَمَثَالِي
 فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا
 وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعَمِ
 فَوْحٍ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي
 لئِنْ اجْتَبَيْتَنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةً
 لَأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً
 وَلَا ذُكْرَتَكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا
 وَلَا كُتْمَنَ عَنِ الْبَرِيَّةِ خِلَتِي
 وَلَا قَصْدَتَكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي
 وَلَا حَسَمَنَ عَنِ الْأَنَامِ مَطَامِعِي
 وَلَا جَعَلَنَ رِضَاكَ أَكْبَرَ هَمَّتِي
 وَلَا كُسُونََ عِيُوبِ نَفْسِي بِالتَّقَى
 وَلَا مَنَعَنَ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا
 وَلَا تَلَوْنَ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

فهرس الموضوعات



الإهداء	٥
المقدمة	٧

الفصل الأول

حقيقة الروح والموت وحياة البرزخ

المبحث الأول: حقيقة الروح	١٩
١- الروح في القرآن	٢١
٢- هل الروح قديمة أم مخلوقة	٢٢
٣- هل النفس هي الروح	٢٤
٤- مراتب النفوس	٢٥
٥- هل تموت الأرواح؟	٢٦
٦- هل للروح كيفية تعلم؟	٢٦
٧- قبض الروح بالنوم	٢٦
٨- فتح باب التوبة إلى الغررة	٢٧
٩- كيفية نزاع الروح	٢٨
١٠- خروج روح المؤمن واحتضاره	٢٩
١١- خروج روح الكافر واحتضاره	٣٢
المبحث الثاني: الموت	٣٧
أولاً: الحكمة من الموت	٣٩
ثانياً: ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان	٤٠

- ثالثاً: حسن الخاتمة أسبابها وعلاماتها ٤٢
- أ- أسباب حسن الخاتمة ٤٢
- ١- إقامة التوحيد (جلّ وعلا) ٤٢
- ٢- الاستقامة ٤٢
- ٣- التقوى ٤٣
- ٤- الصدق ٤٣
- ٥- التوبة ٤٤
- ٦- الدعاء ٤٥
- ٧- قصر الأمل والتفكير في حقارة الدنيا ٤٥
- ٨- الإكثار من ذكر الموت ٤٦
- ٩- غلبة الرجاء وحسن الظن بالله ٤٧
- ١٠- البعد عن أسباب سوء الخاتمة ٤٨
- ب- من علامات حسن الخاتمة ٤٨
- رابعاً: من أسباب سوء الخاتمة ٤٨
- أ- أسباب سوء الخاتمة ٤٨
- ب- علامات سوء الخاتمة ٤٩
- خامساً: قبض أرواح العباد ٤٩
- سادساً: الموت مكتوب على الخلائق ولا ينجو منه هارب ٤٩
- سابعاً: الآجال محدودة ٥١
- المبحث الثالث: حياة البرزخ ٥٣
- أولاً: الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر ٥٣
- ثانياً: فتنة القبر وسؤال الملكين ٥٥
- ١- اسم الملكين: منكر ونكير ٥٦
- ٢- عودة الروح إلى الميت عند السؤال ٥٦

- ٣- ما ينتفع به الميت من عمل الأحياء ٥٨
- ٤- بكاء السماء على الميت ٦٠
- ٥- ما يتبع الميت إلى قبره ٦٠
- ٦- القبر أول منازل الآخرة ٦٠
- ٧- نعيم القبر أو عذابه ينال من دُفِنَ ومن لم يُدْفَن ٦٠
- ٨- الحكمة من عذاب القبر ونعيمه ٦١
- ٩- هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟ ٦١
- ثالثاً: أسباب عذاب القبر ٦٣
- ١- الشرك بالله ٦٥
- ٢- النفاق ٦٥
- ٣- النميمة وعدم الاستتار من البول ٦٥
- ٤- الغلول ٦٥
- ٥- جرّ الإزار من الخيلاء ٦٥
- ٦- حبس المدين في قبره بدينه ٦٦
- ٧- عقوبة الآخذ بكتاب الله ثم رفضه والنائم عن الصلاة المكتوبة ٦٦
- ٨- عقوبة الكذب ٦٦
- ٩- عقوبة الزناة والزواني ٦٧
- ١٠- عقوبة آكل الربا ٦٧
- ١١- الإفطار في رمضان من غير عذر ٦٨
- ١٢- من حرمت رضيعها من ثديها ٦٨
- ١٣- حبس الحيوان وتعذيبه ٦٨
- ١٤- الذين يقولون ما لا يفعلون ٦٨
- ١٥- النياحة على الميت ٦٩
- ١٦- السرقة ٦٩

- ١٧- الإعراض عن ذكر الله ٦٩
- رابعاً: الأسباب المنجية من عذاب القبر ٦٩
- ١- توحيد الله ٧٠
- ٢- الاستقامة على طاعة الله عز وجل ٧٠
- ٣- الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات ٧١
- ٤- الشهادة في سبيل الله تعالى ٧٢
- ٥- الرباط في سبيل الله ٧٣
- ٦- التعوذ بالله من عذاب القبر ٧٣
- ٧- الدعاء ٧٤
- ٨- تجنب أسباب عذاب القبر ٧٤
- خامساً: مستقر الأرواح في البرزخ ٧٥
- ١- أرواح الأنبياء ٧٥
- ٢- أرواح الشهداء ٧٥
- ٣- أرواح المؤمنين ٧٥
- ٤- أرواح العصاة ٧٦
- ٥- أرواح الكفار ٧٦

الفصل الثاني

علامات الساعة الصغرى والكبرى والنفخ في الصور

- المبحث الأول: علامات الساعة الصغرى ٧٩
- أولاً: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية ٧٩
- ثانياً: علم الساعة ٨٠
- ثالثاً: قرب قيام الساعة ٨٠
- رابعاً: مجمل أشرط الساعة الصغرى ٨١
- المبحث الثاني: أشرط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ٨٥

- أولاً: نزول عيسى' ٨٥
- ثانياً: يأجوج ومأجوج ٨٧
- ثالثاً: الدخان ٨٨
- رابعاً: طلوع الشمس من مغربها ٨٩
- خامساً: خروج الدابة ٩٠
- سادساً: المهدي ٩٠
- سابعاً: المسيح الدجال ٩١
- ثامناً: الخسوفات الثلاثة ٩٥
- تاسعاً: النار التي تحشر الناس ٩٥
- المبحث الثالث: النفخ في الصور ٩٧
- أولاً: ما هو الصور؟ ٩٧
- ثانياً: أسماء الصوت الذي يخرج من الصور ٩٧
- ثالثاً: عدد النفخات ٩٨
- ١ - نفخة الفزع ٩٨
- ٢ - نفخة الصعق ٩٨
- ٣ - نفخة البعث ٩٨
- رابعاً: الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى' ١٠١
- خامساً: الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية ١٠١
- سادساً: الآيات التي تحتمل الأمرين ١٠٢

الفصل الثالث

البعث والحشر وأحوال يوم القيامة وأحوال الناس

- المبحث الأول: البعث ١٠٥
- أولاً: الاستدلال بمن أماتهم ثم أحياهم ١٠٥
- ١ - قوم موسى' ١٠٥

- ٢- المضروبُ بعضوٍ من أعضاء البقرة ١٠٥
- ٣- الذين خرجوا من ديارهم فأماتهم ثم أحياهم ١٠٦
- ٤- ما حصل لعزير ١٠٦
- ٥- سؤال إبراهيم عن كيفية إحياء الموتى ١٠٦
- ٦- ما أخبر الله عيسى من أنه كان يحيي الموتى ١٠٦
- ٧- ما أخبر الله من قصة أصحاب الكهف ١٠٦
- ثانياً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى ١٠٦
- ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان ١٠٨
- رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة ١٠٩
- خامساً: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر ١١٠
- سادساً: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء ١١١
- سابعاً: إخبار العليم الخبير وقوع القيامة ١١٢
- ثامناً: قياس البعث على النوم ١١٣
- تاسعاً: الفطرة تدل على البعث ١١٤
- عاشراً: أسماء يوم القيامة ١١٤
- المبحث الثاني: الحشر وأحوال يوم القيامة وأحوال الناس ١١٧
- أولاً: الحشر ١١٧
- أ- تعريف الحشر ١١٧
- ب- مكان الحشر (أرض الحشر) ١١٧
- ج- صفة الناس في الحشر ١١٨
- ثانياً: أحوال يوم القيامة ١٢٠
- ١- فك الأرض ونسف الجبال ١٢٠
- ٢- قبض الأرض وطي السماء ١٢١

- ٣- تفجير البحار وتسجيرها ١٢١
- ٤- مَوْران السماء وانفطارها ١٢٢
- ٥- تكوير الشمس ١٢٢
- ٦- خسف القمر ١٢٣
- ٧- تناثر النجوم ١٢٣
- ٨- تبديل الأرض ١٢٣
- ٩- سجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين ونزول الملائكة ١٢٤
- ثالثاً: أحوال الكفار يوم القيامة ١٢٥
- ١- ذلتهم وهوانهم وحسرتهم ويأسهم ١٢٥
- ٢- اسوداد وجوههم وتغيرها ١٢٦
- ٣- إحباط أعمال الكفار ١٢٦
- ٤- فضيحتهم أمام الخلائق ١٢٦
- ٥- تخاصم الكفرة في الموقف ١٢٦
- أ- تخاصم العابدين والمعبودين ١٢٦
- ب- تخاصم الأتباع مع القادة المضلين ١٢٧
- ج- تخاصم الضعفاء مع السادة والملوك ١٢٧
- د- تخاصم الكافر وقرينه ١٢٧
- هـ- تخاصم المرء مع أعضاءه ١٢٧
- ٦- مقتهم لأنفسهم ١٢٨
- ٧- صفة حشر الكفار إلى النار ١٢٨
- أ- حشرهم وهم عطاش ١٢٨
- ب- حشرهم عمياً وصماً وبكماً ١٢٨
- ج- يحشرون إلى جهنم على وجوههم ١٢٨
- د- حشرهم مع شياطينهم وهم جاثون على الركب ١٢٨

- رابعاً: أحوال عصاة الموحدين ١٢٩
- ١- الذين لا يؤدون الزكاة ١٢٩
- ٢- ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزكيهم ١٣٠
- ٣- الغلول ١٣١
- ٤- المتكبرون ١٣١
- ٥- الأثرياء المنعمون ١٣٢
- ٦- فضيحة الغادر ١٣٢
- ٧- غاصب الأرض ١٣٣
- ٨- ذو الوجهين ١٣٣
- ٩- الحاكم الذي يحتجب عن رعيته ١٣٣
- ١٠- الذي يسأل وله ما ينغنيه ١٣٣
- ١١- من كذب في حلمه ١٣٣
- خامساً: حال الأتقياء ١٣٤
- ١- لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون ١٣٤
- ٢- بياض وجوههم ١٣٤
- ٣- الذين يظلمهم الله في ظله ١٣٥
- ٤- الذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خلتهم ١٣٥
- ٥- الذين ييسرون على المعسرين ١٣٥
- ٦- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا ١٣٦
- ٧- الشهداء والمرابطون ١٣٦
- ٨- الكاظمون الغيظ ١٣٦
- ٩- عتق الرقاب المسلمة ١٣٦
- ١٠- فضل المؤذنين ١٣٧
- ١١- الذين يشيرون في الإسلام ١٣٧
- ١٢- فضل الوضوء ١٣٧

- المبحث الثالث : الشفاعة ١٣٩
- أولاً : تعريف الشفاعة ١٣٩
- ثانياً : الأدلة القرآنية والنبوية في ثبوت الشفاعة ١٣٩
- ثالثاً : أقسام الشفاعة في الآخرة ١٤٠
- ١ - الشفاعة الصحيحة ١٤٠
- ٢ - الشفاعة الباطلة ١٤١
- رابعاً : شروط الشفاعة ١٤١
- ١ - رضئ الله عن الشافع ١٤١
- ٢ - رضئ الله عن المشفوع ١٤١
- ٣ - إذن الله بالشفاعة ١٤١
- خامساً : أنواع الشفاعة ١٤٢
- ١ - الشفاعة العظمى ١٤٢
- ٢ - اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة ١٤٣
- ٣ - الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة ١٤٣
- ٤ - الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم ١٤٤
- ٥ - الشفاعة في أهل الكبائر ١٤٤
- ٦ - الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ١٤٥
- ٧ - شفاعة الرسول ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ١٤٥
- سادساً : الشفعاء غير النبي ﷺ ١٤٥
- ١ - الملائكة ١٤٥
- ٢ - الأنبياء والمؤمنون الصالحون ١٤٥
- ٣ - الشهداء ١٤٥
- ٤ - أولاد المؤمنين ١٤٦
- ٥ - القرآن الكريم ١٤٦
- سابعاً : الأسباب الجالبة للشفاعة ١٤٦

- ١- التوحيد وإخلاص العبادة لله ١٤٦
- ٢- الصيام ١٤٧
- ٣- الدعاء بما ورد عند الأذان ١٤٧
- ٤- سُكُنَى المدينة والصبر على لأوائها ١٤٧
- ٥- الصلاة على النبي محمد ﷺ ١٤٧
- ٦- صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم ١٤٧
- ٧- كثرة السجود ١٤٧
- المبحث الرابع : الحساب والميزان والحوض والصرط ١٤٩
- أ- الحساب ١٤٩
- أولاً : إيتاء العباد كتبهم ١٤٩
- ثانياً : سؤال كل الناس عن أعمالهم ١٥٠
- ثالثاً : الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة ١٥٣
- ١- الكفر والشرك ١٥٣
- ٢- كذبهم في حق الملائكة ١٥٣
- ٣- النعم الذي أنعم عليه في الدنيا ١٥٣
- ٤- العهود والمواثيق ١٥٣
- ٥- العلم والسمع والبصر والفؤاد ١٥٣
- ٦- إضلال المضلين للناس ١٥٣
- ٧- الدين ونصرته والقرآن والعمل به ١٥٣
- ٨- يسأل العبد عن صلاته ١٥٤
- ٩- سيسأل كل عبد عن أشياء ١٥٤
- رابعاً : القواعد التي يحاسب العباد على أساسها ١٥٤
- ١- عدل الله التام ١٥٤
- ٢- لا يحمل أحد ذنب أحد ١٥٤
- ٣- إطلاع العباد على ما قدموه من أعمال ١٥٤

- ٤ - مضاعفة الحسنات دون السيئات ١٥٥
- ٥ - تبديل السيئات حسنات ١٥٥
- خامساً: إقامة الشهود على الناس : ١٥٦
- ١ - شهود الملائكة ١٥٦
- ٢ - شهود الرسل عليهم ١٥٦
- ٣ - وتشهد أمة محمد ﷺ على الخلق ١٥٧
- ٤ - شهود نبينا محمد ﷺ ١٥٧
- ٥ - شهود جوارح الإنسان من الألسن والأيدي على نفسه ١٥٧
- ٦ - وتشهد الأرض ١٥٨
- ٧ - أعظم شهيد وأجل شهيد ١٥٨
- ٨ - شهودهم على أنفسهم ١٥٨
- سادساً: اقتصاص المظالم بين الخلق ١٥٩
- ١ - عظم شأن الدماء ١٦٠
- ٢ - أول ما يقضى بين العباد في الدماء ١٦٠
- ب - الحوض ١٦٠
- ج - الميزان ١٦٥
- ١ - دقة الميزان ١٦٥
- ٢ - المؤمنون هم المفلحون ١٦٦
- ٣ - الأعمال التي تثقل الميزان ١٦٦
- د - الصراط ١٦٧
- ١ - المؤمنون يشفعون لإخوانهم من النار ١٦٩
- ٢ - الأمانة والرحم على جنبتي الصراط ١٦٩
- ٣ - تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخولهم الجنة ١٧٠
- ٤ - عظة المرور على الصراط ١٧١

الفصل الرابع

النار والجنة

- المبحث الأول: مقدمات ١٧٥
- أولاً: خلود الجنة والنار ١٧٥
- ١- الجنة ١٧٥
- ٢- خلود النار ١٧٦
- ٣- هل المراد بالخلود طول المكث؟ ١٧٦
- ٤- هل تفتنى النار؟ وهل يموت أهلها؟ وهل يخففُ العذابُ عن أهلها؟ ١٧٨
- ثانياً: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن ١٧٩
- ثالثاً: مكان الجنة ١٨٠
- رابعاً: مكان النار ١٨١
- خامساً: أصحاب الأعراف ١٨٢
- المبحث الثاني: النار ١٨٥
- أولاً: أسماء النار ١٨٥
- ١- النار ١٨٥
- ٢- سعير ١٨٥
- ٣- جهنم ١٨٥
- ٤- لظى ١٨٥
- ٥- سقر ١٨٥
- ٦- الهاوية ١٨٦
- ٧- الحطمة ١٨٦
- ٨- الجحيم ١٨٦

- ثانياً: خزنة النار ١٨٧
- ١ - عدد خزنة النار ١٨٧
- ٢ - أسماء خزنة النار ١٨٨
- ٣ - صفاتهم ١٨٩
- ثالثاً: صفة النار ١٩٠
- ١ - أبواب النار ١٩٠
- ٢ - دركات النار ١٩٠
- ٣ - وقود النار ١٩٢
- ٤ - شدة حرّها وعظم دخانها وشرارها ١٩٢
- ٥ - النار تتكلم وتبصر وتغضب ١٩٣
- ٦ - وديان النار ١٩٣
- أ - وادي الويل ١٩٣
- ب - وادي الغي ١٩٤
- ج - وادي الموبق ١٩٤
- ٧ - جبال النار ١٩٤
- ٨ - سراق النار ١٩٥
- ٩ - سعة النار وبُعد عقرها وعظم عمقها ١٩٥
- ١٠ - وصف عذاب النار ١٩٦
- ١١ - كيفية دخول أهل النار إلى جهنم ١٩٧
- ١٢ - أول من تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة ١٩٨
- ثالثاً: ما أعدّ الله لأهل النار من عذاب ١٩٩
- ١ - شدة العذاب ١٩٩
- ٢ - إحاطة النار بأهلها ٢٠٠
- ٣ - قيود أهل النار وإغلاهم وسلاسلهم ومطارقهم ٢٠١
- ٤ - قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم ٢٠٢

- ٥- سجونُ أهل النار ٢٠٢
- ٦- طعامُ أهل النار ٢٠٣
- أ- النار ٢٠٣
- ب- الزقوم ٢٠٣
- ج- المهل ٢٠٣
- د- الغسلين ٢٠٤
- هـ- الضريع ٢٠٤
- و- طعام ذو غصة ٢٠٤
- ٧- شرابهم ٢٠٤
- أ- الحميم ٢٠٤
- ب- ماء الصيد ٢٠٥
- ج- ماء كالمهل ٢٠٦
- د- الغساق ٢٠٦
- ٨- لباس أهل النار ٢٠٦
- ٩- صور من عذابهم ٢٠٧
- أ- إنضاج الجلود ٢٠٧
- ب- الصهر ٢٠٧
- ج- اللفح ٢٠٧
- د- السحب ٢٠٨
- هـ- تسويد الوجوه ٢٠٩
- و- اندلاق الأمعاء في النار ٢٠٩
- ز- حياة جهنم ٢١٠
- ح- كثرة أهلها ٢١٠
- رابعاً: مطالب أهل النار في الآخرة ٢١١
- ١- طلب الفداء ٢١١

- ٢- طلب العودة إلى الدنيا لعلم الصالحات ٢١٣
- ٣- طلب الانتقام من الأولياء ٢١٧
- ٤- طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء ٢١٨
- ٥- طلب الخروج من النار ٢٢١
- ٦- طلب التخفيف من العذاب ٢٢٢
- ٧- طلب القضاء عليهم ٢٢٢
- ٨- طلب سقيا الماء والطعام ٢٢٢
- ٩- طلب النور ٢٢٣
- خامساً: جملة الجرائم التي تدخل النار ٢٢٣
- سادساً: أكبر جرائم المخلفين في النار ٢٢٤
- ١- الكفر والشرك ٢٢٤
- ٢- طاعة قرناء السوء ٢٢٤
- ٣- النفاق ٢٢٤
- ٤- الكبر ٢٢٤
- ٥- عدم القيام بالتكاليف الشرعية ٢٢٥
- سابعاً: أشخاص بأعيانهم في النار ٢٢٥
- ١- إبليس ٢٢٥
- ٢- قابيل ٢٢٥
- ٣- فرعون وجنوده ٢٢٥
- ٤- قارون وهامان ٢٢٦
- ٥- امرأة نوح وامرأة لوط ٢٢٦
- ٦- كفر الجن في النار ٢٢٦
- ٧- أحد أبناء نوح ٢٢٦
- ٨- قوم نوح ٢٢٧
- ٩- قوم عاد ٢٢٧

- ١٠- قوم ثمود ٢٢٧
- ١١- قوم لوط ٢٢٧
- ١٢- قوم شعيب ٢٢٧
- ١٣- بنو النضير من اليهود ٢٢٧
- ١٤- أبو لهب وامراته ٢٢٨
- ١٥- الوليد بن المغيرة ٢٢٨
- المبحث الثالث: موانع إنفاذ الوعيد ٢٢٩
- أولاً: التوبة ٢٢٩
- ثانياً: الاستغفار ٢٣٠
- ثالثاً: الحسنات الماحية ٢٣١
- رابعاً: دعاء المؤمنين ٢٣٢
- خامساً: إهداء القربات ٢٣٤
- سادساً: الشفاعة في أهل الكبائر ٢٣٧
- سابعاً: المصائب المكفرة ٢٣٨
- ثامناً: العفو الإلهي ٢٤٠
- المبحث الرابع: الجنة ٢٤٣
- أولاً: الطريق إلى الجنة ٢٤٣
- ١- التوبة ٢٤٥
- ٢- تركية النفس ٢٤٥
- ٣- التقوى ٢٤٥
- ٤- الصبر في البأساء والضراء ٢٤٥
- ٥- الجهاد في سبيل الله ٢٤٥
- ٦- الشهادة ٢٤٥
- ٧- الابتعاد عن الكبائر ٢٤٥
- ٨- إقامة الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى ٢٤٥

- ٩- التوكل على الله ٢٤٦
- ١٠- قيام الليل ٢٤٦
- ١١- خوف الله ٢٤٦
- ثانياً: هل الجنةُ ثمنًا للعمل؟ ٢٤٨
- ثالثاً: أولُ وآخرُ مَنْ يدخل الجنة ٢٥٠
- رابعاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب ٢٥١
- خامساً: أسماء الجنة: ٢٥٢
- ١- الجنة ٢٥٢
- ٢- جنة الخلد ٢٥٢
- ٣- جنة النعيم ٢٥٢
- ٤- جنة المأوى ٢٥٢
- ٥- جنات عدن ٢٥٢
- ٦- دار السلام ٢٥٢
- ٧- دار المتقين ٢٥٣
- ٨- دار الآخرة ٢٥٣
- ٩- الحسنَى ٢٥٣
- ١٠- دار المقامة ٢٥٣
- ١١- الفردوس ٢٥٤
- ١٢- المدخل الكريم ٢٥٤
- ١٣- حسن المآب ٢٥٤
- سادساً: صفة الجنة ٢٥٤
- ١- أبواب الجنة ٢٥٤
- ٢- قصور الجنة وخيامها ٢٥٥
- ٣- أشجار الجنة وثمارها ٢٥٧
- أ- الشجرة التي يسير الراكب فيها مئة عام ٢٥٨

- ب- سدرۃ الممتهىٰ ٢٥٨
- ج- شجرة طوبىٰ ٢٥٩
- ٤- درجات الجنة ٢٦٠
- ٥- أنهار الجنة ٢٦٢
- ٦- عيون الجنة ٢٦٣
- أ- عين الكافور ٢٦٤
- ب- عين السلسيل ٢٦٤
- ج- عين التسنيم ٢٦٥
- ٧- نور الجنة ٢٦٥
- ٨- ريح الجنة ٢٦٦
- ٩- تربة الجنة ٢٦٦
- ١٠- دواب الجنة وطيورها ٢٦٧
- ١١ - الجنة لا مثلاً لها ، وأنّها فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال ٢٦٨
- سابعاً: أصحاب الجنة ٢٦٩
- ١ - معرفة أهل الجنة لمساكنهم ٢٦٩
- ٢- هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ ٢٧٠
- ٣- أطفال المؤمنين ٢٧٠
- ٤- اجتماع أهل الجنة وحديثهم ٢٧١
- ٥- أعلىٰ أهل الجنة ٢٧٢
- ٦- أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة ٢٧٣
- ٧ - زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها المؤمن في الجنة ٢٧٤
- ٨- مؤمنو الجن يدخلون الجنة ٢٧٤
- ٩- ضحك أهل الجنة من أهل النار ٢٧٤

- ثامناً: سادة أهل الجنة ٢٧٥
- ١- الأنبياء والرسل ٢٧٥
- ٢- سادات الصحابة ٢٧٦
- ٣- سيدات نساء أهل الجنة ٢٧٧
- تاسعاً: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا ٢٧٩
- ١- متاع الدنيا قليل ٢٧٩
- ٢- هو أفضل من حيث النوع ٢٨٠
- ٣- الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها ٢٨١
- ٤- نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق ٢٨٢
- ٥- العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة ٢٨٢
- عاشراً: نعيم أهل الجنة ٢٨٣
- ١- طعام أهل الجنة ٢٨٣
- الفاكهة بجميع أنواعها ٢٨٣
- لحم الطير ٢٨٤
- ٢- شراب أهل الجنة ٢٨٤
- العسل واللبن والماء ٢٨٤
- الكافور ٢٨٥
- الزنجبيل ٢٨٥
- التسنيم ٢٨٥
- الخمر ٢٨٥
- ٣- آنية طعامهم وشرابهم ٢٨٦
- ٤- لباس أهل الجنة وحليهم ٢٨٨
- الحرير ٢٨٨
- الذهب ٢٨٩
- الفضة ٢٨٩

- اللؤلؤ ٢٨٩
- ٥- فرش أهل الجنة ٢٨٩
- ٦- بسط أهل الجنة ٢٨٩
- ٧- الوسائد ٢٨٩
- ٨- سرر وأرائك أهل الجنة ٢٩٠
- ٩- خدم أهل الجنة ٢٩١
- ١٠- سوق أهل الجنة ٢٩١
- ١١- سماع أهل الجنة ٢٩٢
- ١٢- لهم ما اشتته نفوسهم ٢٩٢
- ١٣- الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة ٢٩٣
- الحادي عشر: الحور العين ٢٩٣
- ١- جمال وحسن الحور العين ٢٩٣
- ٢- صفاتهن الخُلُقِيَّة ٢٩٤
- ٣- صفاتهن الخُلُقِيَّة ٢٩٥
- أ- مطهَّراتٌ من الأنجاس ٢٩٥
- ب- حور عين ٢٩٥
- ج- أتراب في السن ٢٩٦
- د- أبكار ٢٩٦
- هـ- كواعب ٢٩٦
- ٤- غيرة الحور العين ٢٩٧
- ٥- يعطي المؤمن في الجنة قوة مئة رجل ٢٩٧
- الثاني عشر: أفضل ما يعطاه أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم ... ٢٩٩
- ١- آيات المزيد ٢٩٩
- ٢- الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى ٣٠٠
- ٣- آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه ٣٠٠

٣٠١	٤- آيات العندية
٣٠١	٥- آيات الملاقة
٣٠٢	٦- الأحاديث النبوية في الرؤية
٣٠٣	٧- رضوان من الله أكبر
٣٠٣	الثالث عشر: آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين
٣٠٥	الخاتمة
٣٠٧	فهرس الموضوعات

* * *

السيرة الذاتية للمؤلف

د. علي محمد محمد الصلابي
مفكر ومؤرخ وفقيه



- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ - 1963 م.
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام 1993 م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1996 م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكن في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام 1999 م.
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.
- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفاً.

كتب صدرت للمؤلف

1. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
2. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
3. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
4. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
5. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
6. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.
7. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
8. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
9. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
10. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
11. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
12. الوسطية في القرآن الكريم.
13. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

14. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
15. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
16. خلافة عبد الله بن الزبير.
17. عصر الدولة الزنكية.
18. عماد الدين زنكي.
19. نور الدين زنكي.
20. دولة السلاجقة.
21. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
22. الشيخ عبد القادر الجيلاني.
23. الشيخ عمر المختار.
24. عبد الملك بن مروان وبنوه.
25. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.
26. حقيقة الخلاف بين الصحابة.
27. وسطية القرآن في العقائد.
28. فتنة مقتل عثمان.
29. السلطان عبد الحميد الثاني.
30. دولة المرابطين.
31. دولة الموحدين.
32. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
33. الدولة الفاطمية.
34. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
35. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
36. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
37. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
38. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
39. المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
40. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
41. الشورى في الإسلام.
42. الإيمان بالله جل جلاله.
43. الإيمان باليوم الآخر.
44. الإيمان بالقدر.
45. الإيمان بالرسول والرسالات.
46. الإيمان بالملائكة.
47. الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.
48. السلطان محمد الفاتح.

49. المعجزة الخالدة.
50. الدولة الحديثة المسلمة: دعائها ووظائفها.
51. البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.
52. التداول على السلطة التنفيذية.
53. الشورى فريضة إسلامية.
54. الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.
55. العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.
56. المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.
57. العدل في التصور الإسلامي.
58. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.
59. الأمير عبد القادر الجزائري.
60. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.
61. سُنة الله في الأخذ بالأسباب.
62. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.
63. أعلام التصوف السُني: «ثمانية أجزاء».
64. المشروع الوطني للسلام والمصالحة.
65. الجمهورية الطرابلسية (1918 - 1922) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.
66. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.
67. المسيح عيسى ابن مريم (عَلَيْهِ السَّلَامُ): الحقيقة الكاملة.
68. قصة بدء الخلق وخلق آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
69. نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.
70. إبراهيم خليل الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة".
71. موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كلم الله.
72. موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والخضر.
73. موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في سورة طه.
74. موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في سورة القصص.
75. موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في سورة الشعراء.
76. مؤمن آل فرعون في سورة غافر.
77. لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات)
78. سقوط الدولة العثمانية (الأسباب - التداعيات).
79. سقوط الدولة الأموية (الأسباب - التداعيات).
80. مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام.
81. النبي الوزير يوسف الصديق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من الابتلاء إلى التمكين.
82. ذكريات لا تنسى
83. الأنبياء الملوك

هذا الكتاب

هذا الكتاب يتحدث عن اليوم الآخر الذي أخبرنا به الخالق العظيم، الرحمان الرحيم، القوى العزيز، في كتابه المجيد.

ومن خلال مسيرتي في عالم التاريخ رأيتُ كيف قامت الدول وزالت، وتوسّعت الحضاراتُ ثم تبخرتْ كأن لم تغن بالأمس، وكم من ملوك وأمراء وقادة وحكام وعلماء وفقهاء، وفلاسفة، وعوام من الناس لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، قد ماتوا وأصبحوا في الأمس الغابر، ودخلوا في عالم البرزخ العظيم.

إن بني البشر يسألون عن مصيرهم وإلى أين هم ذاهبون، ويخشون من الموت وأهواله، ويبحثون عن إجابات شافية: ماذا بعد الموت؟

وصدق اله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد اضطربت فيه التصورات وانحرفت فيه العقائد عن الله والكون، والإنسان والحياة، والقضاء والقدر، والجنة والنار.

والمسلمون يملكون عقيدة سليمة لا يملكها غيرهم وحباهم الله بكتابه العزيز الذي حفظه من الضياع والتحريف وسنة نبيه، وهي شارحة ومبينة لكتاب ربنا عز وجل.

وكتابنا هذا فيه إجابات شافية ووافية لتساؤلات الكثير من بني الإنسان قد جمعت من كتاب الله وسنة نبيه.



dr.sallabi



alsallabi



alsallabi1



dr.ali_alsallabi



alsallabicom



www.alsallabi.com

T.K-ISBN: 978-625-9936-22-2
ISBN: 978-625-9936-27-7



9 786259 936277

asaletyayinlari.com.tr

asaletyayinlari

